

بأمر شريف القرشي

حياة

الإمام محمد الباقر

الجزء الأول

دار الكتب العلمية





مرکز تحقیقات کتب و آثار اسلامی

حیات
الإمام محمد الباقر



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

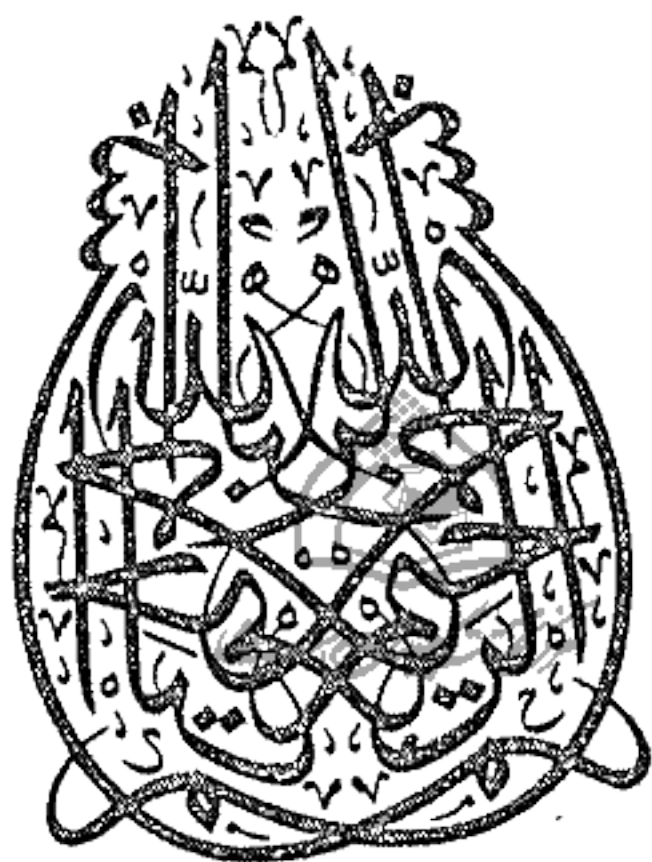
۱۴۱۳ هـ - ۱۹۹۳ م

مرکز تحقیقات کلامی و فقهی علوم اسلامی

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع



هاتف وفاكس: ۳۱۷۴۲۵۱ - ۸۲۰۳۲۰ - ۸۳۴۲۶۵ - صوب: ۲۵/۱۶ - تلکس: ۲۲۵۹۷ - بکلاغ - بیروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَىٰ أَسْرَارَكَ
نَفَحَ حَافِ الْأَبْنَاءِ هَبَّ الْعَمَلِ
عَلَى الْعَالَمِينَ تَبَعُضُهَا بَعْضُ
وَلَا تَسْمَعُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا تَرُدُّ اللَّهُ
لَهُمْ هَبَّ عَمَلِهِمْ أَحْسَنَ هَلَا الْبَيْتِ
وَجَهْلِهِمْ كَتَبَ لَهُمْ وَأَمَّا الْإِلَهِ
عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ إِلَهُ الْمَوَدَّةِ فِي
الْقَبْرِ مَوْثِقُ حَسَنَتِهِ نَزَلَتْ
فِيهَا حَسَنَاتُ اللَّهِ تَقْوَىٰ



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

الإهداء

إليك ... يا منجز العالم والنور في الأرض ..

إليك ... يا رسول الإنسانية ..

إليك ... يا خاتم النبيين ..

أرفع إلى مقامك العظيم هذا البحث المتواضع عرس سيرة سبطك

الإمام محمد الباقر الذي سميت باسمك ولقبته بباقر المعالم ..

فكارة المجد ولديك ، والمحبي لسننك ، فليس احد هو اولى

بهذا الإهداء منك ، فتقبل هذه البضاعة المزجاة ،

وتلطف علي برضالك ليكون ذخراً لي يوم التقى الله .



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

المقدمة

(٨)

الامام محمد الباقر (ع) من أفذاذ العترة الطاهرة ، ومن أعلام أئمة أهل البيت (ع) ومن ابرز رجال الفكر والعلم في الاسلام فقد قام - فيما اجمع عليه المؤرخون - بدور ايجابي وفعال في تكوين الثقافة الاسلامية وتأسيس الحركة العلمية في الاسلام ، فقد تفرغ لبسط العلم واشاعته بين المسلمين في وقت كان الجمود الفكري قد ضرب نطاقه على جميع انحاء العالم الاسلامي ، ولم تمد هناك أية نهضة فكرية أو علمية ، فقد منيت الامة بشورات متلاحقة ، وانتفاضات شعبية كان مبعثها تارة التخلّص من جور الحكم الاموي واضطهاده ، واخرى الطمع بالحكم ، واهملت من جرام ذلك الحياة العلمية اهمالاً تاماً فلم يعد لها أي ظل على مسرح الحياة .

وقد ابتعد الامام الباقر (ع) عن تلك التيارات السياسية ابتعاداً مطلقاً فلم يشترك بأي عمل سياسي يتصادم مع الحكم القائم آنذاك ، واتجه صوب العلم فرفع مناره ، وأسس قواعده وأرسى اصوله ، فكان الرائد والمعلم والقائد لهذه الأمة في مسيرتها الثقافية ، وقد سار بها خطوات واسعة في ميادين البحوث العلمية بما يعتبر عاملاً جوهرياً في ازدهار الحياة الاسلامية وتكوين حضارتها المشرقة في الاجيال التي جاءت بعده . وكان من أهم ماعنى به الامام أبو جعفر (ع) نشر الفقه الاسلامي الذي يحمل روح الاسلام وجوهره وتفاعله مع الحياة فسر على احيائه فاقام

مدرسته الكبرى التي زخرت بكبار الفقهاء كابان بن تغلب ومحمد بن مسلم ،
 وبريد وأبي بصير الاسدي والفضل بن يسار ، ومعروف بن خربوذ ووزارة
 ابن اعين ، وهؤلاء الاعلام من اجعت الصحابة على تصديقهم والاقرار لهم
 بالفقه ، واليه يرجع الفضل في تدوين احاديث أهل البيت (ع)
 ولولاهم لصاعت تلك الثروة الفكرية الهائلة التي يعتز بها العالم الاسلامي
 وهي احدى المدارك الاساسية لفقهاء الشيعة في استنباطهم للأحكام الشرعية .
 والشيء الذي يدعو الى الاعتزاز بسيرة الامام هو انه قد تبنى هؤلاء
 الفقهاء فاشاد بهم ، وعزز مركزهم ، وارجع الأمة الى فتواهم يقول (ع)
 لابان بن تغلب :

« اجلس في مسجد المدينة ، وافت الناس فاني أحب أن يرى في
 شيعتي مثلك » (١) .

وقد قام بتسديد نفقاتهم وما يحتاجون اليه في حياتهم للعاشية ليتفرغوا
 الى تحصيل العلم وضبط قواعده وتدوينه ، وعهد من بعده الى ولده الامام
 الصادق (ع) القيام برعايتهم والاتفاق عليهم حتى لا تشغلهم الحياة الاقتصادية
 عن القيام بأداء مهماتهم . . . وقد قاموا بدور بناء في تدوين الحديث الذي
 سمعوه منه ، كما أخذوا يلقون على البعثات الدينية ما روه عنه ، وقد
 روى عنه تلميذه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث (٢) . كما
 روى عنه أبان بن تغلب مجموعة كبيرة عنه ، وقد حفلت الموسوعات الفقهية
 بحشد كبير من رواياتهم عنه فجميع أبواب الفقه من العبادات وسائر
 العقود والایقاعات مدعمة بالروايات عنه فكان للمؤسس والناشر لفقه أهل
 البيت الذي يحتل الصدارة في الفقه الاسلامي .

(١) النجاشي ص ٢٨ جامع الرواة ٩/١ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣٨٣/١ .

ولم يقتصر الامام في معاظراته وبحوثه على الفقه الاسلامي وإنما خاض جميع ألوان العلوم من الفلسفة وعلم الكلام والطب ، أما تفسير القرآن الكريم فقد استوعب اهتمامه ، فقد خصص وقتاً له ، وقد دون أكثر المفسرين ما يذهب اليه وما يرويه عن آبائه في تفسير الآيات الكريمة ، وقد ألف كتاباً في التفسير رواه عنه زياد بن المنذر الزعيم الروحي للفرقة الجارودية (٣) .

ويعرض هذا الكتاب إلى بيان ذلك ، وتقديم برامج من تفسيره لبعض الآيات ، وبما تجدر الإشارة اليه ان الامام (ع) قد تحدث عن أحوال الانبياء وما لا قوه من الاضطهاد من فراعنة زمانهم ، كما عرض لبعض حكمهم وآدابهم وعنه أخذ أكثر الباحثين في أحوال الانبياء . . . وتحدث (ع) بصورة موضوعية وشاملة عن السيرة النبوية وشرح أحوال الرسول الاعظم (ص) ومنازله وحروبه .

وقد رواها عنه ابن هشام والواقدي والحلي وغيرهم من المدونين للسيرة النبوية كما روى (ع) عن النبي (ص) بسنده عن آبائه مجموعة كبيرة من الاحاديث تتعلق بأداب السلوك وحسن الاخلاق وما ينبغي ان يتصف به المسلم من الصفات الرفيعة التي تجعله قدوة لغيره . . . وروى بصورة شاملة الاحداث التاريخية التي جرت في العصر الاسلامي الاول ، وقد نقلها عنه الطبري في تاريخه والبلاذري في انسابه .

ونظر (ع) مع بعض علماء المسيحيين ، والازارقة ، وجادل الملحدين ، وقاوم الغلاة ، وقد خرج من مناظراته وهو ظافر قد اعترف الخصم

(٣) فهرست الشيخ الطوسي (ص ٩٨) .

بقدراته العلمية والمعجز عن مجاراته ، ويعرض هذا الكتاب الى ذكر ذلك .
لقد ترك الامام (ع) ثروة فكرية هائلة تعد من ذخائر الفكر
الاسلامي ومن مناجم الثروات العلمية في الارض وليس من المستطاع
تسجيل جميع ما أثر عنه من العلوم والمعارف فان ذلك يستدعي وضع
عدة مجلدات ، وانما أشرنا الى بعضها ، وتركنا الباب مفتوحاً لمن يريد
أن يبحث بصورة شاملة عن ثرواته العلمية .

وعلى أي حال فان التاريخ لم يعرف أماماً كمحمد الباقر (ع) قد
وقف حياته كلها لنشر العلم وإذاعته بين الناس ، فكان - فيما يقول
الرواة - قد أقام في يثرب سادناً أميناً كالجبل أو كالبحر وهو يغذي رجال
الفكر ورواد العلم بفقهِه وعلمه التي تحمل عناصر التقدم ، وعناصر الحياة
لا لهذه الامة فحسب ، وانما للناس جميعاً .

(٣)

وكما كان الامام الباقر (ع) من عمالقة الفكر والعلم في الاسلام
فقد كان من أبرز أئمة المسلمين فيما أوتي من عظيم الاخلاق والتجرد
من كل نزعة مادية أو أنانية ، فكان في سلوكه يمثل روح الاسلام وفكره
وانطلاقه في هداية الناس وتهذيب أخلاقهم .

ويجمع المؤرخون انه كان مشغولاً في أكثر اوقاته بذكر الله ، وانه
كان ينفق ليلاليه ساهراً في الصلاة لله ومناجاته شأنه شأن آبائه الذين هم
مصاييح الهداية والتقوى في الارض ، وقد تخرج الامام في حياته كأشد
ما يكون التخرج ، فزهد في الدنيا ، وابتعد عن جميع زخارفها ، واتجه
بقلبه وعواطفه نحو الله فأثر طاعته على كل شيء ، وعلى كل ما يقربه
اليه زلفى ، فلم ينقاد لأية نزعة من نزعات الهوى ، وانما تحرر منها
تحرراً كاملاً ، ولم يعد لها أي سلطان عليه .

لقد كانت سيرة الامام تحاكي سيرة جده الرسول الاعظم (ص) في جميع مكوناتها وذاتياتها ، ولا يكاد يقرأها أحد إلا ويذهب به الاعجاب كل مذهب ، ويمضي به الاكبار الى غير حد .

(٤)

وامتحن الامام الباقر (ع) وهو في غصارة الصبا امتحاناً شاقاً وعسيراً ، فقد شاهد رزايا كربلاء وما جرى على العترة الطاهرة من صنوف القتل والتنكيل ، فقد جرت امامه عملية القتل الجماعي بوحشية قاسية لعترة النبي (ص) ولم يتأثم الجيش الاموي في قتل الاطفال الابرياء والنساء والشيوخ ، والتمثيل الآثم بهشمان الامام العظيم ، وغير ذلك من الكوارث التي تذوب من هولها القلوب ، وقد حمل أسيراً مع أسارى أهل البيت الى ابن مرجانة فبالغ في اذلالهم واحتقارهم ، وظهر الشماتة والحققد بقتله لعترة النبي (ص) وذريته ، وحملهم الى الطاغية الفاجر يزيد بن معاوية فقابلهم بمزيد من الاحتقار والتوهين .

وقد وعى الامام الباقر (ع) تلك الاحداث المؤلمة فملئت قلبه ألماً عاصفاً وطبعت في نفسه اللوعة والحزن ، وظلت ملازمة له طول حياته فلم ينمى بعيش ولم تطب له الحياة ، قد انطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير .

ومن الكوارث التي دهمته وهو في غصون الصبا واقعة الحرة التي انتهك فيها جيش يزيد حرمة مدينة الرسول (ص) فاستباح الاعراض والاموال وازهاق النفوس ، ولم تبق حرمة الله إلا انتهكها ، ولم ينبج من أهوال تلك الكارثة الأليمة الا الامام زين العابدين (ع) لوصية عهد بها يزيد الى جلاده المسرف الأثيم مسلم بن عقبة ، وتركت هذه الصور الحزينة في نفس الامام شعوراً انبعاثياً طافحاً بالاسى والحزن .

وكان عصر الامام من أدق العصور في الاسلام فقد كانت الحياة فيه بشعة شديدة الظلام ومرهقة كأشد ما يكون الارهاق ، فقد تفجرت البلاد الاسلامية ببركان من الثورات كانت نتيجة لسوء السياسة الاموية التي لم تضع نصب أعينها مصلحة الشعوب الاسلامية ، وانما راحت تتصرف بوحى من رغباتها الخاصة من دون أن تولي أي اهتمام بصالح الأمة ، فقد وضعت عليها الضرائب الثقيلة ، وشدت في أمر الخراج وسلمت ثروات الامة ، وانفقتها على شهواتها وملازمها ، واستبدت كأشر ما يكون الاستبداد في جميع شؤونها .

ولابد لنا أن نذكر الحكومات التي عاصرها الامام ، ونعرض الاحداث السياسية التي جرت في ذلك العصر ، ويجب أن نلاحظها بدقة وامعان فهي بما تمس الحياة الاجتماعية والفكرية في ذلك العصر الذي نشأ فيه الامام ، ومن الطبيعي أن الباحث الذي يهمل ذلك فانه من غير الممكن أن يتوصل الى دراسة الشخصية التي يبحث عنها أو يهتدي الى فهمها حسب الدراسات الحديثة .

ان من الامانة للعلم والرغبة في الحق اظهار تلك الاحداث والتدليل على مصادرها ، ومناقشة المصادر التي لم تخضع للحق وانما كانت خاضعة للأهواء التي هي أبعد ما تكون عن الواقع ، فان الدراسة بهذا اللون - فيما نحسب - تعود على القراء بمزيد من الفائدة .

ولم تحظ المكتبة العربية بدراسة عن هذا الامام العظيم الذي هو من عناصر الثقافة والتكوين الحضاري لهذه الامة ، فانه ليس من الوفاء في شيء ان نهمل حياة عظمائنا في حين أن الأمم الحية قد عنت بتخليد

عظماؤها والاشادة بهم وإبراز مآثرهم الى العالم للتدليل على مدى أصالتها وما تملكه من القيم الكريمة يقول العقاد : « ان الاوربيين قد وجدوا من علمائهم من يشيد بعظمائهم ويستقصي نواحي مجدهم بل قد دعتهم العصبية أحياناً أن يتزايدوا في نواحي هذه العظمة ، ويعملوا الخيال في تبرير العيب وتكميل النقص تحميساً للنفس وإثارة لطالب الكمال ، أما نحن فقد كان بيننا وبين عظمانا سدود وحواجز حالت بين شبابتنا والاستفادة منهم » .

ومن هو أحق بالاشادة من الامام محمد الباقر (ع) الذي هو من أبرز القادة الطليعيين لهذه الامة ، وأحد عباقرة هذه الدنيا ، والذي كان من بعض مآثره وخدماته تحرير النقد العربي والاسلامي من السيطرة الخارجية ، وجعله مستقلاً بنفسه غير مرتبط بالامبراطورية الرومانية بما سذكره تفصيلاً في غضون هذا الكتاب .

وقد عني القدامى بالبحث عن سيرة الامام أبي جعفر فالف الجلودي عبد العزيز بن يحيى المتوفى سنة (٣٠٤ هـ) كتاباً اسماه « اخبار أبي جعفر الباقر » (٤) ذكر فيه أحواله وشؤونه الا أنا لم نعث عليه في خزانة المخطوطات التي حفلت بها مكتباتنا العامة . ولعله يوجد في خزائن المخطوطات الاخرى في العالم أو انه قد ضاع في ضمن المخطوطات الكثيرة التي عسرها العالم العربي والاسلامي .

(٧)

وقد ساعدني التوفيق - والحمد لله - فتشرفت بالبحث عن سيرة هذا الامام العظيم ومن الحق اني لم أر صورة أروع ولا انظر منه ، فهو يمثل

(٤) الذريعة ٣١٥/١ ، الاعلام ١٥٣/٧ .

جميع القيم الانسانية التي يعثر بها كل انسان .
وقد عكفت على مراجعة جملة كبيرة من المصادر المخطوطة والمطبوعة
التي عرضت لترجمته وتدوين بعض مآثره وحكمه ، وأنا واثق كل الوثوق
ان الباحث للمتبع يجد اضعاف ما كتبه عن حياته بما قد خفي عليّ ،
ولا ازعم اني احطت بترجمته أو دونت جميع ما أثر عنه ، وانما القيت
اضواءً على شخصيته ، وتركت الباب مفتوحاً لغيري من الباحث للكشف
عن حياته .

وقبل أن انهي هذا التقديم أود أن اذكر بمزيد من الشكر ما قام به
ولدنا السيد الجليل السيد عبد الرسول بن السيد رضا الحسيني الصائغ
من للمهمة في الانفاق على طبع هذا الكتاب سائلاً منه تعالى أن يوفقه
لكل مسعى نبيل وما التوفيق الا بيد الله يهبه لمن يشاء من عباده .



٦ / ١١ / ١٩٧٧ م - ١٣٩٧ هـ

باقر شريف القرشي

مركز تحقيقات كليات علوم رفس



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

الْوَلِيُّ الْعَظِيمُ

واستقبل أهل البيت (ع) بمزيد من الفرح والسرور الوليد المبارك الذي ازدهرت به الحياة الفكرية والعلمية في الاسلام ، وكان ابتهاجهم به كأعظم ما يكون الابتهاج لانه أول مولود التقت به عناصر السبطين والنيرين الحسن والحسين ، وامتزجت به تلك الاصول الكريمة التي أعز الله بها العرب والمسلمين ، أما الاصلاب ، الكريمة والارحام المطهرة التي تفرع منها فهي :

الام :

أما أمه فهي السيدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الامام الحسن سيد شباب أهل الجنة ، وتكنى أم عبد الله (١) وكانت من سيدات نساء بني هاشم ، وكان الامام زين العابدين (ع) يسميها الصديقة (٢) ويقول فيها الامام أبو عبد الله الصادق (ع) : « كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن مثلها » (٣) وحسبها سمواً أنها بضعة من ريحانة رسول الله ، واتها نشأت في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وتربى الامام الباقر (ع) في حجرها الطاهر ، فأفرغت عليه اشعة من روحها الزكية ، وغذته بمثلها الكريمة ، حتى صارت من خصائصه وذاتيته .

ولم تتوفر لنا أية معلومات عن المدة التي عاشها مبع أمه فقد أهملت المصادر التي بأيدينا ذلك ، ولم تشر اليه بقليل ولا بكثير ، كما لم تتوفر

(١) تهذيب اللغات والاسماء ٨٧/١ ، وفيات الاعيان ٣٨٤/٣ ، للمحبر

(ص ٥٧) تاريخ اليعقوبي ٦٠/٢ ، اعيان الشيعة ٤٦٤/٤/١ .

(٢) ضياء العالمين الجزء الثاني من مخطوطات مكتبة الحسينية الشوشترية

تأليف أبي الحسن العاملي ، الدر النظيم من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين تسلسل (٢٨٧٩) .

(٣) أصول الكافي ١ / ٤٦٩ .

لنا أية معلومات عن سائر شؤونها .

الاب :

أما الأب فهو سيد الساجدين وزين العابدين ، ومن المع سادات المسلمين فقهاً وعلماءً وتخرجاً في الدين ، وسنذكر عرضاً موجزاً لشؤونه في البحوث الآتية .

الوليد العظيم :

واشرفت الدنيا بمولد الامام الزكي محمد الباقر الذي بشر به النبي (ص) قبل ولادته ، وكان أهل البيت (ع) ينتظرونه بفارغ الصبر لانه من أئمة المسلمين الذين نص عليهم النبي (ص) وجعلهم قادة لأمتهم ، وقرنهم بمحكم التنزيل وكانت ولادته في يثرب في اليوم الثالث من شهر صفر سنة (٥٦ هـ) (٤) وقيل سنة (٥٧ هـ) في غرة رجب يوم الجمعة (٥) وقد ولد قبل قتل جده الامام الحسين (ع) بثلاث سنين (٦) وقيل بأربع سنين كما أدلى (ع) بذلك (٧) وقيل بستين . وأشهر (٨) وهو قول شاذ لا يعني به .

(٤) وفيات الاعيان ٣ / ٣١٤ ، تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤ ، نزهة الجليس ٢ / ٣٦ .

(٥) دلائل الامامة (ص ٩٤) دائرة المعارف لفريد وجدي ٣ / ٥٦٣ .

(٦) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٨٤ ، اخبار الدول (ص ١١١) وفيات الاعيان ٣ / ٣١٤ .

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٠ .

(٨) عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب من مخطوطات مكتبة الامام

الحكيم تسلسل (٩٧٥) .

وقد أجريت له فور ولادته المراسيم الشرعية من الاذان والاقامة في اذنه كما أجريت له بعض المراسيم الاخرى في اليوم السابع من ولادته من حلق رأسه والتصدق بزنة شهره فضة على المساكين ، والعق عنه بكبش والتصدق به على الفقراء .

وكانت ولادته في عهد معاوية والبلاد الاسلامية تعج بالظلم ، وتموج بالكوارث والخطوب من ظلم معاوية وجور ولاته الذين نشروا الارهاب وأشاعوا الظلم في البلاد ، وقد تحدث الامام الباقر عن تلك المظالم الرهيبة ، وسنذكر حديثه في غضون هذا الكتاب .

تسميته :

وسماه جده رسول الله (ص) بمحمد ، وكناه بالباقر قبل أن يخلق بعشرات السنين ، وكان ذلك من اعلام نبوته كما يقول بعض المحققين ، وقد استشف (ص) من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم واذاخته بين الناس فبشر به أمته ، كما حمل له تحياته على يد الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري وسلمع الى ذلك فيما يأتي .

كنيته :

أما كنيته فهي : « أبو جعفر » (٩) ولا كنية له غيرها ، لقد كفي بولده الامام جعفر الصادق (ع) الذي بعث الروح والحياة في هذه الامة وفجر ينابيع الحكمة في الارض .

لقابه :

أما القاب الشريفة فقد دلت على ملامح شخصيته العظيمة ونزعاته الرفيعة وهي :

(٩) دلائل الامامة (ص ٩٤) .

- ١ - الأمين :
- ٢ - الشبيه : لأنه كان يشبه جده رسول الله (ص) (١٠) .
- ٣ - الشاكر :
- ٤ - الهادي :
- ٥ - الصابر :
- ٦ - الشاهد : (١١)
- ٧ - الباقر : (١٢) وهذا من أكثر ألقابه ذيوياً وانتشاراً ، وقد لقب هو وولده الامام الصادق با (لباقرين) كما لقبا با (لصادقين) من باب التثنية (١٣) .
- ويكاد يجمع المؤرخون والمترجون للامام على أنه انما لقب بالباقر لانه بقر العلم أي شقه ، وتوسع فيه فعرف أصله وعلم نفيه (١٤) ، وفيه يقول الامام الرضى :
- يا باقر العلم لاهل التقى وخير من لي على الاجبل (١٥)
- وكانهم نظروا في ذلك الى ما أثر عنه من سعة العلوم والمعارف فجعلوا هذا اللقب مشعراً بها ، وقيل انما لقب به لكثرة سجوده فقد بقر جبهته

- (١٠) الدر النظيم في مناقب الائمة من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين ضياء العالمين الجزء الثاني مخطوط ، اعيان الشيعة ق١/٤/٤٦٤ .
- (١١) جنات الخلود ، وناسخ التواريخ .
- (١٢) تذكرة الحفاظ ١/١٢٤ ، نزهة الجليس ٢/٣٦ ، مرآة الجنان ١/٢٤٧ ، دائرة معارف وجدي ٣/٥٦٣ .
- (١٣) جامع المقال للشيخ الطريحي من مصورات مكتبة الامام الحكيم .
- (١٤) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢١٣) عمدة الطالب (ص ١٨٣)
- (١٥) جوهر الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٣٣) .

أي فتحها ووسمها (١٦) وقيل إنما لقب بذلك لقوله : « استصرختي الحق وقد حواه الباطل في جوفه ، فبقرت عن خاصرته ، واطلعت الحق من حجبته حتى ظهر وانتشر بعدما خفى » (١٧) ولكن المشهور والذائع بين المؤرخين هو المعنى الاول دون غيره .

تحيات النبي الى الباقر :

ويجمع المؤرخون والرواة على أن النبي (ص) حمل الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري تحياته ، الى سبطه الامام الباقر ، وكان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدي اليه رسالة جده ، فلما ولد الامام وصار صبياً يافماً التقى به جابر فأدى اليه تحيات النبي (ص) وقد روى المؤرخون ذلك بصور متعددة وهذه بعضها :

١ - ما رواه آبان بن تغلب عن أبي عبد الله (ع) قال : ان جابر ابن عبد الله الانصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) وكان رجلاً منقطعاً اليها أهل البيت ، وكان يقعد في مجلس رسول (ص) وهو معتجر (١٨) بعمامة سوداء ، وكان ينادي : يا باقر الصلم ، يا باقر العلم ، فكان أهل المدينة يقولون : جابر يهجر ، فكان يقول : والله ما أهجر ، ولكنني سمعت رسول الله (ص) يقول : إنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسي ، وشماله شمالي يقر العلم بقرأ ، فذاك الذي دعاني الى ما أقول : قال : فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مر بطريق في ذاك الطريق كتاب فيه محمد بن علي فلما نظر اليه قال : يا غلام اقبل فأقبل ،

(١٦) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ٧٨/٥ من مصورات مكتبة

الامام الحكيم .

(١٧) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان الجزء الخامس مخطوط .

(١٨) معتجر : وهو وضع العمامة على الرأس .

ثم قال له : ادبر فادبر ، ثم قال : شمائل رسول الله (ص) والذي نفسي بيده ، يا غلام ما اسمك ؟ قال : اسمي محمد بن علي بن الحسين فجعل يقبّل رأسه ، ويقول : بأبي أنت وأمي أبوك رسول الله (ص) يقرؤك السلام . . . قال : فرجع محمد بن علي إلى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر ، فقال له : يا بني قد فعلها جابر قال : نعم قال : الزم بيتك يا بني . . . » (١٩) .
أما محتويات هذه الرواية فهي .

أ - ان شمائل الامام الباقر (ع) وملاحمه كانت تضارع شمائل النبي (ص) .

ب - ان النبي (ص) هو الذي سمي سبطه بمحمد ، واضفى عليه لقب الباقر ، وأنه يبقر العلم بقرأ .

ج - ان الامام زين العابدين (ع) قد خاف على ولده بما أخبر به جابر عن النبي (ص) في شأنه ، ويعود السبب في ذلك الى أن الحكومة الاموية قد فرضت الرقابة الشديدة على الامام زين العابدين فكانت تحصي عليه انفسه ، وتتمرف علي من يخلفه ويقوم مقامه من بعده لتشكل به فخشي (ع) على ولده من أن يناله الامويون بسوء أو مكروه .

٢ - ما رواه ابن عساكر ان الامام زين العابدين (ع) ومعه ولده الباقر دخل على جابر بن عبد الله الانصاري ، فقال له جابر : من معك يا بن رسول الله ؟ قال : معي ابني محمد فاخذه جابر وضمه اليه وبكى ثم قال : اقترب اجلي ، يا محمد ، رسول الله (ص) يقرؤك السلام فسئل وما ذاك ؟ فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : للحسين بن علي يولد لابني هذا ابن يقال له علي بن الحسين ، وهو سيد العابدين إذا كان يوم القيامة ينادي مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ، ويولد

(١٩) أصول الكافي « ٤٦٩ / ١ - ٤٧٠ » رجال الكشي (ص ٢٧ - ٢٨) .

لعلي بن الحسين ابن يقال له محمد اذا رأيته يا جابر فاقرأه مني السلام ،
يا جابر اعلم أن المهدي من ولده ، واعلم يا جابر ان بمآك بعده قليل . . « (٢٠)
٣ - ما رواه تاج الدين بن محمد نقيب حلب بسنده عن الامام الباقر
عليه السلام قال : دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه . فقال لي
من أنت ؟ وذلك بعد ما كفف بصره ، فقلت له : محمد بن علي بن
الحسين ، فقال : بأبي أنت وأمي ادن مني فدنوت منه فقبل يدي ثم اهدى
الى رجلي فاجتذبتها منه ، ثم قال : إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ،
فقلت وعلى رسول الله (ص) السلام ورحمة الله وبركاته ، وكيف ذلك
يا جابر ؟ قال : كنت معه ذات يوم فقال : لي يا جابر لعلك تبقى حتى
تلقى رجلاً من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين يهب له الله
النور والحكمة فاقرأه مني السلام . . « (٢١) .

٤ - ما ذكره صلاح الدين الصفدي قال : « كان جابر يمشي بالمدينة
ويقول يا باقر متى القاك ؟ فمر يوماً في بعض سكك المدينة فذاولته جارية
صبياً في حجرها فقال لها : من هذا ؟ فقالت : محمد بن علي بن الحسين
فضمته الى صدره ، وقبل رأسه ويديه ، وقال : يا بني جددك رسول الله (ص)
يقرؤك السلام ثم قال : يا باقر نعت الى نفسي فمات في تلك الليلة . « (٢٢)
٥ - ما ذكره بعض الاسماعيلية أن النبي (ص) قال : لجابر إنك
ستلحق ولد ولدي هذا وأشار الى الحسين فاذا ادركته فاقرأه عنى السلام ،
وقل : له يا باقر العلم ابقره . ففعل ذلك . . « (٢٣) .

(٢٠) تاريخ ابن عساكر ٤١/٥١ من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين

(٢١) غاية الاختصار (ص ٦٤) .

(٢٢) الوافي بالوفيات ١٠٢ / ٤ .

(٢٣) مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والاسرار السامية

(ص ٩٩) المؤلف مجهول .

٦ - ما رواه الحافظ نور الدين الهيثمي عن أبي جعفر (ع) قال أتاني جابر بن عبد الله وأنا في الكتاب فقال : اكشف عن بطنك فكشفت عن بطني فقبله ثم قال : ان رسول الله (ص) امرني أن أقرأ عليك السلام . « (٢٤) هذه بعض الروايات وهي قد اتفقت على أن النبي (ص) حمل جابر ابن عبد الله الانصاري تحياته الى الامام الباقر (ع) وقد استشف (ص) من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم وإذاعته بين الناس وإنه من جملة اوصيائه الذين يفجرون الحكمة والنور في الارض .

ملاحـه :

أما ملاحه الشريفه فهي حسب ما يقول جابر بن عبد الله الانصاري كانت كعلامح رسول الله (ص) وشماله (٢٥) وكما شابه جده النبي (ص) في هذه الظاهرة فقد شابهه في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين . ووصفه بعض المعاصرين له فقال : إنه كان معتدل القامة اسمر اللون (٢٦) رقيق البشرة له خال ، ضامر الكشح ، حسن الصوت مطرق الرأس (٢٧) .

ذكاؤه المبكر : بمقتضى كونه من سبطه

وكان (ع) في طفولته آية من آيات النبوغ والذكاء ، ويقول الرواة إن جابر بن عبد الله الانصاري على شيخوخته كان يأتيه فيجلاس بين يديه فيعلمه وقد بهر جابر من سعة علوم الامام ومعارفه وطفق يقول :

(٢٤) مجمع الزوائد ٢٢/١ .

(٢٥) أصول الكافي ٤٦٩/١ .

(٢٦) اخبار الدول (ص ١١١) جوهرة الكلام في مدح السادة

الاعلام (ص ١٣٢) .

(٢٧) اعيان الشيعة ق ٤٧١/٤/١ .

« يا باقر لقد أوتيت الحكم صبياً . . » (٢٨)

وقد عرف الصحابة ما يتمتع به الامام منذ نعومة اظفاره من سعة الفضل والعلم الغزير فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها ويقول المؤرخون ان رجلاً سأل عبد الله بن عمر عن مسألة فلم يقف على جوابها فقال للرجل : اذهب إلى ذلك الغلام - وأشار إلى الامام الباقر - فاسأله ، وأعلمني بما يجيبك فبادر نحوه وسأله فأجابه (ع) عن مسأله وخف إلى ابن عمر فاخبره بجواب الامام ، وراح ابن عمر يئدي إعجابه بالامام قائلاً : « انهم أهل بيت مفهمون » (٢٩) .

لقد خص الله أئمة أهل البيت (ع) بالعلم والفضل ، ووهبهم الكمال المطلق الذي يهبه لأنبيائه ورسله ، فكان كل فرد منهم لا تخفى عليه أية مسألة تعرض عليه ، ويقول المؤرخون ان الامام كان عمره تسع سنين وقد سئل عن أدق المسائل فأجاب عنها .

هيئته ووقاره :

وبدت على ملامح الامام (ع) هيبة الانبياء ووقارهم ، فما جلس معه أحد إلا هابه واكبره وقد تشرف قتادة وهو فقيه أهل البصرة بمقابلته فاضطرب قلبه من هيئته وأخذ يقول له :

« لقد جلست بين يدي الفقهاء وأمام ابن عباس فما اضطرب قلبي من أي أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك . » (٣٠) .

لقد كان الامام بقية الله في أرضه ، وتجلت في شخصيته سمات أوليائه واحبائه الذين اصفى عليهم الهيبة والوقار ، وعن غمرتهم هيبة الامام الشاعر

(٢٨) علل الشرائع (ص ٢٣٤) .

(٢٩) المناقب ٤ / ١٤٧ .

(٣٠) اثبات الهداة ٥ / ١٧٦ .

المغربي يقول في وصفه له :

يابن الذي بلسانه وبيانه
عن فضله نطق الكتاب وبشرت
لولا إنقطاع الوحي بعد محمد
هو مثله في الفضل إلا إنه
هدي الانام ونزل التنزيل
بقدمه التوراة والانجيل
قلنا : محمد من أبيه بديل
لم يات به رسالة جبريل (٣١)
وروي المؤرخون أن الامام (ع) لم ير ضاحكاً ، وإذا ضحك يقول : « اللهم
لا تمقتني » (٣٢) لقد ابتعد عن كل ما ينافي الوقار وسمو الشخصية ،
وكان البارز من صفاته ذكر الله ، ففي جميع أوقاته كان لسانه مشغولاً بذكر
الله ، وسنذكر ذلك عند البحث عن مظاهر شخصيته .

نقش خاتمه :

أما نقش خاتمه فهو : « العزة لله جميعاً » (٣٣) وكان يتختم بخاتم
جده الامام الحسين (ع) وكان نقشه « إن الله بالغ أمره » (٣٤) وذلك
ما يدل على إنقطاعه التام إلى الله وشدة تعلقه به .

إقامته : مركزه كقديس ومعلم

وأقام الامام (ع) طيلة حياته في يثرب دار الهجرة ، فلم يرحل إلى
بلد آخر ، وقد كان فيها للمعلم الاول ، والرائد الاكبر للحركات العلمية
والثقافية ، وقد اتخذ الجامع النبوي مدرسة له فكان فيه يلقي بحوثه
على تلاميذه .

(٣١) المناقب ٤ / ١٨١ .

(٣٢) صفة الصفوة ٢/٦٢ ، تذكرة الخواص (ص ٢٤٩) .

(٣٣) حيلة الاولياء ٣/١٨٩ .

(٣٤) أعيان الشيعة ١/٤/١٦٩ .



مرکز تحقیقات کچھو پور علوم اسلامی

فی ظلال
الحسین وعیلة

نشأ الامام أبو جعفر (ع) في بيت الرسالة ومهبط الوحي ، ومصدر
الاشعاع في دنيا الاسلام ، وكان جده الامام الحسين (ع) وأبوه الامام
زين العابدين يغذيانه بالمثل الكريمة ، ويفيضان عليه ما استقر في نفسيهما
من الخير والهدى ، ويعلمانه السلوك النير والاتجاه السليم ليكون قدوة
لهذه الأمة . . . وفيما يلي عرض لنشأته في ظلال جده وأبيه .

في ظلال جده :

وعنى الامام الحسين (ع) بتربية حفيده فأفرغ عليه أشعة من روحه
المقدسة التي أضاعت آفاق هذا الكون ، وكان فيما يرويه المؤرخون - يجلسه في
حجره ، ويوسعه تقبيلاً ، ويقول له :

« إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام . . » (١) .

وهو اشعار من الجد لحفيده بأن النبي (ص) ينتظر منه القيام بدوره
القيادي لأمته أن يفجر في ربوعها ينابيع الحكمة ، ويذيع فيها العلم ،
ويهديها إلى سواء السبيل وشاهد الامام الباقر (ع) وهو في غضون الصبا
جده الامام الحسين (ع) أيام المحنة الكبرى التي طافت به حينما أبتلي
بطاغية زماته ، وفرعون هذه الأمة يزيد بن معاوية الذي كان يشكل أعظم
خطر على الاسلام ، وقد دعاه لبيته ، والخنوع لحكمه ، فصرخ (ع) في
وجهه ، وانطلق في مسيرته الخالدة ، ليرفع كلمة الله عالية في الارض ، ويؤدي
رسالته الاسلامية بأمانة وإخلاص ، فضحى بنفسه وأهل بيته وأصحابه
بتلك التضحية المشرقة التي أقام بها مجد الاسلام ، وقضى بها على خصومه
واعدائه ، وقد زخرت بالقيم الكريمة والمثل العليا ، وتفاعلت مع عواطف

(١) تاريخ دمشق ٣٨/٥١ ، سير اعلام النبلاء ٢٤١/٤ من مصورات

مكتبة الحكيم .

الناس ومشاعرهم وهي تفيض بالعطاء السمع ، وتقدم أروع الدروس عن التضحية في سبيل الحق والواجب وستبقى ندية عاطرة في جميع الاحقاب والاباد وهي تمثل شرف الانسان وسمو قصده .

وقد جرت فصول تلك المأساة الخالدة أمام الباقر وهو في غضون الصبا ، يقول (ع) : « قتل جدي الحسين ولي أربع سنين ، واني لأذكر مقتله ، وما نالنا في ذلك الوقت » (٢)

وقد روى (ع) الكثير من فصولها ، وروى الطبري بسنده عنه بعض صورها ، كما ألف جماعة من أعلام أصحابه كتباً اسموها (مقتل الحسين) دونوا فيها ما سمعوه منه ، ومن غيره أهوال كارثة كربلا ، ذكر الكثير منها ابن النديم في فهرسته وعلى أي حال فإن تلك المأساة الخالدة قد تركت - من دون شك - في نفسه اعظم اللوعة والحزن ، وظلت مآسيها واشجانها ملازمة له طوال حياته .

في ظلال أبيه *مترجمة كتب أمير المؤمنين*

عاش الامام أبو جعفر (ع) في كنف أبيه الامام زين العابدين (ع) ما يزيد على (٣٤ عاماً) وقد لازمه وصاحبه طيلة هذه المدة فلم يفارقه ، وقد تأثر بهديه للشرق الذي يمثل هدي الانبياء والمرسلين ، فما رأى الناس مثل الامام زين العابدين (ع) في تقواه وورعه وزهده ، وشدة إنقطاعه واقباله على الله . . . ونلمع الى بعض أحواله وشؤونه لأن سيرته قد انطبعت في قرارة نفس الامام الباقر وارتسمت في اعماق ذاته ، وفيما يلي ذلك :

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦١ .

اكبار وتعظيم :

واجه رجال الفكر والعلم في عصر الامام زين العابدين علي تعظيمه
واكباره وتقديمه بالفضل على غيره وهذه بعض كلماتهم .

١ - سعيد بن المسيب .

وغمرت هيبة الامام وعظمته سعيد بن المسيب فراح يقول : « ما رأيت
قطباً افضل من علي بن الحسين ، وما رأيته قط إلا مقت نفسي ، ما رأيته
يوماً ضاحكاً . . » (٣) .

٢ - الزهري :

وهام الزهري بحب الامام يقول : « ما رأيت قرشياً افضل منه » (٤)
وقال : « ما رأيت أفقه من علي بن الحسين » (٥) .

٣ - زيد بن اسلم :

يقول زيد بن اسلم : « ما رأيت مثل علي بن الحسين » (٦) .

٤ - عمر بن عبد العزيز :

وقال عمر بن عبد العزيز لما أناه نعي الامام : « ذهب سراج الدنيا ،
وجال الاسلام ، وزين العابدين » (٧) .

٥ - أبو حازم :

يقول أبو حازم : « ما رأيت هاشمياً افضل من علي بن الحسين » (٨) .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٤٦/٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ٣٠٥/٧ ، وفي الحلية (ما رأيت هاشمياً افضل من
علي بن الحسين) .

(٥) حلية الاولياء ٣٠٩/٣ .

(٦) طبقات الفقهاء (ص ٣٤) .

(٧) تاريخ اليعقوبي ٤٨/٢ .

(٨) حلية الاولياء ١٤١/٣ .

٦ - مالك :

يقول مالك : « لم يكن في أهل بيت رسول الله (ص) مثل علي بن الحسين » (٩) .

٧ - جابر بن عبد الله :

ومن هام بحب الامام الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري يقول : « ما روي من أولاد الانبياء مثل علي بن الحسين . » (١٠)
٨ - الواقدي :

يقول الواقدي : « كان علي بن الحسين من أروع الناس وأعبدهم واتقاهم لله عز وجل . . » (١١)

وحكت هذه الكلمات إنطباعات هؤلاء الاعلام عن الامام ، فقد اقرؤا جميعاً على تقديمه بالفضل والعلم على غيره من ابناء الأسرة النبوية - في عصره - التي تمثل الكمال المطلق للإنسان .



سمو اخلاقه :

أما معالي أخلاقه فانها نعمة من روح الله يهتدي بها الخائر ويسترشد بها الضال وقد حاكى بهذه الظاهرة جده الرسول (ص) الذي امتاز على سائر النبيين بسمو اخلاقه .

وكان (ع) - فيما أجمع عليه المؤرخون - يقابل كل من اساء إليه بالعفو والصفح الجميل ، ويفدق عليه ببره ومعروفه ، ليقلع من نفسه جذور البغي والاعتداء على الغير ، وهذه بعض البوادر التي أثرت عنه .

(٩) تهذيب التهذيب ٣٠٥/٧ .

(١٠) الامام زين العابدين (ص ٧٣) .

(١١) البداية والنهاية ١٠٤/٩ .

أ - يقول المؤرخون : إن اسماعيل بن هشام المخزومي كان والياً على يثرب ، وكان من أعظم المبغضين والحاقدين على آل البيت (ع) وكان يبالغ في إيذاء الامام زين العابدين ، ويشتم آياه على المنابر ، تقرباً الى حكام دمشق ، ولما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بادر الى عزله والوقيعة به لهنات كانت بينه وبينه قبل أن يلي الملك والسلطان ، وقد أوعز بإيقافه للناس لاستيفاء حقوقهم منه ، وفزع هشام كاشد ما يكون الفزع من الامام (ع) لكثرة اساتته له ، وقال : ما أخاف إلا من علي بن الحسين فإنه رجل صالح يسمع قوله في ، ولكن الامام عهد إلى أصحابه ومواليه ان لا يتعرضوا له بمكروه ، وخف إليه فقابلته ببسمات فياضة بالبشر ، وعرض عليه القيام بما يحتاج اليه في محنته قائلاً له :

« يا بن العم عافاك الله لقد سامني ما صنع بك فادعنا إلى ما احببت . . »

وذهل هشام ، وراح يقول بأعجاب :

« الله اعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء . . » (١٢)

ب - ومن معالي اخلاقه هذه البادرة التي ترفعه الى مستوى لم يبلغه أي مصلح كان عدا آبائه ، كما تدل على امامته .

لقد روى المؤرخون أنه كان في كل يوم من شهر رمضان يذبح شاة ويطبخها ويوزعها على الفقراء والمحرومين ، وفي يوم حمل غلامه اناء فيه شيء من المرق وكان يغلي من شدة الحرارة فعثر الغلام باحد اطفال الامام ، فتوفي الطفل في الوقت ، فارتفعت الصيحة من العلويات ، وكان الامام يصلي فلما انفلت من صلاته أخسِر بوفاة ولده فاسرع (ع) الى الغلام فراه يرعد من شدة الخوف ، فقابلته بلطف وحنان ، وقال له :

« لقد ظننت بعلي بن الحسين الظنون ، ظننت أنه يعاقبك ويقتص

(١٢) وسيلة المال في عد مناقب الآل (ص ٢٠٨) .

منك . . اذهب فأنت حر لوجه الله ، وهذه أربعة آلاف دينار هدية إليك ،
واجعلني في حل من الخوف الذي داخلك من أجلي . . . » (١٣) .

أي نفس ملائكية هذه النفس ، إنها تتفوق نفوس عباد الله الصالحين
الذين امتحن الله قلوبهم بالإيمان . . . لقد ورث هذه الاخلاق العظيمة
من جده الرسول العظيم (ص) الذي أسس مكارم الاخلاق في الارض .
ج - ومن معالي اخلاقه أنه كان خارجاً من المسجد فالتقى به رجل
من شائثيه فقابل الامام بالسب والشتم فتار في وجهه بعض موالي الامام
وأصحابه فنهرهم (ع) وأقبل على الرجل بلطف قائلاً :

« ما ستر عليك من أمرنا أكثر . . . لك حاجة نعينك عليها . . »
واستحى الرجل وود أن الارض تسد وارتقه ، وبان عليه الانكسار
والندم ، وبادر نحوه الامام (ع) فالتقى عليه خميسة ، وأمر له بالف
درهم ، وطلق الرجل يقول : « اشهد أنك من بني الرسل » (١٤) .

هذه بعض البوار من معالي اخلاقه التي تفيض بالرحمة والحلم ، ونكران
الذات . . . والحق ان اخلاق أهل البيت (ع) مدرسة تقوم على الشرف
والنبل وعلى كل ما يسمو به الانسان .

نشره للعلم :

وانصرف الامام زين العابدين (ع) بعد كارثة كربلاء الى نشر العلم
واذاعته بين الناس ولم يقتصر على علم الحديث والفقه ، وإنما عني بالأخلاق
والآداب والفلسفة والحكمة .

وقد أمد الفكر الاسلامي بطاقات هائلة من العلم والحكمة وآداب

(١٣) صفة الصفوة .

(١٤) وسيلة للآل في عد مناقب الآل (ص ٢٠٨) .

السلوك حفلت بها صحيفته ، ورسائله في الحقوق ، وغيرهما من موسوعات الحديث وكتب الاخلاق ، وقد قام بدور ايجابي وبناء في ابراز مثل الاسلام وقيمه وتعاليمه .

حثه على طلب العلم :

وكان (ع) يحث المسلمين على طلب العلم ، ويدعوهم الى المبادرة في تحصيله لأنه الاداة الخلاقة لتطورهم وازدهار حياتهم يقول (ع) : « لو علم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج ، وخوض اللجج » . وأوصى (ع) بعض أصحابه ببسط العلم ونشره ، وأن لا يتجبر على من يعلمه ، يقول (ع) :

« فان أنت احسنت في تعليم الناس ، ولم تتجبر عليهم زادك الله من فضله ، وإن أنت منعت علمك ، وأخرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهائه ، ويسقط من القلوب علمك . » (١٥)

تكريمه لطلاب العلوم :

وكان (ع) يعتني بطلاب العلوم ويرفع مكانتهم ، فاذا رأى أحداً منهم رغب به وقال له : « مرحباً بوصية رسول الله (ص) » ويقول الامام الباقر (ع) كان أبي زين العابدين اذا نظر الى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم اليه ، وقال : مرحباً بكم أنتم ودائع العلم ، ويوشك اذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين (١٦) .

(١٥) مكارم الاخلاق (ص ١٤٣) لرضي الدين الطبرسي .

(١٦) الدر النظيم (ص ١٨١) الانوار البهية (ص ١٠٣) .

احتفاف القراء به :

واحتف القراء بالامام زين العابدين ، وكانوا لا يفارقونه فقد كانوا يكتسبون منه العلوم والمعارف والآداب ، وتحدث سعيد بن المسيب عن مدى ملازمتهم للامام يقول : إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مسكة حتى يخرج علي بن الحسين ، فخرج وخرجنا معه ألف راكب (١٧) .

عتقه للموالي :

وكان الامام زين العابدين (ع) يعطف على للموالي كأشد ما يكون العطف ، فكان يشتريهم ، ويشتري نساءهم ، ويعتقهم جميعاً لينعموا بالحرية والكرامة ، وإذا اعتقهم منهم الأموال الطائلة ، والثرل العريض ليستغنوا عما في أيدي الناس .

وقد تبني طائفة من الموالى فجعل يغذيهم بأنواع العلوم والمعارف ، وقد تخرج على يده مجموعة منهم كانوا من كبار العلماء في ذلك العصر ، وكان ذلك هو السبب في تزعم الموالى للحركة العلمية في تلك العصور ، كما أن ذلك هو السبب في انتشار الولام لأهل البيت (ع) عندهم ، وانضمامهم لكل حركة سياسية تدعو إلى التخلص من الحكم الأموي ، وارجاع الخلافة لأهل البيت (ع) الذين كانوا الملجأ لكل بائس ومحرور .

عبادته وتقواه :

وكان الامام زين العابدين من رهبان هذه الامة في عبادته وتقواه . وقد لقب بنبي الثغرات لكثرة سجوده ، كما لقب بالمتجدد ، وزين العابدين ، وسيد العابدين (١٨) والسجاد وهي تشير إلى كثرة عبادته ، وعظيم اقباله على الله ، وقد روى المؤرخون أنه إذا توضأ اصفر لونه ، فيقول له

(١٧) البحار ٢ / ٨٣ .

(١٨) الدر النظيم (ص ١٧٩) .

أهله : ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول لهم : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟ (١٩) وقد دخل عليه ولده الباقر فرآه قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، فقد اصفر لونه من السهر ورمصت عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته من كثرة السجود ، وورمت ساقاه من القيام في الصلاة ، فلم يملك ولده نفسه من البكاء ، وكان الامام زين العابدين في شغل عنه ، فلما بصر بولده أمره ان يناوله بعض الصحف التي فيها عبادة جده الامام أمير المؤمنين (ع) فناوله تلك الصحف فجعل يتأمل فيها ، ثم تركها ضجراً وراح يقول :

« من يقوى على عبادة علي ابن أبي طالب » :

وكان (ع) إذا قام للصلاة بين يدي الله توجهه بقلبه ومشاعره نحو الخالق العظيم ، فلا يشغله أي شأن من هذه الحياة ، ويقول الامام الباقر (ع) : كان أبي اذا وقف للصلاة لم يشتغل بغيرها ، ولم يسمع شيئاً لشغله بها وقد سقط بعض ولده فانكسرت يده ، فصاح أهله وجيء بالمجبر فجبر يده والصبي يصرخ من شدة الألم ، والامام لم يسمع فلما أصبح ورأى الصبي قد شدت يده فسأل عن ذلك فأخبره أهله بذلك (٢١) . وقد أجهده العبادة أي الجهاد ، فقد حمل نفسه من أمرها رهقاً ، وقد خاف عليه أهله ، فراحوا يتوسلون إليه لينخف من عبادته ، وهو يأبى ذلك ، يقول الامام الباقر (ع) : لما رأت فاطمة بنت الامام أمير (١٩)

درر الابكار في وصف الصفوة الاخيار من مصورات مكتبة

الامام الحكيم .

(٢٠) اعلام الوری (ص ٣٦٠) عيون الاختيار وفنون الآثار (ص

١٥١ - ١٥٢) الدر النظيم (ص ١٨٠) .

(٢١) الدر النظيم (ص ١٧٩) .

المؤمنين ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة
أقبلت إلى جابر بن عبد الله الانصاري فقالت له :

« يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقوقاً ، ومن حقنا عليكم أن
إذا رأيتم أحداً يهلك نفسه لاجتهاداً أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقيا
على نفسه ، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه ، ونقبت
جبهته وركبته وراحته بما دأب على نفسه في العبادة . . »

وانطلق جابر إلى الإمام زين العابدين فوجده في محرابه قد أضنته
العبادة ، واجهده الطاعة ونهض الإمام فاستقبل جابر ، واجلسه إلى جنبه ،
وسأله سؤالاً حفيماً عن حاله ، وأقبل جابر عليه قائلاً :

« يا بن رسول الله أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن
أحبكم ، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته
نفسك ؟ . . »

فاجابه الإمام بلطف وحنان قائلاً :

« يا صاحب رسول الله ، أما علمت أن جدي رسول الله قد غفر الله
له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر ، فلم يدع الاجتهاد له وتعبه - بأبي
وأمي - حتى انتفخ ساقه ، وورم قدمه ، وقد قيل له : اتفعل هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً
شكوراً . . . »

ولما نظر جابر إلى الإمام لا يغني معه قول يميل به من الجهد والتعب ،
طلق يقول له : « يا بن رسول الله ، البقية على نفسك ، فانك من
أسرة بهم يستدفع البلاء ، وبهم تستكشف الادواء ، وبهم تستمطر
السماء . . . »

فاجابه الإمام بصوت خافت :

« لا أزال على منهاج أبوي مؤتسماً بهما حتى القاهما . . . »
وبهر جابر ، واقبل على من حوله قائلاً :

« ما رؤي من أولاد الانبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب ،
والله لذرية الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب !! إن منهم لمن
يملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . . . » (٢٢)

لقد كان ، امام زين العابدين امام المتقين والمنيبين فقد اجتهد
في عبادته وأخلص في طاعته ، ولم يؤثر عن القديسين مثل ما أثر عنه من
الاقبال على الله .

صدقاته وبره :

وكان الامام زين العابدين من أبر الناس بالضعفاء ، وأرفقهم بالمساكين ،
وأرحمهم للبائسين ، وكان يؤثر اصحاب الفاقة على نفسه وأهله ، وقد اجمع
المؤرخون انه كان يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به ، ويقول : إن
صدقة السر تطفئ غضب الرب (٢٣) وكان يعول بمائة بيت في المدينة (٢٤)
وكان اذا ناول الفقير الصدقة قبله ثم ناوله (٢٥) وإنما كان يفعل ذلك
لئلا يبدو على الفقير أثر الذل والانكسار ، ويقول المؤرخون : ان الامام
أبا جعفر (ع) لما غسل أباه نظر بهض من كان حاضراً تفسيله الى
مواضع للمساجد من ركبتيه ، وظاهر قدميه كأنهما مبارك البعير من كثرة
(٢٢) الامام زين العابدين (ص ٧٢ - ٧٣) لاجد فهمي ، مناقب

ابن شهر اشوب ٤ / ١٤٨ .

(٢٣) حلية الاولياء ٣ / ١٣٦ .

(٢٤) حلية الاولياء ٣ / ١٣٦ .

(٢٥) حلية الاولياء ٣ / ١٣٦ .

سجوده إلا أنهم نظروا إلى عاتقه فوجدوا مثل ذلك الاثر عليه فسألوه عن ذلك فقال (ع) :

« أما إنه لو كان حياً ما حدثتكم عنه ، كان لا يمر به يوم من الايام إلا اشبع فيه مسكيناً فصاعداً ما أمكنه ، فإذا كان الليل نظر إلى ما فضل عن قوت عياله يومهم ذلك فجعله في جزاب فإذا هداً الناس وضعه على عاتقه ، وتخلل المدينة وقصد قوما لا يسألون الناس الخافاً فوصلهم من حيث لا يعلمون من هو ، ولا يعلم بذلك أحد من أهله غيري ، فاني كنت أطلعت على ذلك منه يرجو بذلك فضل إعطاء الصدقة بيده ، ودفعها سرّاً ، وكان يقول : صدقة السر تطفئ غضب الرب (٢٦) .

ويروي الامام الباقر (ع) بعض مبرات أبيه فيقول : كان أبي ربما يشتري مطرف الخبز بخمسين ديناراً فيشتو فيه ، ويدخل به المسجد فإذا كان الصيف أمر فيتصدق به ، أو يبيع فيتصدق بثمنه (٢٧) .

لقد كان الامام زين العابدين (ع) نسخة لا ثاني لها في تأريخ الانسانية ، فان مقاييسه الخلقية ، وفضائله النفسية لترفعه إلى مستوى لم يبلغه أي انسان عدا آباءه .

رائعة الفرزدق :

وحج الامام زين العابدين (ع) بيت الله الحرام ، وكان قد حج هشام بن عبد الملك ، وقد جهد هشام على استلام الحجر فلم يستطع لزحام الناس على الحجر ، ونصب له منبر فجلس عليه ، وجعل ينظر إلى طواف الناس ، واقبل الامام زين العابدين ليؤدي طوافه ، فلما بصر به الحجاج غمرتهم هيبتة التي تحكي هيبة جده رسول الله (ص) وتعالى الاصوات

(٢٦) دعائم الاسلام ٢ / ١٨٨ .

(٢٧) دعائم الاسلام ٢ / ١٥٦ .

بالتهليل والتكبير ، وانفرج الناس له سماطين ، وكان السعيد من يراه ،
والسعيد من يقبل يده ، ويلمس كتفه ، فانه بقية الله في أرضه ، وذهل
اهل الشام ، وبهروا ، وتطلعت اليه أعناقهم وأبصارهم فان هشام المرشح
للخلافة بعد أبيه مع ما احيط به من هالة التكريم من اهل الشام
واحتفاف الشرطة به ، فانه لم ينل أي لون من ألوان الخفاوة من الحجاج ،
وبادر أحد اصحابه فقال له :

« من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة ؟ »

وتميز هشام من الغيظ ، وانتفخت أوداجه فصاح بالرجل
« لا اعرفه . . »

وانما انكر معرفته للأمام بخافة أن يرغب فيه الناس ، وكان الفرزدق
حاضراً ، فلم يملك أهابه فقال لاهل الشام :
« أنا اعرفه »



« من هو يا أبا فراس ؟ »
وصاح هشام بالفرزدق قائلاً :

« أنا لا اعرفه »

« بلى تعرفه »

ونهمض فانشد هذه الرائعة التي كانت أشد وقعاً على هشام من ضرب
السيوف وطمع الرماح قائلاً :

هذا سليل حسين وابن فاطمة	بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأيته قریش قال قائلاً : يرقى الى ذروة العز الذي قصرت	الى مسكرم هذا ينتهي الكرم
	عن نيلها عرب الاسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته
يفضي حياءً ويفضي من مهابة
بكفه خيزران ريحها عبق
من جده دان فضل الانبياء له
ينشق نور الهدى عن نور غرقه
مشتقة من رسول الله نبعته
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
الله شرفه قدما وفضله
فليس قولك من هذا بضائره
كلتا يديه غياث عم نفعهما
جمال افعال اقوال اذا قدحوا
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته
من معشر حبيب دين وبغضهم
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم
هم الغيوث اذا ما ازمة ازمة
لا ينقص العسر بسطاً من اكفهم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
يا بى لهم ان يحل الذل ساحتهم
أي الخلائق ليست في رقابهم
من يشكر الله يشكر أولية ذا

ركن الخطيئ اذا ما جاء يستلم
فلا يسكنم الا حين يهتسم
من كف أروع في عرينه شمم
وفضل أمته دانت له الامم
كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
طابت عناصرها والخيم والشم
بجده انبياء الله قد ختموا
جرى بذاك له في لوحه القلم
العرب تعرف من انكرت والعجم
يستو كفان ولا يعرفهما عدم
حلو الشمائيل تحلو عنده نعم
رحب الفناء أريب حين يعتزم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
أو قيل من خير أهل الارض قيل هم
ولا يداينهم قوم وان كرموا
والامد أسد الشرى والبأس محتدم
سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
ويسترد به الاحسان والنعم
في كل أمر ومختوم به الحكم
خيم كريم وأيد بالهدى هضم
لاولية هذا أولا نعم
فالدين من بيت هذا باب الامم

وثار هشام وود ان الارض قد خاست به ، ولا يسمع هذه القصيدة

العصماء التي دلت على واقع الامام العظيم ، وعرفته لاهل الشام الذين
 يجهلوه وجهلوا آباءه ، وأمر بالوقت باعتقال الفرزدق بمسغان بين مكة
 والمدينة ، وبلغ ذلك الامام زين العابدين فبعث اليه بأثني عشر الف درهم
 فردها الفرزدق ، واعتذر من قبولها ، وقال : إنما قلت فيكم غضباً لله
 ورسوله فردها الامام عليه فقبلها ، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وكان
 بما هجاه به :

ليحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوى منيها
 يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعين له حواء باد عيوبها (*)

الحزن العميق :

ولم ينكب أحد في هذه الدنيا بمثل ما نكب به الامام زين العابدين
 عليه السلام فقد عانى أهوال كارثة كربلاء ، وشاهد فصول تلك المأساة
 الخالدة في دنيا الاحزان ، وكان مريضاً قد ألمت به العلل والامراض ،
 وقد ادمت قلبه تلك المشاهد الحزينة فكانت تبشبه على الاستمرار في البكاء
 واللوعة ، وكان حزنه يزداد تحرقاً وتأججاً كلما تقدمت الايام حتى براه
 الحزن ، وبلغ من عظيم حزنه انه ما قدم له طعام ولا شراب إلا مزجه
 بدموع عينيه حزناً على أبيه (٢٨) وألح عليه بعض مواليه ان يخلد الى
 الصبر ويخفف لوعة المصاب فقال له : اني اخاف عليك أن تكون من
 المهالكين ، فاجابه الامام برفق ولطف قائلاً :

« يا هذا إنما اشكو بي وحزني الى الله ، واعلم ما لا تعلمون ، ان
 يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من اولاده وعنده اثنا عشر ولداً ،
 وهو يعلم أنه حي فبكى عليه حتى أبيضت عيناه من الحزن ، وأني نظرت

(*) نهاية الارب ٢١ / ٣٢٧ - ٣٣١ .

(٢٨) حياة الامام الحسين ٣ / ٣٢٧ .

إلى أبي وأخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني ؟ !
واني لا أذكر مصرع ابن فاطمة إلا خنقتني العبرة ، وإذا نظرت إلى عماتي
وأخواتي ذكرت فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة ، ومنادي القوم
ينادي أحرقوا بيوت الظالمين . . . »

لقد كانت تلك المشاهد المفجعة التي تم تمثيلها على صعيد كربلاء تبعثه
على الحزن والأسى حتى عد من البكائين الخمسة الذين مثلوا الحزن والبكاء
على مسرح الحياة في جميع الاحقاب والاباد .
وكان الامام الباقر (ع) ينظر الى هذا الحزن المرهق الذي حل بأبيه
فيجزع كأشد ما يكون الجزع وربما شاركه في بكائه ولوعته .

وصاياه لولده الباقر :

وزود الامام العظيم ولده الباقر وسائر ابنائه بوصايا تربوية حفلت
بالآداب العالية والقيم الكريمة التي تضمن لمن عمل بها السلامة والراحة ،
وتهيء له جواً من الطمأنينة ، والبعد عن مشاكل هذه الحياة . . . وهذه
بعضها :

١ - قال (ع) لولده الباقر : « يا بني لا تصحبن خمسة ، ولا تحادثهم ،
لا تصحبن الفاسق فإنه يبيعك بأكلة فما دونها ، قلت : يا أبت وما دونها ؟
قال : يطمع فيها ثم لا ينالها ، ولا تصحب البخيل فإنه يقطع بك أحوج
ما تكون إليه ، ولا تصحب الكذاب فإنه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ،
ويقرب منك البعيد ، ولا تصحب الاحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ،
وقد قيل : عدو عاقل خير من صديق أحمق ، ولا تصحب قاطع رحم فإنه
ملعون في كتاب الله في ثلاثة مواضع : في سورة محمد قال تعالى : « فهل
عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين

لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم « (٢٩) وفي سورة الرعد حيث يقول تعالى : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار . » (٣٠) وفي سورة الأحزاب حيث يقول الله تعالى : « ان الذين يؤذن الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً . » (٣١) . . « (٣٢) وقد حذر الامام (ع) في هذه الوصية من مزاملة هؤلاء الاشخاص للمصابين في اخلاقهم خوفاً من انتقال امراضهم النفسية الى من يصحبهم فان للصحبة أثراً فعالاً في تكوين السلوك الشخصي للفرد .

٢ - وأوصى (ع) ولده الامام الباقر بهذه الوصية القيمة قال له : « افعل الخير الى كل من طلبه منك فان كان أهلاً فقد اصبت موضعه ، وإن لم يكن باهل كنت أنت اهله ، وأن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول الى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره . . » (٣٣) . وحفلت هذه الوصية بمكارم الاخلاق التي طبعت عليها نفوس أهل البيت (ع) فان الحث على فعل الخير ، والصفح عن المسيء كل ذلك من ذاتياتهم ومن أبرز ما عرفوا به .

٣ - قال الامام الباقر (ع) : كان أبي علي بن الحسين يقول لولده : « اتقوا الكذب الصغير منه ، والكبير في كل جد وهزل لأن الرجل إذا

(٢٩) سورة محمد : آية ٢٢ و ٢٣ .

(٣٠) سورة الرعد : آية ٢٥ .

(٣١) سورة الأحزاب : آية ٥٧ .

(٣٢) الاتحاف بحب الأشراف (ص ٥٠) .

(٣٣) تحف العقول (ص ٢٨٢) .

كذب في الصغير اجتراً على الكبير . . . » (٣٤) .

لقد روى الامام (ع) ولده بمحاسن الاعمال وغرس في نفوسهم النزعات الشريفة ، ونهاهم عن كل ما يوجب انحطاط الانسان في سلوكه .

٤ - وأوصى (ع) ولده الامام الباقر بهذه الوصية الرفيعة قال (ع) : « يا بني العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والعقل ترجمان العلم ، واعلم أن العلم ابقى ، اللسان اكثر هذراً ، وإن اصلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين . بهما اصلاح شأن للعائش ملء مكتال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل (٣٥) لأن الانسان لا يتغافل عن شيء قد عرفه ففطن له ، واعلم ان الساعات تذهب عمرك ، وانت لاتنال نعمة إلا بفراق أخرى وإياك والأمل الطويل فكم من مؤمل لا يبلغه ، وجامع مال لا يأكله ، ومانع مال سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه اصابه حراماً وورثه واحتمل اصره ، وباء بوزره وذلك هو الخسران المبين . » (٣٦)

هذه بعض وصاياه وقد حفلت بالآداب الرفيعة والحكم القيمة والتوجيه السليم ، ولم يضمها لأبنائه فقط ، وإنما وضعها للناس جميعاً على اختلاف قومياتهم وأديانهم .

أدعيته لولده :

أما ادعية الامام على وجه العموم فانها تمثل جانباً اصيلاً ومشرقاً من جوانب التربية الاسلامية ، وهي من افضل الوسائل لتهديب النفوس ، وتقويم الاخلاق .

لقد رأى الامام العظيم الأمة - في عصره - قد غمرتها سحب قاتمة من التدهور الديني والخلقي والاجتماعي فوضع أدعيته - التي عرفت

(٣٤) وسائل الشيعة ٣ / ٢٣٢ .

(٣٥) أثرت هذه الكلمة الذهبية في كثير من المصادر الى الامام الباقر .

(٣٦) كفاية الأثر (ص ٣١٩) للخزاز .

با (لسجادية) ليعالج بها الأمراض النفسية ، ويعيد الأمة ما فقدته من
أرصدها الروحية والفكرية ، وهي من اثنى الثروات الاسلامية بعد القرآن
الكريم ونهج البلاغة .

ان ادعية الامام (ع) تتفجر بالعلم والحكمة ، وتفيض بروح الايمان
والاسلام ، وتمد الأمة بما تحتاجه من التعليم لضمان توازنها الاجتماعي
والفردى ، . . . وكان من بين ادعيته الشريفة هذا الدعاء الذي خص به
ولده يقول (ع) : « اللهم ومن علي ببقاء ولدي ، وباصلاحهم لي ،
وبامتاعي بهم ، الهي : أمدد لي في اعمارهم ، وزد في آجالهم ، ورب لي
صغيرهم ، وقولي ضعيفهم ، واصح لي أبدانهم واديانهم ، واخلاقهم ، وعافهم
في أنفسهم وفي جوارحهم وفي كل ما غيبت به من أمرهم ، وادرر لي وعلى
يدي لرزاقهم ، واجعلهم ابراراً اتقياء ، بصراء سامعين مطيعين لك ولأوليائك
محبين مناصحين وجميع اعدائك معاندين ومبغضين آمين .

اللهم أشدد بهم عضدي ، وأقم بهم أودي ، وكثر بهم عددي ، وزين
بهم محضري ، واحي بهم ذكري ، واكفني بهم في غيبي ، واعني بهم على
حاجتي ، واجعلهم لي محبين ، وعلى حديين مقبلين ، مستقيمين لي مطيعين
غير عاصين ، ولا عاقين ولا مخالفين ، ولا خاطئين ، واعني على تربيتهم
وتأديبهم ، وهب لي من لدنك معهم اولاداً ذكوراً ، واجعل ذلك خيراً لي ،
واجعلهم لي عوناً على ما سألتك ، واعذني وذريتي من الشيطان الرجيم ،
فانك خلقتنا وأمرتنا ونهيتنا ، ورغبتنا في ثواب ما أمرتنا ورهبتنا عقابه ،
وجعلت لنا عدواً يكيدنا سلطته منا على ما لم تسلطنا عليه منه اسكنته
صدورنا ، واجريته بجاري دماننا ، لا يغفل ان غفلنا ، ولا ينسى ان
نسينا ، يؤمننا عقابك ، ويخوفنا بغيرك ، إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها ،

وان هممنا بصالح ثبطينا عنه ، يتعرض لنا بالشهوات ، وينصب لنا بالشبهات إن وعدنا كذبنا ، وإن منانا اخلفنا ، وإلا تصرف عنا كيده يضلنا وإلا تقنا خياله يستزلنا .

اللهم : فاقهر سلطانه عنا بسلطانك حتى تحبسه عنا بكثرة الدعاء لك فنصبح من كيده في المعصومين بك . . . اللهم فاعطني كل سؤلي ، واقض لي حوائجي ، ولا تمنعني الاجابة ، وقد ضمنتها لي ، ولا تحجب دعائي عنك وقد امرتني به . . . وامن علي بكل ما يصلحني في دنياي وآخرتي ما ذكرت منه وما نسيت ، أو أظهرت أو أخفيت ، أو أعلنت أو أسررت ، واجعلني في جميع ذلك من المصلحين بسؤلي إياك ، المنجحين بالطلب إليك غير الممنوعين بالتوكل عليك ، المعوذين بالتموذ بك ، والراغبين في التجارة عليك ، والمجارين بعزك ، الموسع عليهم الرزق الحلال من فضلك ، الواسع بجلودك وكرمك ، المعزين من الذل بك ، والمجارين من الظلم بعدك ، والمعافين من البلاء برحمتك ، والمفنين من الفقر بفنائك ، والمعصومين من الذنوب والزلل والخطأ بتمواك ، والموفقين للخير والرشد والصواب بطاعتك ، والمحال بينهم وبين الذنوب بقدرتك ، التاركين لكل معصيتك ، الساكنين في جوارك .

اللهم : اعطنا جميع ذلك بتوفيقك ورحمتك واعذنا من عذاب السعير واعط جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات مثل الذي سألتك لنفسي ولولدي في عاجل الدنيا وآجل الآخرة انك قريب بغيث ، سميع علیم ، عفو ، غفور ، رؤف رحيم ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . . . » (٣٧)

(٣٧) الصحيفة السجادية دعاء (٢٥) .

لقد وضع الامام العظيم مناهج التربية ، واخلاق الاسلام بهذا الدعاء الشريف الذي هو من نفحات النبوة ، ومن عبقات الامامة ، ومن الصفحات المشرقة من تراث أهل البيت (ع) ، فقد عني فيه الامام بتربية ابنائه تربية تقوم على تهذيب الاخلاق ، وتطهير النفوس من الزينغ والآثام . . . لقد دعا لهم بالصحة في الأديان ، والمعاونة من إقتراف ما حرمه الله ، ودعا لهم بالاستقامة والتوازن في سلوكهم ليكونوا قرة عين له ، وعوناً له على شؤون هذه الحياة ، ومن الطبيعي ان الأب إنما يسعد بولده فيما إذا استقامت اخلاقه وكان صالحاً في هديه وسلوكه ، وأما إذا شذ عن ذلك فإنه يحول حياة أبويه الى جحيم لا تطاق .

في ذمة الخلود :

واجهد الامام العظيم نفسه في العبادة ، واخلص في طاعته لله كاعظم ما يكون الاخلاص ، فلم ينس الناس مثله في تقواه وورعه ، وشدة تحرجه في الدين . . . لقد كانت حياته مدرسة للتقوى ومدرسة للإيمان ، ومنطلقاً للتهذيب والاصلاح ، وقد اكبره الناس أي اكبار لأنه بقية النبوة ، وبقية الله في أرضه ، فكان السعيد من يراه ، والسعيد من يحظى بمجالسته ، والحديث معه ، وشق ذلك على الامويين الذين كانوا من أحقد الناس على الأسرة النبوية ، فقد هالهم واقض مضجهم اجماع الناس على اكباره وتحديثهم عن سعة علومه ومعارفه ، وذيوخ مثله التي تعنو لها الجباه ، وكان من اعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك فقد روى الزهري ان الوليد قال له : لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا (٣٨) واجمع رأي

(٣٨) حياة الامام علي بن الحسين (ص ٤٢٦) .

هذا الحديث الدنس على اغتيال الامام حينما آل إليه الملك والسلطان ،
ونعرض فيما يلي الى ذلك مع ذكر الاحداث التي رافقت سم الامام .
سده :

وقام الوليد بن عبد الملك بأخطر جريمة في الاسلام ، فقد بعث سماً
قاتلاً الى عامله على يثرب ، وأمره ان يدرسه الى الامام (٣٩) ونفذ عامله
ذلك ، وحينما سقى السم أخذ يعاني اقصى الآلام وأشدّها ، وبقي حفة
من الايام على فراش المرض يبت شكواه الى الله ، وتزاحم الناس على
عيادته ، وهو (ع) يحمد الله ويشكره على ما رزقه من الشهادة على يد
شرار بريته .

نصه على امامة الباقر :

وعهد (ع) بالامامة الى ولده الباقر ونص عليه يقول الزهري دخلت
اليه عائداً فقلت له : *مركز تحقيق علوم ديني*
« إن وقع من أمر الله ما لا بد منه ، فإني من نختلف بعدك ؟ »
فنظر الامام اليه برفق وقال له :
« إني ابني هذا - وأشار الى ولده الباقر - فانه وصي ووارثي وعية
علمي ، هو معدن العلم وبقاره . . »
« هلا أوصيت الى أكبر ولدك ؟ . . »
« يا أبا عبد الله ليست الامامة بالكبر والصغر ، هكذا عهد إلينا

(٣٩) نور الابصار (ص ١٢٩) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص
٢٣٣) الاتحاف بحب الاشراف (ص ٥٢) الصواعق المحرقة (ص ٥٣)
جدول مصباح الكفعمي (ص ٢٧٦) .

رسول الله (ص) وهكذا وجدناه مكتوباً في اللوح والصحيفة . . «
 « يا بني رسول الله عهد اليكم نبيكم أن تكونوا الأوصياء بعده ؟ . . »
 « وجدنا في الصحيفة واللوحة اثني عشر اسماً مكتوبة في اللوح
 امامتهم واسماء آباؤهم وامهاتهم ، ثم قال : ويخرج من صلب محمد ابني
 سبعة من الاوصياء منهم المهدي . . » (٤٠)
 ودخل عليه جماعة من اعلام شيعته فدلهم على امامة ولده الباقر ،
 ونصبه مرجعاً وعلماً لأمة جده ، ثم دفع إليه سقطاً وصندوقاً فيه موارث
 الانبياء ، وكان فيه سلاح رسول الله (ص) وكتبه (٤١) .

وصيته لولده الباقر :

وعهد الامام زين العابدين (ع) الى وصيه وسيد ولده الامام الباقر (ع)
 بما أهمه وكان من جملة ما أوصاه به .
 ١ - إنه قال له : اني حججت على ناقتي هذه عشرين حجة لم أقرعها
 بسوط ، فاذا نفقت فادفنها ، لا تأكل لحمها السباع ، فان رسول الله (ص)
 قال : ما من يعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من
 نعم الجنة ، وبارك في نسله ، ونفذ الامام الباقر ذلك (٤٢) .
 ٢ - إنه أوصاه بهذه الوصية القيمة التي تكشف عن الجوانب المشرقة
 من نزعات أهل البيت (ع) فقد قال له : « يا بني أوصيك بما أوصاني
 به أبي حين حضرته الوفاة ، فقد قال لي : يا بني إياك وظلم من لا يجد

(٤٠) كفاية الأثر للخزار ، اثبات الهداة ٢٦٤/٥ .

(٤١) بصائر الدرجات (ص ١٤٦) اثبات الهداة ٢٦٨/٥ .

(٤٢) عاين البرقي ٦٣٥/٢ .

عليك ناصرأ إلا الله » (٤٣) .

٣ - إنه عهد اليه ان يتولى غسله وتكفينه (٤٤) وسائر شؤونته حتى يواريه في مقبره الأخير .

الى الرفيق الأعلى :

وثقل حال الامام ، واشتد به النزع ، وقد أخبر أهل بيته أنه في غلس الليل سوف ينتقل الى جنة المأوى ، وقد اغمي عليه ثلاث مرات فلما أفاق قرأ سورة (الواقعة) وسورة (إنا فتحنا) ثم قال (ع) : « الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الجنة نتبوا منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين . . » (٤٥)

ثم ارتفعت تلك الروح العظيمة الى بارئها كما ترتفع أرواح الانبياء والمرسلين ، تحفها ملائكة الرحمن ، وتحفها الطاف الله وتحياته ورضوانه . لقد سمت روحه الى جنة المأوى بعد أن أضاءت آفاق هذا الكون ، وأشرقت بها عوالم الدنيا ، وذلك بما تركته من سيرة ندية يهتدى بها الحائر ، ويرشد بها الضال .

تجهيزه :

وقام الامام أبو جعفر بتجهيز جثمان أبيه فغسل جسده الطاهر ، وقد رأى الناس مواضع سجوده كأنها مبارك الأبل من كثرة سجوده الخالقه ، ونظروا الى عاتقه كأنه مبارك الأبل أيضاً ، فسألوا الباقر عن ذلك فأخبرهم

(٤٣) الخصال (ص ١٨٥) الامالي (ص ١٦١) .

(٤٤) الخرايج (ص ٢٠) .

(٤٥) روضة الكافي .

أنه من أثر الجراب الذي كان يحمله على عاتقه ويضع فيه الطعام ويوزعه على الفقراء والمحرولين .

وبعد الفراغ من غسله أدرجه في اكفائه ، وصلى عليه الصلاة المكتوبة .

تشيعه :

وشيع الإمام بتشيع حافل لم تشهد له يثرب نظيراً ، فقد شيعه البر والفاجر وبكاه الناس جميعاً ، فقد فقدوا بموته الخير الكثير ، وفقدوا تلك الروحانية التي لم يخلق لها مثيل ، وقد ازدحم الناس على الجثمان المقدس فالسعيد من يحظى برفعه ، ومن الغريب أن سعيد بن المسيب ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة لم يفر بتشيع الإمام والصلاة عليه ، وانكر عليه حشرم مولى اشجع ، فقال له سعيد : أصلي ركعتين في للمسجد أحب إلى من أن أصلي على هذا الرجل الصالح في البيت الصالح (٤٦) وقد حرم سعيد من الفوز بتشيع الإمام الذي هو أبقى انسان خلقه الله بعد آباءه الطاهرين .

في مقره الأخير :

وجى بالجثمان العظيم في وسط هالة من التكبير والتحميد الى بقيع الغرقد فحفروا له قبراً بجوار قبر عمه الزكي الإمام الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة ، وأنزل الإمام الباقر جثمان أبيه فواراه في مقره الأخير ، وقد وارى معه البر والتقوى والحلم ، ووارى روحانية الأنبياء والمؤمنين .

وبعد الفراغ من دفنه هرع الناس نحو الإمام الباقر (ع) وهم يرفعون له تمازيهم الحارة ويشاركونه في لوعته واساه ، والإمام مع أخوته وسائر بني هاشم يشكرونهم على ذلك .

وانصرف الإمام أبو جعفر (ع) إلى بيته بعد أن وارى أباه في بقيع

(٤٦) رجال الكشي (ص ٧٦) .

الفرقة وهو غارق في البكاء ، وقد احتف به بنو هاشم ، وإبناء الصحابة ،
وسائر وجوه المسلمين وهم يذرفون الدموع على الامام زين العابدين ،
ويعددون مزاياه ومآثره ، ويذكرون بمزيد من الأسى والخسارة العظمى
التي منى بها المسلمون بمقتله .

وقد تسلم الامام الباقر (ع) بعد وفاة أبيه القيادة الروحية والمرجعية
العامة للعالم الاسلامي ، فقد انتقلت اليه الامامة ، والزعامة الدينية عند
الشيعة (٤٧) ، وأخذ منذ تلك اللحظة ينشر العلم ، ويلقى على العلماء الدروس
الخاصة في شؤون الشريعة الاسلامية واحكام الدين .

وقد عاش الامام الباقر (ع) في كنف أبيه (٣٩ سنة) حسبما ذكره
اكثر المؤرخين (٤٨) وقد وهم للمستشرق روليت م . رولندس حيث ذكر ان
عمره حينما انتقلت اليه الامامة كان (١٩ سنة) (٤٩) فان ذلك نشأ
من قلة التتبع وعدم التثبت في شؤون التاريخ الاسلامي .

أسطورة : مركزية كوفيته في كربلاء

من الموضوعات ما رواه ابن عساكر في تاريخه بأسناده عن محمد بن
جعفر السامري قال ما نصه : سمعت أبا موسى المؤدب يقول : قال قيس
ابن النعمان : خرجت يوماً الى بعض مقابر المدينة فاذا أنا بصبي جالس
عند قبر يبكي بكاءً شديداً ، وإن وجهه ليلقي شعاعاً من نور فأقبلت

(٤٧) العقد الفريد ٢٠٤/٥ .

(٤٨) جاء في تاريخ الأئمة (ص ٥) لأبن أبي الثلج البغدادي انه

اقام مع أبيه (٣٥ سنة) إلا شهرين .

(٤٩) عقيدة الشيعة (ص ١٢٣) .

عليه ، فقلت : أيها الصبي ما الذي اعتقلت له من الحزن حتى أفردك بالخلوة في مجالب الموتى والبكاء على أهل البلاء ، وأنت بفرارة (٥٠) الحداثة مشغول عن اختلاف الأزمان ، وحنين الأحزان ؟ ! فرفع الصبي رأسه ، وطأطأه واطرق ساعة لا يحيد جواباً ثم رفع رأسه وهو يقول :

ان الصبي صبي العقل لا صغر لزرى بندي العقل فينا لا ولا كبر
ثم قال لي : يا هذا إنك نخلي الذرع من الفكر ، سليم الاحشاء من
الحرقه ، آمنت تقارب الأجل بطول الأمل ، ان الذي أفردني بالخلوة في
مجالب أهل البلاء يذكرني قول الله عز وجل « إذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون » فقلت : بأبي أنت وأمي من أنت ؟ فاني لأسمع كلاماً
حسناً ، فقال : إن من شقاوة أهل البلاء قسلة معرفتهم بأولاد الانبياء ،
أنا محمد بن علي بن الحسين ، وهذا قبر أبي فأني أنس أنس من قربه ؟
وأي وحشة تكون معه ؟ ثم انشأ يقول :

ما غاض دمعي عند نازلة إلا جعلت لها البكا سبباً
إني احل ثرى حلمت به من أن أرى بسواك مكتئباً
فاذا ذكرتك ساءحتك به من الدموع اذا ما فاض فأنسكبها

قال قيس : فانصرف ، وما تركت زيارة القبور منذ ذاك (٥١) والذي يدل على وضع هذه الرواية انها ذكرت ان الامام كان صبياً بعد وفاة أبيه ، وبما اجمع عليه المؤرخون ان عمره الشريف في ذلك الوقت كان تسعاً وثلاثين سنة مع أن التأمل في فصولها يوحي بانها من الموضوعات .

(٥٠) الفرارة : هي الحداثة في السن .

(٥١) تاريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٤ - ٤٥ .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الامام محمد الباقر في ظلال جده وأبيه ،
وقد ورث منهما أجل ما تورثه الاصول للفروع ، فقدم ورث منهما العلم
والحكمة وفصل الخطاب .



مرکز تحقیقات کتب و نشر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلمه و نور علوم اسلامی

اِحْوَتُهُ وَابْنَاؤُهُ

أما البحث عن شؤون السادة من أخوان الامام الباقر وإبنائه ، ومدى
علاقتهم معه فإنه ضروري حسب الدراسات الحديثة لأنه يكشف جانباً
من جوانب حياته في ظلال أسرته التي تعد من المكونات التربوية للشخص
- حسبما يقول علماء التربية - وفيما يلي ذلك .

أخوته :

أما علاقة الامام بأخوته فقد كانت وثيقة للغاية تسودها المحبة والألفة
واجتناب هجر الكلام ومرء ، وقد قيل له :

« أي اخوانك أحب إليك ؟ »

فأجاب (ع) أنه لا يفرق بينهم ، وأنه يكن لهم جميعاً اعظم اللودة
والاخلاص قائلاً :

« أما عبد الله فيدي التي ابطل بها (١) وأما عمر فبصري الذي
ابصر به ، وأما زيد فلساني الذي أنطق به ، وأما الحسين فحليم يمشي
على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً . . » (٢) .

لقد توفرت في اخوان الامام (ع) جميع النزعات الكريمة من
الورع والتقوى ، والصلاح ، قد غذاهم أبوهم الامام زين العابدين (ع)
بهديه ، وأفاض عليهم أشعة من روحه فأنارت قلوبهم بجوهر الاسلام
وواقع الايمان ، ونقدم عرضاً موجزاً لبعض شؤونهم :

زيد الشهيد :

أما زيد الشهيد فهو مليء فم الدنيا في فضله وعلمه وشحمه وإباته ،

(١) عبد الله : هو أخو الامام الباقر لأمه وأبيه .

(٢) سفينة البحار ٢ / ٢٧٣ .

وهو أحد أعلام الأسرة النبوية الذين رفعوا كلمة الله عالية في الأرض ،
وقدموا أرواحهم قرابين خالصة لوجه الله ليحققوا العدالة الإسلامية ، ويعيدوا
بين الناس حكم القرآن ، ويقضوا على معالم الظلم الاجتماعي التي أوجدها
الحكم الأموي بين الناس ، ونلمع الى بعض سيرته وشؤونه .

ولادته :

كانت ولادة زيد الشهيد سنة (٧٨ هـ) (٣) وقيل سنة (٧٥ هـ) (٤)
ولما بشر به أبوه الإمام زين العابدين (ع) أخذ القرآن الكريم وفتحه
متفائلاً به فخرجت الآية الكريمة « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة » (٥) فطبقه وفتحه ثانياً فخرجت الآية « ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » (٦)
وطبق المصحف ثم فتحه فخرجت الآية « وفضل الله المجاهدين على
القاعدين » (٧) وبهر الإمام ورأى يقول :

« عزيت عن هذا المولود وأنه لمن الشهداء . . » (٨)

لقد تنبأ الإمام (ع) بشهادة ولده واحاط أصحابه علماً بها ، فلم
يخامرهم شك في ذلك .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٦ / ١٨ .

(٤) الحقائق الوردية ١ / ١٤٣ .

(٥) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٦) سورة آل عمران : آية ١٦٩ .

(٧) سورة النساء : آية ٩٥ .

(٨) الروض النضر ١ / ٥٢ .

نشأته :

نشأ زيد في بيوت النبوة والامامة ، وتغذى بلباب الحكمة ، فكان أبوه الامام زين العابدين الذي هو أفضل انسان في عصره يتعاهده بالآداب ، ويرسم له طرق الهداية والخير ، فتأثر بسلوكه ، وانطبع في دخائل نفسه نزعاته المشرقة ، فكان البارز من صفاته - فيما يقول للمؤرخون - الزهد والورع ، والتخرج في الدين ، فلم يتبع قيادة نفسه وإنما أثر رضا الله وطاعته على كل شيء .

وقد لازم منذ نعومة اظفاره أخاه الامام الباقر الذي هو خليفة أبيه ووصيه ، ووارث علومه ، ومن الطبيعي ان لهذه الصحبة أثراً فعالاً في سلوكه وتكوين شخصيته ، فقد كان في هديه يضارع هدي آبائه الذين طهرهم الله من الرجس والزيغ وأبعدهم عن مآثم هذه الحياة .

عبادته وتقواه :

وأخلص زيد في العبادة والانابة لله ، فكان من أبرز المتقين في عصره يقول عاصم بن عبيد العمري : « رأيتوه وهو شاب بالمدينة يذكر الله فيغشى عليه ، حتى يقول القائل ما يرجع الى الدنيا » (٩) وكان يعرف عند أهل المدينة بحليف القرآن (١٠) وقد أثر السجود بوجهه (١١) لكثرة صلاته طوال الليل (١٢) لقد اتجه بهواطفه ومشاعره نحو الله ، وسلك

(٩) مقاتل الطالبين (ص ١٢٨) .

(١٠) مقاتل الطالبين (ص ١٣٠) .

(١١) مقاتل الطالبين (ص ١٢٨) .

(١٢) الخرايج والجرايح (ص ٣٢٨) .

كل ما يقربه إليه زلفى .

علمه وأدبه :

وكان زيد من علماء عصره البارزين ، وكان موسوعة في الحديث والفقه والتفسير واللغة والأدب ، وعلم الكلام ، وقد سأل جابر الإمام الباقر (ع) عن زيد فأجابه (ع) « سألتني عن رجل ملئ إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدمه . » (١٣) .

وقال (ع) فيه : « ان زيدا أعطي من العلم بسطة » (١٤) وقد تحدث زيد عن سعة علومه ومعارفه حينما أعد نفسه لقيادة الأمة ، والثورة على الحكم الأموي ، يقول :

« والله ما خرجت ، ولا قمت مقامي ، هذا ، حتى قرأت القرآن ، وإتقنت الفرائض واحكمت السنة والآداب ، وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل ، وفهمت الناسخ والمنسوخ والحكم والمتشابه ، والخاص والعام ، وما تحتاج إليه الأمة في دينها بما لا بد لها منه ، ولا غنى عنه واني لعلى بينة من ربي . . » (١٥) .

لقد كان زيد من اعلام الفقهاء ومن كبار رواة الحديث ، وقد أخذ علومه من أبيه الإمام زين العابدين (ع) ومن أخيه الإمام الباقر (ع) الذي بقر العلم حسبما أخبر عنه جده الرسول (ص) وقد غدياه بانواع العلوم وأخذ عنهما أصول الاعتقاد والفروع والتفسير ، فكان من الطراز الأول في فضله وعلمه . . .

(١٣) مقدمة مسند الإمام زيد (ص ٨) .

(١٤) مقدمة مسند الإمام زيد (ص ٧) .

(١٥) الخطط والآثار للمقرئزي ٢ / ٤٤٠ .

وإن من أوهى الأقوال ما ذهب إليه الشهرستاني من أنه تتلمذ
 لواصل بن عطاء وأخذ عنه الاعتزال يقول : « أراد - يعني زيدا - أن
 يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ في الأصول لواصل بن
 عطاء رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبي طالب (ع)
 في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان
 على يقين من الصواب ، وإن أحد الفريقين منهما كان على خطأ لا بعينه
 فاقبض منه الاعتزال . . » (١٦)

أما هذا الرأي فلا يحمل أي طابع من التوازن والتحقيق فإن زيدا
 لم يقتبس علومه من واصل ، وإنما أخذها من أبيه وأخيه اللذين اضاءا
 الحياة الفكرية والعلمية في الاسلام .

وقد استمد الفقهاء ورؤساء المذاهب الاسلامية علومهم مما أخذوه من
 أئمة اهل البيت (ع) أما مباشرة أو من أحد تلامذتهم ، فكيف يذهب
 زيد الى واصل (١٧) لأخذ العلم عنه ؟ ويذهب الشيخ أبو زهرة الى أن
 التقاء زيد بواصل كان التقاء مذاكرة وليس التقاء تلميذ عن استاذ فان
 السن متقاربة ، وزيد كان ناضجاً . . . واضاف قائلاً : إنه تلقى فروع

(١٦) للعل والنحل المطبوع على هامش الفصل ٢٠٨/٢ .

(١٧) كان واصل بن عطاء الشغ قبيح اللثة في الراء ، فكان يخلص
 كلامه من الراء وفيه يقول الشاعر :

ويجعل البر قمحاً في تصرفه ونخالف الراء حتى احتال للشعر
 ولم يطق مطراً والقول يعجله فعاد بالغيث اشفاقاً من المطر

جاء ذلك في وفيات الاعيان ٦٠ / ٥ .

الاحكام من أسرته ، وفي المدينة مهد علم الفروع (١٨) .
لقد أخذ زيد علومه من أبيه وأخيه ، وكان من اعلام الفقهاء في عصره
وقد روى عنه أبو خالد الواسطي مجموعة في الفقه تتناول العبادات وللمعاملات
اسماها (مسند الإمام زيد) وقد ذكرنا ما يواجه هذا الكتاب من
المؤخذات في دراستنا عن عقائد الزيدية (١٩) .

أما مكانة زيد الأدبية فقد كان من الطراز الأول في الأدب والبلاغة
وكان يشبه جده الامام أمير المؤمنين (ع) في فصاحته وبلاغته (٢٠)
ويقول المؤرخون : إنه جرت بين زيد وبين جعفر بن الحسن منازعة في
وصية فكانا إذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما فكان الرجل
يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ويحفظ الآخر اللفظة من كلام
زيد فاذا انفصلا وتفرق الناس فيكتبون ما قالاه : ثم يتعلمونه كما يتعلم
الواجب من الفرض والنادر من الشعر والسائر من المثل وكانا اعجوبة
دهرهما واحداثة عصرهما (٢١) وكان سيبويه يحتج بما أثر عن زيد من
الشعر ، ويستشهد به فيما يذهب إليه واعترف خصمه الطاغية هشام
بقدراته الأدبية ، وبراعته في الكلام فقال : « إنه حلوا اللسان ، شديد
البيان ، خليق بتمويه الكلام » (٢٢) وقد حفلت مصادر الأدب والتأريخ

(١٨) الامام زيد (ص ٢٢٥) لمحمد أبو زهرة .

(١٩) طبع بعض هذا الكتاب في المسائل الدينية التي تصدر في كربلاء
والبعض الآخر لا يزال مخطوطاً .

(٢٠) الحقائق الوردية ١ / ١٤٤ .

(٢١) زهر الآداب ١ / ٨٧ .

(٢٢) تأريخ اليعقوبي ٢ / ٣٩٠ .

بالشيء الكثير من روائع حكمه وهي من غرر الكلام العربي .

اكبار الامام الباقر لزيد :

وكان الامام الباقر (ع) يجل أخاه زيداً ويكبره ، ويحمل له في دخائل نفسه أعقق الود ، وخالص الحب لأنه من أئذاذ الرجال ، وصورة حية للبطولات النادرة ، وقد روى المؤرخون صوراً من ألوان ذلك الود والاكبار ، وهذه بعضها :

١ - إنه قال له : « لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد ، اللهم اشدد ازري بزيد » (٢٣) وهذا يدل على مدى اكبار الامام وتعظيمه لزيد .

٢ - روى سدير الصيرفي قال : كنت عند أبي جعفر الباقر (ع) فدخل زيد بن علي فضرب أبو جعفر على كتفه وقال له : « هذا سيد بني هاشم إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه » (٢٤) ودل ذلك على دعوة الامام الى نصرته والذب عنه ، والحكم بشرعية ثورته .

٣ - روى المؤرخون عن رجل من بني هاشم قال : كنا عند محمد بن علي بن الحسين وأخوه زيد جالس فدخل رجل من أهل الكوفة فقال له محمد بن علي : إنك لتروى طرائف من نوادر الشعر فكيف قال الانصاري لأخيه ؟ فأنشده :

لعمرك ما أن أبو مالك بوان ولا بضيف قواه
ولا بالبداه نازع يعادي أخاه إذا ما نهاه

(٢٣) عمدة الطالب ١٢٧/٢ من مصورات مكتبة الامام الحكيم

تسلسل ٤٢ .

(٢٤) عمدة الطالب ١٢٧/٢ ، غاية الاختصار (ص ٣٠) .

ولكنه غير خلافة كريم الطباع حلوا ثناه (٢٥)
وإن سדתه سدت مطواعه ومهما وكلت إليه كفاه
فوضع أبو جعفر يده على كتف زيد وقال له :

« هذه صفتك يا أخي وأعيذك بالله أن تكون قتيل العراق » (٢٦) .
ومعنى هذه الأبيات التي وصف بها الامام أخاه أنه كان قوي الشكيمة صلب
الارادة ، ماضي العزيمة ، وأنه منقاد لأخيه ، كريم في طبائعه ، وأنه
مهما وكل إليه من أمر عظيم فإنه اهل للقيام به ، ولا يتهصف بهذه
الصفات إلا أفذاذ الناس ، وعمالقة الدهر .

لقد اضفى الامام (ع) على أخيه اسمى النعوت ، ومنحه وده الخالص ،
ولم يكن بذلك مدفوعاً بدافع الأخوة فإن مقامه الروحي بعيد كل البعد
من الاندفاع وراء العواطف والرغبات ، وإنما رأى أخاه من أروع صور
التكامل الانساني فمنحه هذا اللون من الود والتكريم .

مع هشام بن عبد الملك :

وعرف هشام بن عبد الملك بالحق على الأسرة النبوية ، والبغض لها ،
وقد عهد للمباحث ورجال الأمن بمراقبة العلويين والتعرف على تحركاتهم
والوقوف على نشاطاتهم السياسية ، وقد احاطت به استخباراته علماً بسمو
مكانة زيد ، وأهمية مركزه الاجتماعي ، وما يتمتع به من القابليات
الفذة التي اوجبت احتفاف الجماهير حوله ، وتطلعهم الى حكمه ، وأخذ
هشام يبغى له الغوائل ويكيده له في غلس الليل وفي وضوح النهار ، وعهد
الى عامله على يثرب بأشخاصه إليه ، ولما شخص الى دمشق حجبته عنه

(٢٥) وفي رواية (حلوا نشاء) .

(٢٦) زهر الآداب ١ / ١١٨ .

مبالغة في توهميه والاستهانة به ، وقد احتف به أهل الشام لما رؤوا ما اتصف به من سمو الخلق ، وبليغ النطق وقوة الحججة ، والتخرج في الدين ، وبلغ ذلك هشاما فتميز من الغيظ فاستشار بعض مواليه ، وطلب منه الرأي للحظ من شأنه وتوهميه أمام أهل الشام فأشار عليه أن يأذن للناس اذنا عاما ، ويحجب زيدا ثم يأذن له في آخر الناس فإذا دخل عليه وسلم فلا يرد عليه سلامه ولا يأمره بالجلوس ، وحسب أن ذلك موجب للحظ من شأنه والتوهمين بشخصيته وفعل هشام ذلك ، فلما دخل زيد وسلم لم يرد عليه سلامه فثار زيد في وجهه - فيما يقول بعض المؤرخين - ونخاطبه بعنف قائلا :

« السلام عليك يا أحول فانك ترى نفسك أهلاً لهذا الاسم . . » (٢٧) ونسفت هذه الكلمات جبروت الطاغية ، واطاحت بغلوائه ، فصاح يزيد : « بلغني أنك تذكر الخلافة ، وتتمناها ، ولست أهلاً لها ، وأنت ابن أمة . . »

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

وانبرى زيد يسخر منه ، ويدلي بهجته في تنفيذ قول هشام قائلا : « ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم اسماعيل أمة لأم اسحاق فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا ، وجعله أبا للعرب ، وأخرج من صلبه خير الانبياء محمد (ص) . . » (٢٨) .

وفقد هشام توازنه أمام هذا المنطق الفياض ، وسرت الرعدة في أوصاله فراح يتهجم على الامام محمد الباقر (ع) فقال له : « ما يصنع أخوك البقرة ؟ . . »

(٢٧) تهذيب ابن عساكر ٦ / ٢٢ .

(٢٨) الكامل لابن الأثير ٥ / ٨٤ .

ولا يلجأ الى هذا المنطق الرخيص إلا كل جاهل يعوزه الدليل ،
والبرهان وشعر زيد بألم حينما سب أخاه فالتفت الى الطاغية قائلاً :
« سماه رسول الله الباقر ، وتسميته البقرة ، أشد ما اختلفتما
لتخالفتيه في الآخرة كما خالفتيه في الدنيا فيرد الجنة وترد النار . . » (٢٩)
وزعزت هذه الكلمات عرش الطاغية وابرزته امام أهل الشام كأقذر
مخلوق لا يستحق أن يكون شرطياً فكيف يكون خليفة على المسلمين ؟
مع خالفته لرسول الله (ص) ؟ وفقد هشام صوابه فصاح بجلاوزته أن
يخرجوا زيدا من مجلسه (٣٠) وخرج زيد وقد ملأ قلب هشام غيظاً
ولماً ، وراح الطاغية يقول لأسرته :

« الستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا ، لا لعمرى ما انقرض
قوم هذا خلفهم . . » (٣١)
وخرج زيد وقد امتلأت نفسه حماساً وعزماً على اعلان الثورة على
الحكم الأموي الذي كثر به جميع القيم الانسانية واستهان بكرامة الناس ،
وقد أعلن زيد شرارة الثورة بكلمته الخالدة التي اصبحت شعاراً للشوار
ونشيداً لهم على الخوض في ميادين الكفاح والنضال قائلاً :
« ما كره قوم حر السيوف إلا ذلوا . . »

وقد جرت هذه المقابلة بين زيد وبين هشام في حياة الامام الباقر (ع)
ولم تشر المصادر التي بأيدينا الى السنة التي وقعت فيها وعلى أي حال فمنذ
تلك اللحظة عزم زيد على الثورة ، والقيام بمناهضة الحكم الأموي ،

(٢٩) شرح النهج ١ / ٣١٥ ، عمدة الطالب (ص ٨٣) .

(٣٠) الكامل ٨٤/٥ .

(٣١) عمدة الطالب .

يقول بعض شيعته دخلت عليه فسمعتة يتمثل بقول الشاعر :

ومن يطلب المجد للمنع بالقنا يعيش ماجداً أو تختارمه المخارم
متى تجمع القلب الذكي وصارما وانفا حميماً تجتنبك المظالم
وكننت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم (٣٢)
ودل هذا الشعر على تصميمه على الثورة ، والخوض في ميدان الكفاح
للسلاح ليعيش ماجداً كريماً تجتنبه المظالم ، ويصد عنه كيد المعتدين . . .
لست أيها الثائر العظيم ظالماً ولا باغياً وإنما انت منقذ وحرر للأمة
العربية والاسلامية من الظلم والجور والاستبداد .

مشروعية الثورة :

والشيء المحقق ان زيدا لم يفجر ثورته الكبرى أشراً ولا بطراً ، ولا
ظالماً ، ولا مفسداً ، وإنما كان يبغى وجه الله ، ويلتمس الدار الآخرة ،
فقد رأى ظالماً شائعاً ، وجوراً شاملاً ، ورأى حكام بني أمية لم يبقوا لله
حرمة إلا انتهكوها ، فخرج داعياً الى الله ، وطالبا بالحق ، يقول الرواة :
إنه لما ازمع على الخروج جاءه جابر بن يزيد الجعفي فقال له : إني سمعت
أخاك أبا جعفر يقول : إن أخي زيد بن علي خارج ومقتول ، وهو على
الحق ، فالويل لمن خذله ، والويل لمن حاربه ، والويل لمن يقتله ، فقال
له زيد :

« يا جابر لم يسمن أن أسكت ، وقد خولف كتاب الله تعالى ، وتحوكم
بالجبت والطافوت ، وذلك إني شاهدت هشاماً ، ورجل عنده يسب رسول
الله (ص) فقلت : للساب ، ويلك يا كافر إني لو تمكنت منك

(٣٢) مقاتل الطالبين (ص ١٢٩) .

لأختلطت روحك وعجلتلك الى النار ، فقال لي هشام : مه جليسننا يازيد ،
فو الله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه ، وبجاهدته حتى
افنى . . » (٣٣)

وأثنى الامام ابو عبد الله الصادق (ع) على عمه ثناءً عاطراً ، وبجته
ثورته الاصلاحية فكان فيما يقول الرواة : قد قال لاصحابه : لا تقولوا :
خرج زيد ، فان زيدا كان عالماً ، وكان صدوقاً ، ولم يدعكم الى نفسه ،
انما دعاكم الى الرضا من آل محمد (ع) ولو ظهر لوفى بما دعاكم
إليه انما خرج الى سلطان يجتمع لينقضه (٣٤) وقد دفع (ع) الى عبد
الرحمن بن سيابة ألف دينار وأمره أن يقسمها في عيال من أصيب مع
زيد (٣٥) .

ولو كانت الثورة غير مشروعة لما صنع ذلك فان شأنه أسمى من
أن يندفع وراء التيارات العاطفية .
وشجبت بعض الروايات ثورة زيد ، ووسمتها بأنها غير مشروعة إلا
ان سيدنا الاستاذ الامام الخوئي قد عرض (٣٦) إليها فأثبت ان سندها ضعيف
لا يمكن التعويل عليها في الطعن بشخصية زيد وثورته .

وعلى أي حال فقد أحدثت ثورة زيد تحولاً اجتماعياً وفكرياً في المجتمع
الاسلامي وهيأته الى الثورة على الحكم الأموي فلم تمر إلا سنين يسيرة

(٣٣) تيسير المطالب (ص ١٠٨ - ١٠٩) .

(٣٤) روضة الكافي .

(٣٥) الامالي للمجلسي ٥٤ .

(٣٦) معجم رجال الحديث ٣٥٠/٧ - ٣٥٨ .

وإذا بالرايات السود تخفق في خراسان ، وهي تزحف الى احتلال الاقاليم
الاسلامية ، وتظهرها من عملاء السلطة الاموية حتى اطاحت بالعرش
الأموي ، وقضت على معالم زهوه وجبروته .

الثورة الكبرى :

وثار زيد على الحكم الأموي بوحى من عقيدته التي تمثل روح الاسلام
وهديه ، فقد رأى باطلاً يحيى ، وصادقاً يكذب ، وأثرة بغير تقى ، ورأى
جوراً شاملاً ، واستبداداً في أمور المسلمين فلم يسهه السكوت ، يقول بعض
شيعة : خرجت معه الى مكة فلما كان نصف الليل ، واستوت الثريا
قال لي :

« أما ترى هذه الثريا ؟ اترى أحداً يناها ؟ ... »
« لا » .

« والله لوددت أن يدي ملتصقة بها فاقع الى الارض أو حيث أقع
فاتقطع قطعة قطعة ، وإن الله يصلح بين أمة محمد (ص) ... » (٣٧)
ودل حديثه على مدى نزعة الإصلاحية وإخلاصه العظيم لأمة
جده (ص) وتفانيه في سبيل الإصلاح العام .

وروى عيسى بن عبد الله عن جده محمد بن عمر بن علي (ع) قال :
كنت مع زيد بن علي حين بعث بنا هشام الى يوسف بن عمر ، فلما
خرجنا من عنده ، وسرنا حتى كنا بالقادسية قال زيد : اعزلوا متاعي عن
أمتعتكم ، فقال له ابنه : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أرجع الى
الكوفة ، فوالله لو علمت أن رضى الله عز وجل عني في أن أقدم ناراً

(٣٧) مقاتل المالبين (ص ١٢٩) .

بيدي حتى اذا اضطرمت رميت نفسي فيها لفعلت ١١ ولكن ما أعلم شيئاً
ارضى الله عز وجل عني من جهاد بني أمية (٣٨) .
إنه لم يفجر ثورته الكبرى طمعاً بالخلافة والمملك ، وإنما كان ينبغي وجه
الله والدار الآخرة ، وقد رأى أن مناهضة أولئك الظالمين من اعظم ما
يقربه الى الله .

ويمم زيد وجهه نحو الكوفة لأنها للركز العام للشيعة ، وإن أهلها
طلبوا منه القدوم اليهم ليأخذ منهم البيعة على مناهضة الحكم الأموي
والإطاحة به ، ويقول المؤرخون إن جماعة من المخلصين لزيد حذروه من
القدوم الى الكوفة ، وعذلوهم من الوثوق بالكوفيين لما عرفوا به من القدر
ونقض اليهود إلا أنه لم يعن بذلك فإنه لم يجد موطناً تتوفر فيه الاستراتيجية
للثورة سوى الكوفة ، وجعل زيد يتمثل بقول عنترة العبسي :

بكرت تخوفي المنون كأنني أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها أن للنية منزل لا بد أن أسقى بكأس المنهل (٣٩)

ودل هذا الشعر على عزمه وتصميمه على الخوض في ميادين الكفاح
المسلح ، وأنه يسعى بكل جرأة وإقدام ليحتسي كأس للنية ولا يعيش ذليلاً
مضاماً شأنه شأن جده الإمام الحسين سيد الأحرار والاباء في الاسلام .
ولما انتهى زيد الى الكوفة بادر أهلها إليه فرحبوا به ترحيباً حاراً ،
وأسرعوا إليه يبايعونه حتى بلغ عدد المبايعين خمسة عشر ألفاً ، وقيل أكثر
من ذلك وبايعه الفقهاء والقضاة واعلام الفكر والأدب كالأعمش ، وسعد

(٣٨) تيسير المطالب (ص ١٠٨ - ١٠٩) .

(٣٩) الروض النضير ١ / ٧٥ .

ابن كدام ، وقيس بن الربيع والحسن بن عماره وغيرهم (٤٠) وسئل ابو حنيفة عن خروج زيد فقال : « ضاهى خروج رسول الله (ص) يوم بدر » وقال : « لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه لأنه أمام بحق ، ولكن اعينه بمال » (٤١) .

أما صيغة البيعة التي أخذها زيد على من بايعه فهي : « إنا ندعوكم الى كتاب الله ، وسنة نبيه ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيم بين أهله ، ورد المظالم ، ونصرة أهل الحق . . » (٤٢) .

وتعطي هذه الصيغة صورة عن المبادئ الأصلية التي ثار من أجلها زيد وهي :

- ١ - الدعوة الى احياء كتاب الله ، وسنة نبيه ، فقد اقضت هما السياسة الأموية عن واقع الحياة .
- ٢ - جهاد الظالمين من حكام بني أمية الذين ساسوا المسلمين بالظلم والجور وارغموهم على ما يكرهون .
- ٣ - الدفاع عن حقوق المستضعفين ، وتوفير العطاء للمحرومين ، فقد حرموا من جميع حقوقهم الشرعية طيلة الحكم الأموي .
- ٤ - قسمة الفيم ، وسائر الحقوق المالية على المسلمين بالسواء ، فقد نهىها الامويون ، وانفقوها على ملاذهم ورغباتهم الخاصة .
- ٥ - نصرة دعاة الحق الذين يعنون بشؤون الأمة ، ويسهرون على

(٤٠) مقاتل الطالبين .

(٤١) الكامل ٥ / ٥٦ .

(٤٢) مقاتل الطالبين .

صالحها ، وهم الهداة من أهل البيت (ع) .

لقد ثار زيد من أجل أن يحقق هذه الاهداف العظيمة في ربوع الوطن الاسلامي الكبير ، وينقذ الأمة من عسف الامويين وظلمهم وبطشهم . وبعد ما توفرت لزيد القوة العسكرية الهائلة التي يبلغ عددها - فيما يقول بعض المؤرخين - أربعين الفا ، رأى أن يفجر الثورة ، ويزحف بجيوشه الى احتلال الكوفة والاطاحة بالحكم الأموي .

وانطلقت جيوشه من جباله سالم (٤٣) وهي تهتف بجياة زعيمها العظيم زيد وسقوط الحكم الأموي ، وتنادي بشعار الشيعة « يا منصور أمت » (٤٤) ولما رأى زيد الرايات تخفق على رأسه قال : « الحمد لله الذي هداني لله اني كنت استحي من رسول الله (ص) أن أرد الحسوس ولم آمر بمعروف » (٤٥) وخطب في جيوشه فقال لهم : « عليكم بسيرة أمير المؤمنين علي بالبصرة والشام لا تتبعوا مذبذباً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا مغلقاً ، والله على ما نقول وكيل » . (٤٦) .

وبدأت الحرب في ليلة شديدة البرد (٤٧) لسبع بقين من المحرم سنة (١٢٢ هـ) وجرت مناوشات واصطدام مسلح بين اتباع زيد وبين الجيوش الاموية تحت قيادة والي الكوفة يوسف بن عمر .

(٤٣) انساب الاشراف ٣ / ٢٠٣ .

(٤٤) الطبري ٨ / ٢٧٣ .

(٤٥) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ من مصورات مكتبة الحكيم .

(٤٦) الخدائق الوردية ١ / ١٤٨ .

(٤٧) انساب الاشراف ٣ / ٢٠٢ .

الخيانة والغدر :

وخان أهل الكوفة يزيد وغدروا به بعدما عاهدوا الله على نصرته والذب عنه فقد أسلموه عند الوثبة ، وتركوه مع القلة من أصحابه في ميدان الجهاد ، ولما رأى زيد تغافلهم راح يقول :
« فعلوها حسينية » .

لقد غدروا به كما غدروا بجده الحسين من قبل ، وايقن زيد بفشل ثورته ، واستبان له ان لازمة لأهل الكوفة ، ولا وفاء لهم ، وقد خاض مع أصحابه الحرب في شوارع الكوفة وازقتها ، وأبلى في المعركة بلاءاً حسناً ، وما رأى الناس قط فارساً أشجع منه (٤٨) .

في ذمة الخلود :

وأبدى زيد من البسالة والبطولة ما يفوق حد الوصف ، فقد اخذ يلاحق الجيوش وينزل بها أفدح الخسائر ، ولم يستطع الجيش الأموي أن يصمد أمام ضربات المتلاحقة التي يصيها عليهم زيد ، وكان يحمل عليهم ويتمثل بقول الشاعر :

أذل الحياة وعز الممات وكلا أراه طعاماً وبيلاً
فان كان لابد من واحد فسيري الى الموت سيراً جميلاً
لقد أثر زيد عز الممات على ذل الحياة كما أثر ذلك آباؤه فلم ينخضع للذل والعبودية ومات عزيزاً تحت ظلال السيوف والرماح .

ولما جنح الليل رمي زيد بسهم غادر فأصاب جبهته (٤٩) ووصل الى

(٤٨) انساب الاشراف ٣ / ٢٠٢ .

(٤٩) يراجع في تفصيل الحادث المؤلم الى زيد الشهيد للمقرم ، وثورة زيد بن علي لناجي حسن ، والى عقائد الزيدية للمؤلف .

دماغه الشريف الذي ما فكر إلا في صالح الانسان وسعادته .
 وحلت الكارثة بأصحابه ، وهاموا في تيارات مذهلة من الأسى والحزن ،
 وطلبوا له طبيباً فانتزع منه السهم فتوفى من فوره ، وقد انطفئت بذلك
 الشعلة الوهاجة التي كانت تضيء الطريق وتوضح القصد للمسلمين .
 لقد استشهد زيد من أجل أن يحقق العدالة الاجتماعية في الارض ،
 ويحقق للمسلمين الفرص المتكافئة ، ويوزع خيرات الارض على الفقراء
 والمحرومين الذين كفرت السلطة الأموية بجميع حقوقهم .
 ويقول المؤرخون : إن اصحاب زيد حاروا في مواراة جثمانه خوفاً عليه
 من السلطة التي لا تتورع من التمثيل الآثم به ، وبعد للدولة صمموا
 على مواراته في نهر هناك فانطلقوا الى النهر فقطعوا ماءه وحفروا فيه قبراً
 وواروا الجسد الطاهر فيه ، ثم أجزوا الماء ، وانصرفوا وهم يذرفون الدموع
 على القائد العظيم الذي تبني حقوق المظلومين والمضطهدين .
 وكان مع أصحاب زيد أحد عيون السلطة يراقب تحركاتهم فبادر مسرعاً
 الى الكوفة واخبر حاكمها بموضع الدفن ، فأمر بنبش القبر واخراجه منه
 فاخرج ، وحمل الى قصر الكوفة ، وأمر بصلبه منكوساً في سوق الكناسة
 وعمدوا الى احتزاز رأسه الشريف ، وارسل هدية الى طاغية الشام هشام
 ابن عبد الملك ، وأمر الرجس بوضع الرأس في مجلسه ، وأمر جميع من
 يدخل عليه أن يطأ بهذائه (٥٠) مبالغته في توهينه ، وجعلت الدجاج
 تنقر دماغه وفي ذلك يقول الشاعر :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طال ما كان لا تطأه الدجاج (٥١)

(٥٠) شرح ابن أبي الحديث .

(٥١) النزاع والتخاصم (ص ٧) .

ابن بنت النبي اكـرم خلـب سق الله زين الوفود والحجاج
حملوا رأسه الى الشام ركـضا بالسرى والبكور والادلـاج (٥٢)
وأمر الطاغية بنصب الرأس الشريف على باب دمشق ، ثم أرسل الى
المدينة (٥٣) فنصب عند قبر النبي (ص) يوماً وليلة (٥٤) ثم أرسله الى
مصر كل ذلك لاذاعة الخوف والارهاب بين الناس ، واعلامهم على قدرة
السلطة على سحق أية معارضة تقوم ضدها .

وكتب طاغية دمشق الى السفاك يوسف بن عمر حاكم الكوفة بان
يبقى زيدا مصلوبا ، ولا ينزله عن خشبته قاصداً بذلك اذلال العلويين
والاستهانة بشيعتهم ، وقد فاتته ان ذلك قد أوقد نار الثورة في نفوسهم ،
وزادهم عزما وتصميما على التضحية في سبيل مبادئهم .

وقد افتخر الامويون بابقاء جثة زيد مصلوبة ، وقد اعتر بذلك وغد
من عملاتهم وهو الحكيم بن عياش يقول :

صلبنا لكم زيدا على جذع فذلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب
وقسم بعثمان عليا سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب
حفنة من التراب في فيه فان زيدا إنما صلب دفاعاً عن حقوق المظلومين
وللمضطهدين ، وصلب من أجل أن يحقق العدالة الاجتماعية في الارض ،
ويقضي على الغبن الاجتماعي والتلاعب بمقدرات الأمة وخيراتنا .

ولما بلغ هذا الشعر الامام أبا عبد الله الصادق تألم كأشد ما يكون
التألم ورفع يديه بالدعاء قائلاً : « اللهم ان كان عبدك كاذباً فسلط

(٥٢) أنساب الاشراف ٣ / ٢٩٢ .

(٥٣) الطبري ٨ / ٧٧ .

(٥٤) عمدة الطالب (ص ٢٥٨) .

عليه كلبك » واستجاب الله دعاء الامام فأفترسه أسد وهو يدور في سلك الكوفة ولما انتهى خبره الى الامام سجد لله شاكرا وهو يقول : الحمد لله الذي انجزنا وعده (٥٥) .

التنكيل بأنصار زيد :

وامعنت السلطة الاموية بعدما قضت على ثورة زيد في اشاعة الذعر والخوف في الكوفة ، فأخذت البرية بالسقيم ، والمقبل بالمدير ، وعمدت الى التنكيل القاسي بانصار زيد فاشاعت فيهم القتل والاعدام ، واسرفت في ذلك الى حد بعيد ، وتعدى التنكيل من الرجال الى النساء ، وكان ذلك عظورا حتى في العرف الجاهلي إلا ان الامويين قد استباحوا ذلك في سبيل أهدافهم السياسية ، ويقول المؤرخون : ان الطاغية السفاك يوسف ابن عمر أمر بالقاء القبض على امرأة كانت قد اعانت زيدا ، ولما مثلت عنده أمر بقطع يدها ورجلها ، فطلبت قطع رجلها أولاً حتى تجمع عليها ثيابها فما استجابوا لها فقطعوا يدها ورجلها ، وأخذ ينزف دمها حتى ماتت ، ثم انه أمر باحضار زوجها وضرب عنقه ، فنفذ فيه ذلك (٥٦) كما أوعز بالقاء القبض على امرأة كانت قد زوجت بنتها الى زيد ، فأمر بشق ثيابها ، وجلدها بالسياط ، فجلدت وتوفيت تحت السياط ، ورموا بجثتها في الصحراء ، فأخذها قومها ودفنوها في مقابرهم (٥٧) .

واقترف الطاغية كثيرا من أمثال هذه الجرائم التي تنم عن انسان مسموح ، ميت الضمير والاحساس .

(٥٥) السيرة الحلبية ١ / ٣٢٧ .

(٥٦) انساب الاشراف ٣ / ٢٥٥ .

(٥٧) أنساب الاشراف ٣ / ٢٥٥ .

سخط المسلمين :

وسخط المسلمون لمقتل الشهيد العظيم زيد ، ونقموا على بني أمية كأشد ما تكون النعمة فقد انتهكوا في قتله حرمة الرسول (ص) التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء .

فلم تمض حفنة من السنين على اقرار الامويين لمجزرة كربلاء الرهيبة ، وإذا بهم قد عمدوا الى قتل زيد الذي هو من اعلام الأسرة النبوية ، ولم يكتفوا بقتله ، وانما نبشوا قبره وصلبوه على الجذع ، ولم يسمحوا بمواراته لظهار التشفي الآثم باهل البيت (ع) وقد خالفوا بذلك ما أمر به النبي (ص) من المودة لأهل بيته ، كما خالفوا ما أمر به الاسلام من احترام الاموات وتجرير المثلثة بهم .

لقد كانت فاجعة زيد المروعة من الاحداث الجسام التي ذعر منها المسلمون ، واستعظموها وقد اندفع شعراؤهم الى رثائه بما صور مدى الحزن واللوعة التي مني بها المسلمون يقول الفضل بن العباس :

إلا يا عين لا ترقى وجودي	بدمعك ليس ذا حين الجمود
غداة ابن النبي أبو حسين	صليب بالكناسة فوق عود
يظل على عمودهم ويمسي	بنفسي اعظم فوق العمود
تعدى الكافر الجبار فيه	فأخرجه من القبر اللعيد
فظلوا ينبشون أبا حسين	خضيباً بينهم بدم جسيد
فطال به تلعبهم عتسوا	وما قدروا على الروح الصعيد
وجاور في الجنان بني أبيه	واجدادهم خير الجدود
فكم من والد لأبي حسين	من الشهداء أوعم شهيد
ومن ابنساء اعمام سيلقى	هم أولى به عند الورود

دماء معشر نكثوا أباه حسينا بعد توكتيد اليهود

فسار إليهم حتى أتاهاهم فما أروعوا على تلك العقود (٥٨)

هذه بعض القصيدة وقد صور فيها الشاعر حزنه العميق على الشهيد العظيم الذي ثكل به المسلمون فهو يطلب من عينيه أن يجودا بالدموع ، ولا يضنا عليه ، وذلك لعظم الخطب القادح ، ثم هو يستعظم كأشد ما يكون الاستعظام على إخراج زيد من قبره وصلبه ، ولكن ما يهون عليه الخطب انهم وإن تلاعبوا بجسد الثائر العظيم إلا انهم لم يقدرُوا على إرغام روحه الطاهرة التي صارعت الباطل وقاومت المنكر والجور ، وإنها قد أقامت في الجنان مع أرواح الشهداء الخالدين الذين صرخوا في كربلاء دفاعاً عن حقوق المظلومين والمضطهدين ، ثم إنه بعد ذلك ينهى على أهل الكوفة غدرهم بزيد ، كما غدروا من قبل بجده الحسين (ع) فكان الغدر من خصائص الكوفيين وذاتياتهم ، وقد قيل :

« الكوفي لا يوفى » مركز تقيتكم بيزر صمد

ومن رثى زيدا بذوب روحه أبو ثميلة الأبار يقول :

أبا الحسين أعار فعدك لوعة	من يلقى ما لا قيت منها يكمد
فعدا السهاد ولو سواك رمت به	الأقدار حيث رمت به لم يشهد
ونقول : لا تبعد وبعدك دلونا	وكذلك من يلقى المنية يبعد
كنت المؤمل للعظائم والنهي	ترجى لأمر الأمة المتأود
فقتلت حين رضيت كل مناضل	وصعدت في العلياء كل مصعد
فطلبت غاية سابقين فنلتها	بالله في سيد كريم للورد
وابى آلهك أن تموت ولم تسر	فيهم بسيرة صادق مستنجد

(٥٨) مقاتل الطالبين (ص ١٤٨ - ١٤٩) .

والقتل في ذات الاله سجية منكم وأحرى بالفعال الابد
والناس قد آمنوا وآل محمد من بين مقتول وبين مشرد
نصب اذا القى الظلام ستوره رقد الحسام وليلم لم يرقد
ياليت شعري والخطوب كثيرة أسباب موردها وما لم يورد
ما حجة المستبشرين بقتله بالامس أو ما عذر أهل المسجد (٥٩)
وقد رسم الشاعر في هذه الابيات شجونه واحزانه المرهقة على زيد
الشائر العظيم ، وذكر الخسارة العظمى التي منيت بها الامة بفقدها لزيد ،
فقد كان للؤمل لشدائدها وازماتها ، و اضاف إنه بشهادته قد أنار الطريق
للمناضلين والاحرار ، وملأ قلوبهم رضا ومسرة بنهضته الجبارة التي استهدفت
القضايا المصيرية لامته ، وقد نال زيد بشهادته الغاية القصوى التي نالها
الشهداء الممجدون من آباءه الذين رفعوا راية الحق ملطخة بدمائهم الزكية
... و اضاف ان الله أبى لزيد أن يموت ، ولا يسير بين الناس بسيرة
المنقذين والمحررين لامتهم وأوطانهم ، فان القتل في سبيل الله كانت سجية
العلويين وقد أثر عن بعضهم أنه قال : « القتل لنا عادة وكرامتنا من
الله الشهادة » .

وعرض أبو ثعلبة في أبياته الاخيرة الى المحن القاسية التي عانها العلويون
من حكام بني أمية والتي كان منها انهم قد حرموا من الأمن فانهم بين
مقتول ومشرد يطارده الرعب والفرع والخوف ، في حين أن الطير ترقد في
ليلها آمنة مطمئنة وآل النبي (ص) لم يرقدوا في ليلهم خوفاً من بني أمية ،
وندد بالمستبشرين بقتل زيد الذي ثار لتحقيق العدالة الاجتماعية في الارض ،
كما ندد بالذين بايعوه ، وخذلوه ، فدخلوا جامع الكوفة ، وقد طلب منهم

(٥٩) مقاتل الطالبين (ص ١٥٠) .

أن يقوموا بنجدته وحماية ثورته ، فلم يستجيبوا له .

حرق الجثمان العظيم :

وبقي جثمان زيد مرفوعاً على أعواد المشانق ، وهو يضئ للناس طريق الحرية والكرامة ، ويدفعهم الى التمرد على الذل والخنوع ، ويبعث في نفوسهم روح الثورة على الظلم والجور ، وقد وضعت عليه السلطة الحرس ، وعددهم اربعمائة ، وجعلت الرقابة في كل ليلة لمائة رجل ، وبنيت للحرس حول الجذع بناية خوفاً من أن يختلس الجثمان العظيم ، ويوارى في التراب (٦٠) . ولما هلك الطاغية هشام ، وولي الحكم من بعده الوليد بن يزيد فاجر بني أمية كتب الى حاكم الكوفة يوسف بن عمر كتاباً يأمره بأن ينزل الجثمان المقدس من الخشبة ويحرقه بالنار (٦١) وقام السفاك بتنفيذ ما عهد إليه ، فأحرق الجسد الطاهر الذي تار ليظهر الارض من الظالمين ويعيد للأنسان كرامته ، وحقه في الحياة

وبعدما أحرق الجثمان العظيم عمده الباغي يوسف بن عمر فذره في الفرات وهو يقول « والله يا أهل الكوفة لا دعنكم تأكلونه في طعامكم ، وتشربونه في مائكم . . » (٦٢)

لقد كان جزاء النبي (ص) الذي حرر أمته من حياة التيه في الصجر ، ان عمدة الامويون الى قتل ذريته وعترته ، والتمثيل بهم تمثيلاً آثماً لا مبرر له سوى انهم كانوا يطالبون بحقوق الأمة ، وامنها ورخائها .

(٦٠) انساب الاشراف ٣ / ٢٥٦ .

(٦١) مقاتل الطالبين (ص ١٤٧) .

(٦٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٩١ .

مع المسعودي :

بقي هنا شيء ، وهو أن المؤرخ الكبير المسعودي ذكر أن زيدا شاور أخاه أبا جعفر في الخروج إلى العراق لأعلان الثورة على الأمويين ، فأشار عليه الإمام بأن لا يركن لأهل الكوفة لأنهم أهل غدر ومكر ، فقد قتلوا جده الإمام أمير المؤمنين (ع) وطعنوا عمه الحسن ، وقتلوا جده الحسين ، فأبى زيد إلا ما عزم عليه من المطالبة بالحق ، فقال له أبو جعفر : اني أخاف أن تكون غداً للمصابوب بكناسة الكوفة ، وودعه أبو جعفر واعلمه أنهما لا يلتقيان (٦٣) ويشعر كلامه بأن الإمام الباقر (ع) كان حياً حال خروج زيد ، كما فهم ذلك بعض من كتب عن زيد ، وهذا لا واقع له فإن الإمام أبا جعفر توفي سنة (١١٤ هـ) (٦٤) واستشهد زيد سنة (١٢٢ هـ) ولعل المسعودي أراد أن زيدا في ذلك الوقت حدثته نفسه بالخروج على بني أمية ، وهذا له مجال من الصحة . . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن حياة زيد وثورته التي هي من ألمع الثورات في ذلك العصر وأكثرها عطاء للمجتمع .

الحسين الأصغر :

الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين ، أمه أم ولد (٦٥) وكان من مفاخر الأسرة النبوية في فضله وتقواه ، وسائر مواهبه ، وفيما يلي بعض شؤونه :

(٦٣) مروج الذهب ٣ / ١٣٩ .

(٦٤) تاريخ ابن الأثير ٤ / ٢١٧ البستان الجامع لعماد الدين الأصفهاني

مصور في مكتبة الحكيم .

(٦٥) عمدة الطالب ٢ / ٢٩ من مصورات مكتبة الحكيم .

علمه :

كان من العلماء البارزين في عصره ، وقد روى حديثاً كثيراً عن أبيه ، وعمته السيدة فاطمة بنت الامام الحسين (ع) ، وأخيه الامام أبي جعفر (ع) (٦٦) وروى عنه محمد ابنه الحديث الوارد عن رسول الله (ص) في الاخبار عن قتل ولده الامام الحسين (ع) (٦٧) .

حلمه ووقاره :

وكان الحسين حليماً وقوراً تمثلت فيه هيبة المتقين والصالحين ، وعلت وجهه اسارير النور ، ووصفه الامام أبو جعفر فقال : « وأما الحسين فحليم يمشي على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً . » (٦٨)

تقواه وورعه :

كان ورعاً تقياً شديداً الخوف من الله يقول سعيد صاحب الحسن بن صالح : لم أر أحداً اخوف من الله من الحسن بن صالح حتى قدمت المدينة فرأيت الحسين بن علي بن الحسين فلم أر أشد خوفاً منه ، كأنما أدخل النار ثم أخرج منها لشدة خوفه (٦٩) .

وروى احمد بن عيسى عن أبيه قال : كنت أرى الحسين بن علي بن الحسين يدعو فكنت أقول : لا يضر يده حتى يستجاب له في الخلق اجمعين (٧٠)

(٦٦) الارشاد (ص ٣٠٢) .

(٦٧) معجم رجال الحديث ٦ / ٤٤ .

(٦٨) سفينة البحار ٢ / ٢٧٣ .

(٦٩) الارشاد (ص ٣٠٢) .

(٧٠) عمدة الطالب ٢ / ٢٩ .

لقد نشأ الحسين في مركز الورع والتقوى ، ومعدن الحكمة والفضيلة في الاسلام ، وقد غذاه أبوه الامام زين العابدين بمثله وكمالاته النفسية ، فكان كأيّيه في اقباله على الله ، وزهده في الدنيا ، وتحرجه في الدين .

وفاته :

توفى في يثرب عن عمر يناهز (٥٧ عاماً) (٧١) وقيل (٧٤ عاماً) (٧٢) ودفن ببقيع الغرقد بجاوراً لأبيه زين العابدين وأخيه الباقر .

عبد الله الباهر :

ابن الامام زين العابدين (ع) وهو أخو الامام الباقر لأمه وأبيه ، وهو من مفاخر ابناء الأئمة الطاهرين في علمه وورعه وتقواه ، ونعرض - بإيجاز - لبعض شؤوته .



لقبه :

لقب بالباهر لجماله وحسنه ، ويقول المؤرخون إنه ما جلس مجلساً إلا بصر جماله (٧٣) وما رآه أحد إلا ما به ، واكبره .

علمه :

كان من العلماء البارزين فقد عني بتربيته أبوه زين العابدين فغذاه بعلومه وفضله ، ويقول المؤرخون : إنه كان من فقهاء أهل البيت (ع) وروى عن آبائه عن رسول الله (ص) أخباراً كثيرة ، وحدث الناس ،

(٧١) معجم رجال الحديث ٦ / ٤٤ .

(٧٢) عمدة الطالب ٢ / ٢٩ .

(٧٣) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ .

وحملوا عنه الآثار (٧٤) كما روى مرسلًا عن جده الامام أمير المؤمنين (ع) وعن جده لامه الامام الحسن (ع) وروى عنه عمارة بن غزية ، وموسى ابن عقبة ، وعيسى بن دينار ، ويزيد بن أبي زياد ، وعده ابن حبان في الثقات ، وصحح الترمذي والحاكم حديثه (٧٥) .

ولايته على صدقات النبي :

وتولى عبد الله بالنيابة عن أخوانه صدقات النبي (ص) وصدقات الامام أمير المؤمنين (ع) (٧٦) وتوزيع ولردائهما على حسب ما جاء في وصية النبي (ص) والامام أمير المؤمنين .

وفاته :

انتقل الى حظيرة القدس ، وعمره سبع وخمسون سنة (٧٧) ولم تعين المصادر التي بأيدينا السنة التي توفي فيها والمكان الذي دفن فيه .

عمر الاشرف :

ابن الامام زين العابدين (ع) وأمه أمة اشتراها بمائة الف درهم ، وبعث بها الى الامام زين العابدين فأولدت له عمراً وزيدا وعلياً (٧٨) وكان عمر الاشرف من أفاضل الناس وخيارهم ، أما اخباره وشؤونه فهي :

(٧٤) الارشاد (ص ٣٠٠) وذكر بعض الاحاديث التي رويت عنه .

(٧٥) تهذيب التهذيب ٥ / ٣٢٤ .

(٧٦) الارشاد (ص ٣٠٠) .

(٧٧) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ .

(٧٨) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ .

كنيته :

يكفى أبا علي ، وقيل أبا جعفر (٧٩) وقال الشيخ يكفى أبا حفص .

لقبه :

لقب بالأشرف بالنسبة الى عمر الأطراف عم أبيه وذلك لما ناله من شرف وفضيلة بالنسبة لولادة جده الحسين (ع) من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) بخلاف عمر الأطراف فإنه نال الشرف من طرف أبيه الامام أمير المؤمنين ، هذا ما قاله السيد المهنا ، وعلق عليه سيدنا الامام الخوئي بقوله : « اقول : وهو أشرف من الأطراف بحسبه وفضله وورعه أيضاً .. » (٨٠)

علمه :

وكان عالماً فاضلاً عنه الشيخ من أصحاب أخيه الامام الباقر ، وقد روى عن أبيه ، وروى عنه فطر بن خليفة (٨١) .

ولايته على صدقات النبي :

تولى صدقات النبي (ص) وصدقات جده الامام أمير المؤمنين (ع) ويقول الحسين بن زيد : رأيت عمر عمي يشترط على من ابتاع صدقات علي أن يثلم في الحائط كذا وكذا ، لا يمنع من دخله أن يأكل (٨٢) ودل

(٧٩) معجم رجال الحديث ١٣ / ٥٤ .

(٨٠) معجم رجال الحديث ١٣ / ٥٤ .

(٨١) معجم رجال الحديث ١٣ / ٥٤ .

(٨٢) سفينة البحار ٢ / ٢٧٣ .

ذلك على سخائه ونبله ، وسمو إنسانيته .

وفاته :

انتقل الى الرفيق الأعلى وعمره خمس وستون سنة (٨٣) ولم تشر المصادر التي عثرنا عليها الى السنة التي توفي فيها وللمكان الذي دفن فيه فقد اهملت ذلك .

علي :

ابن الامام زين العابدين ، توفي بينبع (٨٤) ودفن بها ، وعمره ثلاثون سنة (٨٥) ولم نعثر على ترجمة ملهمة بحياته ، فقد اهملت مصادر التراجم والنسب البحث عنه ، وبهذا ينتمي بنا الحديث عن السادة الابرار من أخوان الامام .

ابناء الامام الباقر :

اما ابناء الامام الباقر فكانوا من حسنات الأسرة النبوية ، ومن مفاخر ابناء المسلمين في هديهم وصلاتهم وابتعادهم عن مآثم هذه الحياة ، قد رباهم الامام بمكارم اخلاقه ، وغرس في نفوسهم نزعاته الكريمة ، ومثله العليسا فكانوا امتدادا مشرقاً لذاته العظيمة التي طبق شذاها العالم . . .

(٨٣) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ .

(٨٤) ينبع : يقع عن يمين رضوى لمن كان منحدرأ من المدينة الى البحر ، وهي لبني الامام الحسن ، فيها عيون عذاب غزيرة ، وقال بعضهم إنه حصن به نخيل ، وماء وزرع ، وبها وقوف للأمام أمير المؤمنين (ع) ينولها ولده ، معجم البلدان ٥ / ٤٥٠ .

(٨٥) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٩ .

أما ذريته الطاهرة من الذكور فهم :

١ - إبراهيم

ابن الامام الباقر (ع) وأمه أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الاخنس الشقي (٨٦) ولم نقف على أية معلومات عنه .

٢ - الامام جعفر

هو سيد ولد أبيه ، ووصيه ، والامام القائم من بعده ، وكان من مفاخر هذه الدنيا ، وفي طليعة عباقرة العالم ، وذلك بما حققه على الصعيد الفكري والعلمي من التطور الهائل في الميادين العلمية والتي كان منها الابداع في علم الكيمياء الذي اتى بحوثه على جابر بن حيان مفخرة الشرق العربي ، ويعتبر هذا العلم الأداة الخلاقة للتقدم التكنولوجي في العالم ، ولا تزال الكثير من النظريات التي أدلى بها الامام في هذا الفن لم تكتشفها العلوم الحديثة وما توصل لمعرفة الاختصاصيون (٨٧) .

أما البحوث الفلسفية والكلامية فيعتبر الامام الصادق من الرواد الاوائل فيها وقد تخرج على يده فيها هشام بن الحكم الذي يعتبر الانموذج الرائع في هذه البحوث .

أما الفقه الاسلامي فانه للمؤسس له والواضع لقواعده وأصوله بعد آبائه الطاهرين ، وقد عنى بهذا العلم عناية بالغة ، فوجه جل اهتمامه نحوه

(٨٦) مرآة الزمان في تواريخ الاعميان ٧٨ / ٥ ، طبقات ابن سعد

٥ / ٣٢٠ .

(٨٧) أعلن ذلك الدكتور محمد يحيى الهاشمي في كتابه الامام الصادق

عليه السلام الكيمياء .

وقد حفلت الموسوعات الفقهية بما أثر عنه بهديث يعد معظم أبواب الفقه وفروعه قد روي عنه .

وإذا نظرنا إلى سائر العلوم الإسلامية الأخرى كعلم الحديث والتفسير والأخلاق وغيرها فنجد أكثرها قد أخذ عنه . . . ولا يعرف التاريخ الإنساني من هو أعظم منه علماً وفضلاً عبداً آبائه (ع) أما الحديث عن نواحي شخصيته منفصلاً فإنه يستدعي موسوعة كبيرة .

٣ - عبد الله

ابن الإمام الباقر (ع) وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر (٨٨) قام بتربيته أبوه وعن بهديثه فكان من أفاضل العلويين ، وأنهمهم ، وقد توفي شهيداً سقاه السم رجس من أرجاس بني أمية ، يقول المؤرخون إنه دخل عليه ، فاوجس منه عبد الله خيفة فقال له : « لا تقتلني اكن لله عليك عيناً ، واكن لك على الله عوناً » (٨٩) .

فلم يعن به الأموي واجبره على تناول السم ، فلما سقي تقطعت أمعاؤه ، ولم يلبث إلا قليلاً حتى فارق الحياة (٩٠) لقد مضى إلى الله شهيداً شأنه شأن آبائه الذين أجهزت عليهم القوى الشريرة والنفوس الآثمة الحاكمة على ذوي الأحساب الأصلية التي رفعت منار الكرامة الإنسانية .

(٨٨) الارشاد (ص ٣٠٣) .

(٨٩) المراد بقوله : « اكن لك على الله عوناً » أي اكن لك شفيماً عند الله .

(٩٠) غاية الاختصار (ص ٦٤) سفينة البحار ١ / ٣٠٩ .

علي

ابن الامام الباقر (ع) عاش في كنف أبيه ، وتربى على هديه ، وسلوكه فنشأ مثلاً للفضل والكمال ، لقب بالطاهر لطهارة نفسه وعظيم شأنه توفي بالقرب من بغداد في قرية من أعمال الخالص ، أدلى بذلك محب الدين ابن النجار في تأريخه قال : « مشهد الطاهر يقع في قرية من أعمال الخالص قريبة من بغداد ظهر فيها قبر قديم عليه صخرة فيها مكتوب : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ضريح الطاهر علي بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) » وقد انقطع باقي الصخرة فبنى عليه قبة من لبن ، ثم عمره بعد ذلك شيخ من الكتاب يقال له : علي بن نعيم كان يتولى كتابة ديوان الخالص ، فزوجه وزخرفه ، وعلق فيه قناديل من الصفر ، وبني حوله رحبة واسعة ، وصار من المشاهد التي تزار . » (٩١) ونقل عن صاحب رياض العلماء أن قبره في (كاشان) وعليه قبة رفيعة عظيمة وله كرامات ظاهرة (٩٢) .

٥ - عبد الله

وأمه أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفية (٩٣) توفي في حياة أبيه (٩٤)

(٩١) غاية الاختصار (ص ٦٣) .

(٩٢) سفينة البحار ١ / ٣٠٩ .

(٩٣) الارشاد (ص ٣٠٣) النفحة الصبرية للسيد كاظم يمانى من مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة ، ولم يذكر عبد الله في جمهرة انساب العرب ، ولا في عمدة الطالب ولا في مرآة الزمان فقد خلت هذه المصادر من ذكره .

(٩٤) الصراط السوي (ص ١٩٤) .

ولم نعث له على ترجمة وافية في المصادر التي بأيدينا .

السيدات من بناته :

أما السيدات من بناته فهن : السيدة زينب ، وأمها أم ولد ، والسيدة أم سلمة (٩٥) وأمها أم ولد ، وهي أم أسماعيل بن الأرقط ، وقد مرض ولدها اسماعيل فهرعت الى الامام الصادق فزعة ، فأمرها أن تصعد فوق البيت ، وتصل ركعتين ، وتدعو الله بهذا الدعاء : « اللهم انك وهبته لي ، ولم يك شيئاً ، اللهم واني استوهبكه فاعرنيه . . . » (٩٦) ففعلت ذلك فعافاه الله .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن السادة الابرار من ابناء الامام (ع) .



مركز تحقيقات كنج پور علوم اسلامی

(٩٥) مرآة الزمان في تواریخ الاعیان ٥ / ٧٨ ، طبقات ابن سعد

٥ / ٢٣٠ ، وفي النفحة العنبرية بناته : زينب الكبرى وزينب الصغرى ، وأم كلثوم .

(٩٦) سفينة البحار ١ / ٣٠٩ .



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

اِکْبَارُ وَتَعْظِيمُ

واجتمع رجال الفكر والعلم من المعاصرين للأمم وغيرهم من البعث والمؤلفين على تعظيم الامام الباقر (ع) والاعتراف له بالفضل والتموق العلمي على غيره وقد اتفقت كلماتهم على أنه اسمى شخصية علمية عرفها العالم العربي والاسلامي ، وهذه بعض كلماتهم التي تحمل انطباعاتهم عنه .

١ - الامام الصادق :

قال الامام أبو عبد الله الصادق (ع) : « كان أبي خير حمدي يومئذ على وجه الارض .. » (١)
ومعنى ذلك ان الامام الباقر (ع) كان أفضل مسلم - في عصره - في علمه وتقواه ، وتخرجه في الدين ، وغير ذلك مما يسمو به الانسان للمسلم .



٢ - محمد بن المنكدر :

وكان محمد بن المنكدر من عاصر الامام زين العابدين وولده الامام الباقر عليهما السلام ، وقد أدلى بانطباعاته عنه يقول : « ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفاً لفضله ووزارة علمه وحلمه حتى رأيت ابنه محمداً .. » (٢)

٣ - سديف المكي :

وسديف المكي من أصحاب الامام أبي جعفر ، وقد اتصل به ، وهو من أبدي إعجابه وأعجابه به يقول : « ما رأيت محمدياً قط

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٠٩ .

(٢) روضة الكافي ، وقريب منه في الاتحاف بحب الاشراف (ص

٥٣) وتهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٢ .

يعدله « (٣) .

٤ - هشام بن عبد الملك :

أما هشام بن عبد الملك فكان من اعظم الخاقدين على الامام ومن
ألد أعدائه إلا أنه اعترف بسمو مكانة الامام ، وعظيم شأنه فقد خاطبه
قائلاً : « يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم
مثلك . . » (٤)

٥ - المنصور الدوانيقي :

وتحدث الامام الباقر (ع) عن قائم آل محمد (ص) ومهدي هذه
الامة وكان في المجلس المنصور الدوانيقي فبهر من ذلك ، وراح يحدث
سيف بن عمير بما سمعه من الامام قائلاً : « لو حدثني أهل الارض
كلهم ما قبلت منهم ، وليكنه محمد بن علي . . » (٥) ودل هذا الكلام
على مدى اكباره وتعظيمه للامام ، فلو حدثه أهل الارض جميعاً بمقالة
الامام لما قبل منهم وصدقهم ، وليكن الامام حدثه بذلك وهو - حسب
اعترافه - يفوق الناس جميعاً في صدقه ووثاقته .

٦ - عبد الله بن عطاء :

وتحدث عبد الله بن عطاء عن اكبار العلماء وتعظيمهم للامام (ع)
وتواضعهم أمامه يقول : « ما رأيت العلماء عند أحد اصغر منهم عند أبي
جعفر محمد بن علي لتواضعهم له . . ومعرفة بهم بحقه ، وعلمه ، واقتباسهم

(٣) أمالي الصدوق (ص ٢٩٧) .

(٤) ضياء العالمين الجزء الثاني في ترجمة الامام الباقر .

(٥) الفرائد الغوالي ٦ / ١٤٣ .

منه ، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة على جلالته وسنه ، وهو بين يديه يتعلم منه ، ويأخذ عنه كالصبي بين يدي المتعلم . . » (٦) وأدلى مرة أخرى عن مشاهدته للحكم عند الامام قال : « رأيت الحكم عنده كأنه عصفور مغلوب على أمره . . » (٧)

ولا بد لنا من وقفة قصيرة عند الحكم بن عتيبة لنرى مكانته ومنزلته العلمية ليتبين لنا مدى سعة علوم الامام (ع) وسمو مكانته عند العلماء . . . لقد كان الحكم - فيما يقول الرواة - من أجل علماء عصره وانهم شأناً يقول بجاهد بن رومي : رأيت الحكم في مسجد الخيف ، وعلماء الناس عيال عليه ، وتقل جرير عن المغيرة ان الحكم إذا قدم المدينة أدخلوا له سارية النبي (ص) يصلي إليها (٨) وقال : ابن سعد : كان ثقة ثقة فقيها عالماً ربيعاً كثير الحديث .

وإذا كان الحكم وهو بهذه المنزلة من سعة العلم وجلالة القدر كأنه الصبي المغلوب على أمره بين يدي الامام فلا بد أن يكون أهل عصره واكثرهم احاطة في جميع العلوم ، وهذا ما تذهب اليه الشيعة وتدل عليه من سعة علوم الامام .

٧ - جابر بن يزيد :

وجابر بن يزيد الجعفي من أشهر علماء المسلمين ، ومن أجل رواة (٦) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ١٤) وقريب منه جاء في كل من حلية الأولياء ٣ / ١٨٦ ، شذرات الذهب ١ / ١٤٩ ، تاريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٣ مرآة الجنان ١ / ٢٤٨ .

(٧) تهذيب التهذيب ٢ / ١٢٣ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢ / ١٣٤ .

الحديث ، وهو من تتلمذ عند الامام أبي جعفر (ع) وروى عنه سبعين ألف حديث - حسبما يقول الذهبي - وكان من عرف مقام الامام ووقف على مكانته فكان إذا حدث عنه يقول : « حدثني وصي الاوصياء ، ووارث علم الانبياء » (٩) .

٨ - جابر بن عبد الله :

واشتهر الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري بالولاء لأهل البيت (ع) والتفاني بهم ، وهو الذي حمل تحيات النبي (ص) الى الامام أبي جعفر (ع) - كما ذكرنا ذلك - وهو من وعى مكانة الامام (ع) فكان يجله ويعظمه والامام صبي يافع فكان اذا خاطبه قال له : « أنت ابن خير البرية ، وجدك سيد شباب أهل الجنة .. » (١٠) .

٩ - ابن حجر الهيتمي :

قال شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي : « أبو جعفر محمد الباقر ، سمي بذلك من بقر الأرض أي شقها ، وأُناز غيآتها ومكانتها ، فلذلك هو اظهر من غيآت كنوز المعارف ، وحقائق الاحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ، ورافعه ، صفاء قلبه ، وزكا علمه وعمله ، وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ، وعمرت أوقاته بطاعة الله وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه السنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه المجالة .. » (١١)

(٩) مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ١٨٠ .

(١٠) بحار الانوار ١١ / ٦٤ .

(١١) الصواعق المحرقة (ص ١٢٠) .

وحددت هذه الكلمات بعض الجوانب المشرقة من حياة الامام أبي جعفر (ع) والتي كان منها قيامه بإبراز كنوز المعارف ، وحقائق الاحكام بعد أن خفى أمرها على الناس ، وهذا ما سنتحدث عنه في البحوث الآتية .

١٠ - ابن كثير :

وترجم أبو الفداء الحافظ ابن كثير الامام الباقر وقال فيه : « هو تابعي جليل القدر كثير ، أحد أعلام هذه الأمة علما وعملا وسيادة وشرفا ... سمي الباقر لبقره العلوم ، واستنباطه الحكم ، وكان ذا كراما خاشعا ، صابرا ، وكان من سلالة النبوة ، رفيع النسب ، عالي الحساب ، وكان عارفا بالخطرات ، كثير البكاء والعبرات ، معرضا عن الجدال والخصومات ... » (١٢)

وتحدث ابن كثير عن سعة علوم الامام ، وعبادته وصبره ، وسمو حسبه ونسبه ، وكثرة بكاؤه من خشية الله ، واعراضه عن الجدل والخصومات وقال الامام (ع) بهذه الصفات اعجاب العلماء واكبارهم وتقديرهم .

١١ - عبد الحميد الخنيلي :

قال عبد الحميد بن العماد الخنيلي في ترجمته للامام : « كان من فقهاء المدينة وقيل : له الباقر لأنه بقر العلم أي شقه وتوسع فيه ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية . . » (١٣) .

١٢ - النبهاني :

قال الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني : « محمد الباقر بن علي زين

(١٢) البداية والنهاية ٩ / ٣٠٩ .

(١٣) شذرات الذهب .

العابدين بن الحسين أحد أئمة ساداتنا آل البيت الكرام ، وأخذ أعيان العلماء الاعلام . . . » (١٤)

١٣ - القرماني :

وترجم احمد بن يوسف القرماني الامام قال : « إنما سمي الباقر لأنه بقر العلم . . . وكان خليفة أبيه من بين أخوته ووصيه ، والقائم بالامامة من بعده ، ولم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحسين من علم الدين والسنن وعلم القرآن ، والسير وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر ، روى عند معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين . . » (١٥)

١٤ - الذهبي :

وترجم الذهبي في كثير من مؤلفاته الامام (ع) إلا أنه شذ في بعض أقواله ، وفيما يلي ذلك :
أ - قال : « كان الباقر سيد بني هاشم في زمانه فضلاً وعلماً وسؤداً » (١٦)

ب - قال : « كان الباقر سيد بني هاشم في زمانه اشتهر بالباقر من قولهم : « بقر العلم » يعني شقه فعلم اصلاً وخفيه . . . » (١٧)
ج - قال : « كان الباقر أحد من جمع بين العلم والعمل ، والسؤدد والشرف والثقة والرزانة ، وكان أهلاً للخلافة ، وهو أحد الأئمة الأثني

(١٤) جامع كرامات الأولياء ١ / ٩٧ .

(١٥) اخبار الدول (ص ١١١) .

(١٦) تذهيب الكمال ٣ / ق ٤ / ٢٦٢ مخطوط .

(١٧) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤ .

عشر الذين تبجلهم الشيعة الامامية ، وتقول : بمصنعتهم ، وبمعرفةهم بجميع الدين .

ولقد كان أبو جعفر اماماً مجتهداً ، تالياً لكتاب الله ، كبير الشأن ، ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه ، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعه ، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب . « (١٨) وانحرف الذهبي عن الحق في تقديمه لابن كثير ، وأبي الزناد وربيعه وقاتادة وابن شهاب على الامام فان هؤلاء الاعلام لا يقاسون بتلاميذه كزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وجابر بن يزيد الجعفي فان ما أثر عنهم من الفضل والعلم يفوق بكثير مما أثر عن ابن كثير وجماعته ، وقد كان قتادة قد خاصمه الامام واجتمع عليه فولى منزماً لا يعرف ما يقول ، ولا يدري كيف يتخلص مما هو فيه . . . ولكن الذهبي كان يملك ضميراً متحجراً مترعاً بالكراهية ولقد على آل النبي (ص) وشيعتهم كما أعلن ذلك في كثير من بحوثه ، وما أبدع ما قيل فيه :

سميت بالذهبي اليوم تسمية مشتقة من ذهاب العقل لا الذهب

١٥ - محمد بن أبي بكر :

قال محمد بن أبي بكر : المعروف بابن حماد دكين المتوفى سنة (٧٠٠ هـ) : « سيدنا الامام محمد بن الامام زين العابدين (ع) برز بالفضل في العلم والزهد ، والسؤدد ، وكان نبه الذكر ، عظيم القدر ، جليل الشأن ، لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين (ع) من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر ، روى عنه علماء الدين وبقايا الصحابة ووجوه التابعين ، ورؤوساء فقهاء المسلمين ، وصار (١٨) سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٤١ من مصورات مكتبة الامام الحكيم .

بالفضل علماً تضرب به الامثال ، وتسير بوصفه الآثار والاشعار ... » (١٩)

١٦ - محمد الجزري :

قال محمد بن محمد الجزري : « محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر ، لأنه بقر العلم - أي شقة - وعرف ظاهره وخفيه ، وكان سيد بني هاشم علماً وفضله وسنة ... » (٢٠) .

١٧ - كمال الدين الشافعي :

قال كمال الدين الشافعي : « هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ، ورافعه ومتوفق دره وراضعه ، صفا قلبه ، وزكا عمله ، وطهرت نفسه ، وشرفت اخلاقه ، وعمرت بطاعة الله أوقاته ، ورسخت في مقام التقوى قدمه وظهرت عليه سيمات الازدلاف ، وطهارة الاحتباب فالمناقب تسبق اليه ، والصفات تشرف به ... » (٢١)

١٨ - ادريس القرشي :

قال الداعي ادريس القرشي : « محمد بن علي أول من حاز شرف الأصلين واجتمعت له ولادة الحسن والحسين ، ونشأ على الفضل والطهارة والرياسة والسيادة والعلم . واحتذى سيرة آبائه الطاهرين ، ولم يزل في درجات الفضائل منتقلاً ، وللمفاخر السامية متوغلاً ... » (٢٢)

(١٩) روضة الاعيان في مشاهد اخبار الزمان من مصورات مكتبة

الحكيم .

(٢٠) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٢٠٢ .

(٢١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول .

(٢٢) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢١٢) .

١٩ - جمال الدين :

قال جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتاباكي : « أبو جعفر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي سيد بني هاشم في زمانه ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم . . . » (٢٣)

٢٠ - محمد الصبان :

قال محمد الصبان : « وأما محمد الباقر فهو صاحب المعارف ، وأخو الدقائق واللطائف ، ظهرت كراماته ، وكثرت في السلوك إشارات ، ولقب بالباقر لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله وخفيه . . » (٢٤)

٢١ - ابن أبي الحديد :

قال عبد الحميد بن أبي الحديد : « كان محمد بن علي الباقر سيد فقهاء الحجاز ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه ، وهو الملقب بالباقر لقبه به رسول الله (ص) ولم يخلق بعد ، وبشر به ، ووعد جابر برؤيته . . » (٢٥)

٢٢ - الشيخ المفيد :

قال الشيخ المفيد : « كان الباقر محمد بن علي بن الحسين من بين أخوته خليفة أبيه ووصيه ، والقائم بالامامة من بعده ، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد ، والسؤدد ، وكان أنبيهم ذكرا وأجلهم في العامة

(٢٣) النجوم الزاهرة ١ / ٢٧٣ .

(٢٤) اسماعيل الراغبين المطبوع على هامش نور الابصار (ص ٢١٦) .

(٢٥) شرح ابن أبي الحديد .

والخاصة ، وأعظمهم قدرا ، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين (ع) من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة ، وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر ، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين ، ورؤوساء فقهاء المسلمين ، وصار بالفضل به علماً لأهله ، تضرب به الأمثال ، وتسمو بوصفه الآثار والأشعار ... » (٢٦)

٢٣ - أبو الحسن الطبرسي :

قال الشيخ أبو الحسن الطبرسي : « قد اشتهر الباقر في العالم تبرزه على الخلق في العلم والزهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول (ص) من علم القرآن والآثار والسنة ، وأنواع العلم والحكم والآداب ما أثر عنه واختلف إليه كبار الصحابة ووجوه التابعين ، وفقهاء المسلمين ، وعرفه رسول الله (ص) باقر العلم على ما رواه نقلة الآثار ... » (٢٧)

٢٤ - تاج الدين :

قال تاج الدين بن محمد نقيب حلب : « أبو جعفر باقر العلم هو أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين ، كان واسع العلم ، وافر الحلم ، روي عنه حديث كثير ، ونقل عنه علم جم ... » (٢٨)

٢٥ - محمود بن وهيب :

قال محمود بن وهيب البغدادي : « سمي بالباقر من بقر الارض أي شقها ، وأثار غبشاتها ، ومكامنها ، فلذلك هو اظهر من مخبآت كنوز المعارف ،

(٢٦) الارشاد (ص ٢٩٣) .

(٢٧) اعلام الوري بأعلام الهدى (ص ٢٦٨) .

(٢٨) غاية الاختصار (ص ٤٠١) .

وحقائق الاحكام والحكمة واللطائف ما لا يخفى إلا على منعمس البصيرة ،
ومن ثم قيل باقر العلم وجامعه ورافعه ، صفاء قلبه ، وزكا علمه وعمله ،
وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ، وعمرت أوقاته بطاعة مولاه وله من
الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه السنة الواصفين . . » (٢٩)

٢٦ - عباس المكي :

قال السيد عباس بن علي المكي : « الباقر أحد الأئمة الاثني عشر
عند الامامية ، وكان عالماً سيداً كبيراً ، وما سمي الباقر إلا لأنه تبقر في
العلم أي توسع فيه . . » (٣٠)

٢٧ - السيد كاظم اليماني :

قال السيد كاظم اليماني : « الامام الباقر : هو ثاني سبط ، وخامس
امام معصوم على رأي من رأي ذلك ، ورابع تقي على رأي الاجماع ، وهو
المكفي أبا جعفر . . » (٣١)

٢٨ - ابن تيمية :

قال ابن تيمية : « كان محمد الباقر أعظم الناس زهداً وعبادة بقر
السجود جبهته ، وكان اعلم اهل وقته ، سماه رسول الله (ص) الباقر ،
وذكر حديث جابر » (٣٢) إلا انه بعد ذلك عدل عما قاله : وانكر
تسمية النبي (ص) للامام الباقر بهذا الاسم وقال : « لا اصل له عند

(٢٩) جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٣٢) .

(٣٠) نزوة المجلس ٢ / ٣٦ .

(٣١) النسخة الغنبرية من مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء .

(٣٢) منهاج السنة ٢ / ١١٤ - ١١٥ .

أهل العلم بل هو من الإحاديث الموضوعة « (٣٣) لقد عرف ابن تيمية بالبغض لأهل البيت (ع) ولحقده على شيعتهم فقد ألصق بهم - بدون تورع - كل احدثوثة وخرافة ، وحسابه في ذلك على الله وعلى العلم والتاريخ ، ولعل اعظم عقاب ناله فقدان الثقة بما كتبه فلا ينظر إليه المؤرخون إلا نظرة ريبة وشك في جميع ما كتبه .

٢٩ - الشيخخاني :

قال عبد القادر الشيخخاني : « محمد الباقر كان اشهر أهل زمانه ، واكملهم فضلاً ، واعظمهم نبلاً ، ولم يظهر في زمانه عند أحد من علم الدين والسنن ، وعلم القرآن والسير وفنون الآداب مثل ما ظهر منه . . » (٣٤)

٣٠ - المجلسي :

قال الشيخ المجلسي : « لم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحسين من العلوم ما ظهر منه « أي الباقر » من التفسير والكلام والفتيا ، والحلال والحرام . . . وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، ورؤوساء فقهاء المسلمين ، فمن الصحابة جابر بن عبد الله الانصاري ، ومن التابعين نحو جابر بن يزيد الجعفي ، وكيسان السخيتاني صاحب الصوفية ، ومن الفقهاء نحو ابن المبارك ، والزهري ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وزيايد بن المنذر ، والنهدي ، ومن المصنفين نحو الطبري ، والبلاذري ، والخطيب في تواريخهم ، وفي الموطأ ، وشرف

(٣٣) منهاج السنة ٢ / ١٢٣ .

(٣٤) الصراط السوي (ص ١٩٤) من مصورات مكتبة الامام أمير

المؤمنين (ع) .

المصطفى ، والابانة وحلية الأولياء ، وسنن أبي داود ، ومسنند أبي حنيفة ،
وترغيب الاصفهاني وبسيط الواحددي ، وتفسير العياشي ، والزنجشري ،
ومعرفة اصول السمعاني وكانوا يقولون : محمد بن علي ، وربما قالوا :
محمد الباقر . . » (٣٥)

والم كلام المجلسي بالناحية العلمية من شخصية الامام العظيم التي
استوعبت جميع المعارف ، وقد اتفق من تميز علمه علماء المسلمين فأخذوا
عنه الفقه والتاريخ والتفسير وعلم الكلام ، وفنون الحكم والآداب ، ما
يعتبر عاملاً جوهرياً في نشأة التطور والابداع في الفكر الاسلامي .

٣١ - النووي :

قال النووي : « الباقر تابعي جليل ، امام بارع ، مجمع على جلالته ،
معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم . . » (٣٦)

٣٢ - أبو زرعة :

قال أبو زرعة : « إن أبا جعفر لمن اكبر العلماء . . » (٣٧)

٣٣ - ابن عنبه :

قال جمال الدين احمد بن علي بن الحسين بن المهنا بن عنبه : « كان
محمد الباقر واسع العلم ، وافر الحلم ، وجلالة قدره أشهر من أن ينسب
عليها . » (٣٨)

(٣٥) بحار الانوار ١١ / ٨٤ .

(٣٦) تهذيب اللغات والاسماء ١ / ٨٧ .

(٣٧) اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٤٨٥ .

(٣٨) عمدة الطالب ٢ / ٢٩ .

٣٤ - علي بن عيسى الأربلي :

وتحدث الوزير علي بن عيسى الأربلي عن معالي سيرة أبي جعفر (ع) وختم حديثه بقوله : إن مناقبه أكثر من أن يأتي الحصر عليها ، ومزاياه أعلى من أن تتوجه الاحاطة بها ، ومفاخره إذا عُدَّت خِرت المفاخر والمحامد لديها لأن شرفه تجاوز الحد ، وبلغ النهاية ، وجلال قدره استولى على الأمن وأدرك الغاية ، ومحلّه من العلم والعمل رفع له ألف راية ، وكم له من علامات سؤدد ، وسيماء رياسة ، وآية سماحة وحماسة ، وشرف منصب ، وعلو نسب وفخر حسب ، وطهارة أم واب ، والأخذ من الكرم والطهارة بأقوى سبب لو طاول السماء لطالها ، وأورام الكواكب في أوجها لنالها . « (٣٩)

٣٥ - أحمد فهمي :

قال الشيخ أحمد فهمي : « الإمام الباقر : هو خامس الأئمة عند الإمامية وكان رضي الله عنه اصدق الناس ، واحسنهم بهجة ، وأبدعهم لهجة . . » (٤٠)

٣٦ - فريد وجدي :

قال فريد وجدي : « كان الباقر عالماً نبياً ، وسيداً جليلاً ، وسمى الباقر لأنه بقلم العلم أي توسع فيه . . » (٤١)

٣٧ - أبو زهرة :

قال الشيخ أبو زهرة : « وكان محمد ابنه - أي ابن الإمام زين

(٣٩) كشف الغمة ٢ / ٣٦٣ .

(٤٠) الإمام زين العابدين (ص ١٨) .

(٤١) دائرة معارف وجدي ٣ / ٥٦٣ .

العابدين - وريثه في امامة العلم ، ونيل الهداية ، ولذا كان مقصد العلماء من كل البلاد الاسلامية ، وما زار أحد المدينة إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه . . » (٤٢)

٣٨ - التلمساني :

قال التلمساني : « محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، وهو والد جعفر الصادق يقال له الباقر ، سمي باقرا لتبحره في العلم ، وهو الشق والتوسعة تابعي عدل ثقة ، وامام مشهور . . » (٤٣)

٣٩ - عبد القادر الحلبي :

قال عبد القادر الحلبي : « الباقر أول علوي ولد بين علويين تابعي جليل القدر ، امام بارع يجمع على امامته ، وجلالاته ، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم . . » (٤٤)

هذه بعض الكلمات التي أدلى بها كبار العلماء والبحاث في حق الامام وهي كما سجلت اكبارهم لشخصية الامام كذا لك كشفت عن بعض الجوانب من حياته المشرقة ، والتي كان منها :

أولاً - : تقدم الامام في الفضل والعلم على جميع علماء عصره ، وإنه لم يكن هناك أحد يدانيه في مواهبه وملكاته العلمية ، وإنه يفوق في فضله وعلمه اخوانه ، وابناء عمومته وسائر ابناء الأسرة النبوية التي هي

(٤٢) الامام الصادق (ص ٢٢) . .

(٤٣) شرح الشفا للخفاجي ١ / ٢٩٢ .

(٤٤) الحديث للمفحص عن شرف نسل الامام علي (ص ١٣٩) من

مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة .

مصدر النور والوعي في الارض .

ثانياً - : تصاغر علماء عصره أمامه إعترافاً منهم بسمو مقامه العلمي والروحي وإنه المرجع الأعلى للعالم الاسلامي .

ثالثاً - : سعة علوم الامام ومعارفه لا في الفقه الاسلامي فحسب ، وإنما كان ملماً بجميع العلوم من علم الكلام والفلسفة ، والتفسير والتأريخ والحكم والآداب وغير ذلك مما أصبح به المنار المشرق للعلوم الاسلامية .

رابعاً - : انه اظهر مخبآت بعض العلوم ، وكشف النقاب عن كنوز المعارف التي كانت خافية على الناس .

خامساً - : انه كان الرائد الاول للحركة العلمية في عصره ، فمن ندير علمه اقتبس العلماء ، ومن افاضاته استمدت البحوث والمؤلفون والكتاب .

سادساً - : تخرج الامام في الدين كأشد ما يكون التحرج ، وشدة ورعه وخوفه من الله مما جعله من أئمة المتقين والمنيبين .



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

مَظَاهِرُ شَخْصِيَّةِ

وتوفرت (في شخصية الامام أبي جعفر (ع) جميع الصفات الكريمة التي تؤهله لزعامة هذه الأمة ، وقيادتها الروحية والزرمنية ، فكل صفة من صفاته ترفعه الى القمة التي لا يبلغها إلا افاض الناس وعمالقة الدهر ، فهو كما قال الشاعر :

من هاشم في ذراها وهي صاعدة الى السماء تميّت الناس بالحسد
قوم أبي الله إلا أن تكون لهم مكارم الدين والدنيا بلا أمد
لقد كان الامام العظيم بمواهبه وعبقرياته صورة متميزة من بين صور
العظماء والمصلحين ، فقد تميز بفضائله النفسية ومآثره الخالدة ، وتميز
بحسبه الوضاح ، وتميز بكل ما يسمو به هذا الانسان ، ومن بين ما
تميز به .

أمامته :

وحياه الله بالامامة ، وخصه بالنيابة العامة عن جده الرسول (ص)
فهو أحد خلفائه ، وأوصيائه الاثني عشر الذين جعلهم النبي (ص) سفن
النجاة ، وأمن العباد ، وقرنهم بمحكم التنزيل ، ونصبهم اعلماً لأمتهم
صيانة لها من الفرقة ووقاية لها من الفتن والازمات .

لقد احتاط النبي (ص) كأشد ما يكون الاحتياط في شأن أمتهم ،
وأهاب بها من أن تكون في ذيل قافلة الأمم والشعوب ، فقد أراد لها
العزة والكرامة ، وأراد أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، فأولى الخلافة
والامامة للمزيد من اهتمامه ، وفادى بها أكثر مما نادى بأي فرض من
الفروض الدينية لأنها القاعدة الصلبة لتطور أمتهم في مجالاتها الفكرية
والاجتماعية والسياسية ، وقد خصها بالأئمة الطاهرين من أهل بيته الذين
لم يخضعوا بأي حال من الاحوال لأية نزعة مادية ، وإنما آثروا طاعة

الله ومصلحة الأمة على كل شيء .

وقد تحدث الامام الباقر (ع) عن الامامة بصورة موضوعية وشاملة
سنعرض لها عند البحث عن تراثه الفكري والعلمي . . . اما امامته فقد
دلت عليها النصوص العامة والخاصة ، والتي كان منها نص الامام أمير
المؤمنين (ع) على امامته ، وامامة الأئمة الطاهرين من بعده (١) وغير
ذلك من النصوص التي سنعرض لها في البحوث الآتية :

العصمة :

ومن اسمى مظاهر ذاتيات الامام أبي جعفر (ع) العصمة من
الذنوب والآثام ، وطهارته من الزيف والرجس .
ان العصمة لطف من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ممن امتحن
قلوبهم بالايمان ، وزكاهم ، واختارهم لاداء رسالته واصلاح عباده ، وهي
من أهم العقائد الراسخة عند الشيعة ، واحدى المبادئ الاساسية للامامة
عندهم ، وتحدث - بايجاز - عنها .

تعريف العصمة :

وعرف للمتكلمون من الشيعة العصمة بتعاريف متعددة ، كان من بينها
تعريف الشيخ المفيد ، فقد عرفها بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب
والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه وهو لطف يمتنع
من يختص به من فعل المعصية ، وترك الطاعة مع القدرة عليهما (٢)
ويقول العلامة الحلي : في تعريفها بأنها لطف من الله تعالى يفيضه على المكلف

(١) بصائر الدرجات (ص ١٠٨) للصفار .

(٢) شرح عقائد الصدوق (ص ١١٤) .

لا يكون له مع ذلك داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك (٣) وعرفها شيخ الطائفة الشيخ الطوسي بأنها ما يمتنع المكلف من المعصية في حال تمكنه منها .

والعصمة على ضوء هذه التعاريف عبارة عن الكمال المطلق للنفس ، وتحررها التام من كل نزعة من نزعات الهوى والغرور والطيش ، والامتناع من اقتراف أية جريمة أو ذنب سواء أكان على سبيل الحمس أم السهو ، ومن الطبيعي أنه لا يتصف بذلك إلا من اختاره الله لاداء رسالته وهداية عباده نبياً كان أم اماماً .

الاستدلال عليها :

واستدل الشيعية على ما ذهبوا اليه من اعتبار العصمة في الامام بأدلة كثيرة مقنعة لا مجال للشك فيها ، ولعل من أروع من استدلال عليها من متكلميهم هشام بن الحكم قال : إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها : الحرص ، الحسد ، الغضب ، الشهوة ، وهذه الصفات كلها منفية عن الامام ، فلا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا ، وهي تحت خاتمته ، فهو خازن أموال المسلمين فعلى ماذا يحرص ؟ ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الانسان إنما يحسد من فوقه ، وليس فوقه أحد ، فكيف يحسد من دونه ، ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل ، قد فرض عليه اقامة حدوده ، ولا يجوز أن يتبع الشهوات ، ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله حبيب إليه الآخرة كما حبيب إلينا الدنيا ، فهو ينظر الى الآخرة كما ننظر الى الدنيا ، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً

(٣) توفيق التطبيق (ص ١٦) .

حسناً لوجه قبيح ، وطعاماً طيباً لطعام مر ، وثياباً لينة لثوب خشن ،
ونعمة دانية باقية لدينا زائلة فانية (٤) .

واقامت الشيعة على ضرورة العصمة الأئمة بمجموعة كبير من الادلة
الوثيقة العقلية والنقلية حفلت بها كتبهم الكلامية (٥) وبرى «دونا لدسن»
ان فكرة العصمة عند الشيعة قد أدت الى تطور علم الكلام وازدهاره في
الاسلام... كما ان لهم الفضل في بحث هذا الموضوع لا في الاسلام فحسب
بل في جميع الديانات الاخرى (٦) فقد كانوا أول من فتق باب الجسدل
والحوار العلمي المبنى على الادلة العقلية المثبتة لشؤون مبادئهم الاساسية
في الامامة .

شكوك وأوهام :

وأثير حول العصمة كثير من الشكوك والأوهام ، وأتهمت الشيعة
بالمجود والغلو ، وقال الناقدون لهم : إن الأئمة كبقية الناس يطيعون
الله ، ويعصونه ، وتصدر المعصية عنهم عمداً أو سهواً من دون أن يكون
هناك أي فرق بينهم ، وبين سائر الناس .

وأكبر الظن ان الحملات المسعورة التي ولجتها الشيعة في التزامهم
بعصمة أئمتهم إنما كانت لتبرير ملوك بني أمية وبني العباس الذين أضفوا
عليهم النعوت العظيمة والالقباب الكريمة فأدعوا أنهم سادة الشريعة ،

(٤) عقيدة الشيعة (ص ٣١٧) .

(٥) يراجع الالفين للعلامة الحلي ، وأوائل المقالات في للمذاهب المختارة
للشيخ المفيد ، ومنهاج الكرامة للعلامة الحلي .

(٦) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية (ص ١٣٤) .

وخلفاء الله في أرضه ، ولا مانع مع ذلك أن تصدر عنهم المعاصي والذنوب ،
فليست العصمة اذن شرطاً فيمن يتولى شؤون المسلمين ، وقد انكرت الشيعة
ذلك أشد الانكار ، وذهبت الى أن خلافة أولئك الملوك لا تحمل أي طابع
من الشرعية ، وذلك لما أثر عنهم من الاعمال التي لا تتفق مع أبسط قواعد
الدين الاسلامي ، فقد أسرفوا إلى حد بعيد في الدعارة واللغو والمجون ،
وتحولت قصورهم إلى مسارح للغو والرقص والفساد ، وفي ذلك يقول الشاعر
في المهدي العباسي :

بنو أمية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود
وإذا كان الخليفة قد صرعه الهوى فصار حليفاً للناي والعود ، كيف
يكون اماماً للمسلمين ، وخليفة الله في أرضه ؟
لقد احتاط الاسلام كأشد ما يكون الاحتياط في شأن الخلافة الاسلامية
باعتبارها المركز الحساس لسعادة المسلمين ، وتقدمهم وتطور حياتهم فليس
من المنطق في شيء أن يضافى على أولئك الملوك خلفاء الله في أرضه ،
وامنائه على عبادته ، وان يقال بشرعية خلافتهم .

لقد قالت الشيعة : بعصمة أئمتهم لأنهم الانعوزج الاعلى للتكامل
الانساني ، ولم يؤثر عن احد منهم - فيما اجمع عليه المؤرخون - انه قد
شد في سلوكه عن الطريق القويم أو خالف الله فيما أوجب أو نهى ،
ألم يقل الامام امير المؤمنين (ع) : « والله لو اعطيت الاقاليم السبع بما تحت
افلاكها على أن اعصي الله في جلب شعيرة اسلمها من فم جرادة ما فعلت » وهذه
هي العصمة التي تدعيها الشيعة لأئمتهم (ع) فليس فيها غلو ولا جود ، وإنما

كانت مطابقة للواقع المحسني عن سيرة أئمة أهل البيت (ع) الذين تخرجوا كأشد ما يكون التحرج في أمور دينهم ، وآثروا طاعة الله على كل شيء ، وقد أعلن الكتاب الكريم عصمتهم وطهارتهم من الزيف والاثم قال تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » وقرنهم الرسول الاعظم بمحكم التنزيل قال (ص) خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيبي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً » فكما ان الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كذلك العزة الطاهرة وإلا لما صحت المقارنة بينهما .

حلله

أما الحلم فقد كان من ابرز صفات الامام أبي جعفر (ع) فقد اجمع المؤرخون على أنه لم يسيء الى من ظلمه واعتدى عليه ، وإنما كان يغدق عليه بالبر والمعروف ، ويقابله بالصفح والاحسان ، وقد روى المؤرخون صورا كثيرة من عظيم حلمه ، كان منها :

١ - ان رجلاً كتابياً هاجم الامام، واعتدى عليه ، وخاطبه بمر القول : « أنت بقر . »

فلطف به الامام ، وقابله ببسمات فياضة بالبشر قائلاً : « لا .. أنا باقر . . »

وراح الكتابي يهاجم الامام قائلاً : « أنت ابن الطباخة . »

فتبسم الامام ، ولم يثره هذا الاعتداء وقال له : « ذاك حرفتها . . »

ولم ينته الكتابي عن غيه ، وإنما راح يهاجم الامام قائلاً : « أنت ابن السوداء الزغنة الندية . . »

ولم يغضب الإمام ، وإنما قابله باللطف قائلاً :
 « إن كنت صدقت غفر الله لك ، وإن كنت كذبت غفر الله لك . . »
 وبهت الكتابي ، وبهر من معالي اخلاق الامام التي تضارع اخلاق
 الأنبياء ، فاعلن اسلامه (٧) ورجع الى حظيرة الحق .
 ٢ - ومن تلك الصور الرائعة المدهشة من حلمه أن شامياً كان يختلف
 الى مجلسه ، ويستمع الى محاضراته ، وقد أعجب بها ، فأقبل يشتد نحو
 الامام وقال له :

« يا محمد إنما أخشى مجلسك لاحقاً مني إليك ، ولا أقول : إن أحداً
 أبغض إلي منكم أهل البيت ، واعلم ان طاعة الله ، وطاعة أمير المؤمنين
 في بغضكم ، ولكفي أراك رجلاً فصيحاً لك أدب وحسن لفظ ، فانما
 اختلف إليك لحسن أدبك ١١ »
 ونظر إليه الامام بعطف وحنان ، واخذ يفتق عليه ببرد ومعرفة حتى
 استقام الرجل وتبين له الحق ، فتبدلت حالته من البغض الى الولاء
 للامام ، وظل ملازماً له حتى حضرته الوفاة فأوصى أن يصلي عليه (٨) .
 وحاكى الامام بهذه الاخلاق الرفيعة جسده الرسول (ص) الذي
 استطاع بسمو اخلاقه أن يؤلف ما بين القلوب ، ويوحد ما بين المشاعر
 والعواطف ويجمع الناس على كلمة التوحيد بعدما كانوا فرقاً واحزاباً
 « اكل حزب بما لديهم فرحون »

الصبر :

لقد كان الصبر من الصفات الذاتية للأئمة الطاهرين من أهل البيت (ع)

(٧) اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ٥٠٤ .

(٨) بحار الانوار ١١ / ٦٦ .

فقد صبروا على مكاره الدهر، ونوائب الأيام ، وصبروا على تجرع الخطوب التي تعجز عنها الكائنات، فقد كان الامام الحسين (ع) على صعيد كربلاء يستقبل المحن الشاقة التي تذهل كل كائن حي ، وهو يقول : « صبراً على قضائك يا رب لا معبود سواك . » وصبر الامام الباقر (ع) كأبائه على تحمل المحن والخطوب ، وقد كان منها ما يلي :

١ - انتقاص السلطة لأبائه الطاهرين ، وإعلان سبهم على المنابر والمآذن ، وهو (ع) يسمع ذلك ، ولا يتمكن أن ينبس ببنت شفة فصبر على كظم الغيظ ، وأوكل الأمر الى الله الحاكم بين عباده بالحق .

٢ - ومن بين المحن الشاقة التي صبر عليها التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت (ع) وقتلهم تحت كل حجر ومدر بأيدي الجلادين من عملاء السلطة الاموية ، وهو لا يتمكن أن يحرك ساكناً ، قد فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة، وأحاطته بمباحثها ، ولم تستجب لأي طلب له في شأن شيعة .

٣ - وروى المؤرخون عن عظيم صبره أنه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره ، فاسرع اليه بعض مواليه فأسره فقال (ع) : « الحمد لله على ما أعطى ، وله ما أخذ انهم عن البكاء ، وخذوا في جهازه ، واطلبوا السكينة ، وقولوا لها : لا ضير عليك أنت حرة لوجه الله لما تداخلك من الروع . . »

ورجع الى حديثه ، فتهيب القوم سؤاله ، ثم اقبل غلامه فقال له : قد جهزناه ، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه ، واخبر أصحابه بشأنه فقال لهم : انه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات (٩)

(٩) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢١٨) .

تدول الدول ، وتنفي الحضارات ، وهذه الاخلاق العلوية أحق بالبقاء ، وأجدر بالخلود من كل شيء لأنها تمثل شرف الانسانية وقيمها الكريمة .
 ٤ - ويقول المؤرخون : إنه كان للأمام ولد وكان أثيراً عليه فمرض فخشي على الامام لشدة حبه له ، وتوفي الولد فسكن صبر الامام ، فقليل له : خشينا عليك يا بن رسول الله (ص) ، فأجاب بالاطمئنان والرضا بقضاء الله قائلاً :

« أنا ندعو الله فيما يحب فاذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب . . » (١٠)

لقد تسلم الامام بالصبر وقابل نوائب الدنيا وكوارث الدهر بارادة صلبة ، وايمان راسخ ، وتحمل الخطوب في غير ضجر ولا سأم محتسباً في ذلك الأجر عند الله .



تكريمه للفقراء بزخمتكثيرهم

ومن معالي أخلاقه أنه كان يبجل الفقراء ، ويرفع من شأنهم لئلا يرى عليهم ذل الحاجة ، ويقول المؤرخون : إنه عهد لأهله اذا قصدهم سائل ان لا يقولوا له : يا سائل خذ هذا ، وإنما يقولون له : يا عبد الله بورك فيك (١١) وقال : سموهم باحسن اسمائهم (١٢) .
 انها اخلاق النبوة التي جاءت لتسمو بالانسان ، وتغذيه بالعزة والكرامة وتنفي عنه الخنوع والذل .

(١٠) تاريخ دمشق ٥١ / ٥٢ ، عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ / ٥٧ .

(١١) عيون الاخبار ٣ / ٢٠٨ .

(١٢) البيان والتبيين (ص ١٥٨) اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٤٧٢ .

عتقه للعبيد !

وكان الامام العظيم شغوفاً بعشق العبيد ، وانقاذهم من رق العبودية ، فقد اعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً (١٣) وكان عنده ستون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته (١٤) .

صلته لأصحابه !

وكان أحب شيء للأمام في هذه الدنيا صلته لأخوانه فكان لا يعمل من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمليه (١٥) وقد عهد لابنه الامام الصادق ان ينفق من بعده على اصحابه وتلاميذه ليتفرغوا الى نشر العلم وإذاعته بين الناس .

صدقاته على فقراء المدينة !

وكان الامام (ع) كثير البر والمعروف على فقراء يثرب ، وقد أحصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية آلاف دينار (١٦) وكان يتصدق عليهم في كل يوم جمعة بدينار ويقول : « الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الايام » (١٧) .

(١٣) شرح شافية أبي فراس ٢ / ١٧٦ من مصورات مكتبة الحكيم .

(١٤) شرح شافية أبي فراس ٢ / ١٧٦ .

(١٥) شرح شافية أبي فراس ٢ / ١٧٦ .

(١٦) شرح شافية أبي فراس ٢ / ١٧٦ .

(١٧) اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ٤٧١ .

كرمه وسخاؤه :

أما الكرم فهو من العناصر الأولية لأئمة أهل البيت (ع) فقد
بسطوا أيديهم بسخاء نادر إلى الفقراء والمساكين ، وفيهم يقول الشاعر :
لو كان يوجد عرف مجد قبلهم لو جسدته منهم على أميال
إن جشتهم أبصرت بين بيوتهم كرمأ يقيك مواقف التسأل
نور النبوة والكرام فيهم متوقد في الشيب والاطفال (١٨)
ويقول فيهم الكمييت :

والغيوث الليوث إن أحسل الناس فعاوى حواضن الايتام
ويقول الكمييت :

إذا انشأت منهم بارض صحابة فلا التبت محذور ولا البرق خلب
وما ابدع ما قيل عما ينطبق عليهم :
كرموا وجاد قبيلهم من قبلهم وبنوهم من بعدهم كرماء
فالناس ارض في السماحة والتمدي وهم إذا عد الكرام سماه
لقد فطر الامام على حب الخير وصلة الناس وادخال السرور عليهم
يقول ابن الصباغ : « كان محمد بن علي بن الحسين مع ما هو عليه من
العلم والفضل والرياسة والامامة ظاهر الجود في الخاصة والعامة ، مشهور
بالكرم في الكافة معروف بالفضل والاحسان مع كثرة عياله وتوسط
حاله » (١٩) .

ويقول المؤرخون : انه كان اقل أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤنة (٢٠)

(١٨) زهر الآداب ١ / ٩٤ .

(١٩) الفصول المهمة (ص ٢٢٧) .

(٢٠) اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ١٧٦ .

ومع ذلك فكان يجود بما عنده لانعاش الفقراء والمحرومين ، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه ومن بينها :

١ - حدث كل من عبد الله بن عبيد وعمرو بن دينار قالا : ما اتقينا أبا جعفر محمد بن علي إلا وحمل إلينا النفقة والكسوة ، ويقول : هذه معدة لكم قبل أن تلقوني (٢١) .

٢ - روى سليمان بن قرم قال : كان أبو جعفر يعطينا الخمسمائة درهم إلى الستمئة درهم إلى الألف ، وكان لا يعمل من صلة الأخوان وقاصديه وراجيه (٢٢) .

٣ - قال الحسن بن كثير : شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي الحاجة وجفء الإخوان فتأثر (ع) وقال : بش الأخ يركاك غنيا ، ويقطعك فقيراً ، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم ، وقال : استنفق هذه فإذا نفدت فاعلمي . (٢٣)

٤ - وكان (ع) يخرج قوماً يغشون مجلسه من اللساة إلى الألف ، وكان يحب بحالستهم منهم عمرو بن دينار ، وعبد الله بن عبيد ، وكان يحمل إليهم الصلة والكسوة ، ويقول : هيأناها لكم من أول السنة (٢٤) .

٥ - روت مولاته سلمى قالت : كان يدخل عليه أخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ، ويلبسهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم وقد عدلته سلمى عن ذلك فقال لها : يا سلمى ما يؤمل في

(٢١) الارشاد (ص ٢٩٩) .

(٢٢) الارشاد (ص ٢٩٩) .

(٢٣) صفة الصفوة ٢ / ٦٣ .

(٢٤) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢١٧) .

الدنيا بعد المعارف والاخوان . . (٢٥) وكان يقول : « ما حسنت الدنيا إلا صلة الاخوان والمعارف (٢٦) هذه بعض البوادر التي أثرت عن كرمه وسخائه ، وهي تكشف عن أن الاحسان والبر كانا من عناصره ومن مقوماته .

عبادته :

كان الامام ابو جعفر (ع) من أئمة المتقين في الاسلام ، فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه ، فاقبل على ربه بقلب منيب ، واخلص في طاعته كاعظم ما يكون الاخلاص ، اما مظاهر عبادته .

أ - خشوعه في صلاته :

وروى المؤرخون أنه اذا اقبل على الصلاة اصفر لونه (٢٧) خوفاً من الله وخشية منه ، فقد عرف عظمة الله تعالى ، خالق الكون ووهاب الحياة فعبدته عبادة المتقين والمنيبين .

ب - كثرة صلاته :

وكان كثير الصلاة فكان - فيما يقول الرواة - يصلي في اليوم واللييلة مائة وخمسين ركعة (٢٨) ولم تشغله شؤونه العلمية ، ومرجعيته العامة للأمة عن كثرة الصلاة ، فقد كانت اعز شيء عنده لانها الصلة بينه

(٢٥) اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٥٠٦ ، صفة الصفوة ٢ / ٦٣ .

(٢٦) صفة الصفوة ٢ / ٦٣ ، اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٥٠٦ .

(٢٧) تاريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٤ .

(٢٨) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٥ ، تاريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٤ ، حلية

الاولياء ٣ / ١٨٢ .

وبين الله .

ج - دعاؤه في سجوده !

جاء في الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد ، فكان الإمام (ع) في سجوده يتجه بقلبه وعواطفه نحو الله ويتناجيه بانقطاع واختلاص ، وقد أثرت عنه بعض الادعية وهذه بعضها .

١ - ما رواه اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : كنت أمهد لأبي فراشه فانتظره حتى يأتي ، فإذا آوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي ، وقد ابطأ علي ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه وذلك بعدما هدا الناس ، فإذا هو في المسجد ساجد ، وليس في المسجد غيره فسمعت حنينه وهو يقول :

« سبحانك اللهم ، أنت ربي حقاً حقاً ، سجدت لك يا ربي تعبدًا ورقاً ، اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي . . اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ، وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم . . » (٢٩)

٢ - ما رواه أبو عبيدة الخزاز قال : سمعت أبا جعفر يقول : وهو ساجد .

« أسألك بحق حبيبك محمد (ص) إلا بدلت سيئاتي حسنات ، وحاسبني حساباً يسيراً . »

ثم قال : في السجدة الثانية .

« أسألك بحق حبيبك محمد (ص) إلا ما كفيته مؤونة الدنيا ، وكل

(٢٩) فروع الكافي ٣ / ٢٢٣ .

هول دون الجنة » .

ثم قال في الثالثة :

« أسألك بحق حبيبك محمد لما غفرت الكثير من ذنوبي والقليل ،

وقبلت مني العمل اليسير » .

ثم قال في الرابعة :

« أسألك بحق حبيبك محمد (ص) لما ادخلتني الجنة ، وجعلتني من

سكانها ، ولما نجيتني من سفعات النار » (٣٠) برحمتك ، وصلى الله على

محمد وآله . . » (٣١)

وكشفت هذه الادعية عن شدة تعلقه بالله ، وعظيم انابته اليه ،

وتمسكه بطاعته .

ج - دعاؤه في قنوته :

وأثرت عنه بعض الأدعية التي كان يدعو بها في قنوته وهي :

١ - « اللهم ان عدوي قد استسكن في غلوانه ، واستمر في عدوانه ،

وأمن بما شمله من الحلم عاقبة تجرأته عليك ، وتمرد في مباينتك ، ولك

اللهم لحظات سخط بيانا وهم نائمون ، ونهارا وهم غافلون ، وجهرة وهم

يلعبون ، وبغثة وهم ساهون ، وان الخناق قد اشتد ، والوثاق قد احتد ،

والقلوب قد حيت ، والعقول قد تنكرت ، والصبر قد أودى ، وكادت تنقطع

حبائله ، فانك لبالمرصاد من الظالم ، ومشاهدة من الكاظم ، لا يعجزك

فوت درك ، ولا يعجزك احتجاز محتجز ، وانما مهل استثنائاً ، وحجبتك

على الاحوال البالغة الدامغة ، وبعبيدك ضعف البشرية وعجز الانسانية ،

ولك سلطان الالهية وملكة البرية ، وبطشة الاناة ، وعقوبة التابيد .

(٣٠) سفعات النار : هي لفحات السعير التي تغير بشرة الانسان لشدة حرارتها.

(٣١) فروع الكافي ٣ / ٣٢٢ .

اللهم ان كان في المصابرة لحرارة المعان من الظالمين ، وكمد من
 يشاهد من المبدلين لك ، ومشوبة منك فهب لي مزيدا من التأييد ، وعونا
 من التسديد الى حين نفوذ مشيئتك فيمن اسعدته واشقيته من بريتك ،
 وامنن علي بالتسليم لمحتومات اقصيتك ، والتجرع لصادرات اقدارك ،
 وهب لي حبة لما احببت في متقدم ومتأخر ، ومتعجل ومتأجل ، والا يثار
 لما اخترت في مستقرب ومستبعد ، ولا تخلنا مع ذلك من عواطف
 رحمتك . . . وحسن كلائتك . . . » (٣٢)

لا اكاد أعرف وثيقة سياسية حفلت بتحديد الاوضاع الراهنة في البلاد
 في ذلك العصر ، كهذا الدعاء الذي تحدث فيه الامام عن الازمات
 السياسية التي عاناها المسلمون أيام الحكم الاموي المعاصر له خصوصا عهد
 الطاغية عهد الملك بن مروان الذي جهد على اذلال المسلمين ، وارغامهم
 على ما يكرهون ، وقد ساء عليهم الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي الذي
 عاث في دينهم ودنياهم ، وسمى في الارض فسادا ، فلم يترك لونا من
 اللون الظالم إلا صبه على المسلمين حتى طاشت الاحلام ، وبلغت القلوب
 الحناجر ، وأودى الصبر ، وانقطعت حباله ، والامام يطلب من الله ان
 ينقذ المسلمين من محنتهم ، وينزل عقابه الصارم بالمردة الظالمين .

٢ - كان (ع) يدعو بهذا الدعاء في قنوته « بمنك وكرمك يا من
 يعلم هواجس السرائر ومساكن الضمائر ، وحقائق الخواطر ، يا من هو
 لكل غيب حاضر ، ولكل منس ذاكر ، وعلى كل شيء قادر ، والى الكل
 ناظر ، بعد المهل وقرب الاجل ، وضعف العمل ، وأراب الامل .
 وأنت يا الله الآخر كما أنت الاول مبيد ما أنشأت ، ومصيرهم الى

(٣٢) مهج الدعوات (ص ٥١) .

البلى ، وتقاسدهم أعمالهم ، وعملها ظهورهم الى وقت نشورهم من بعثة
قبورهم عند نفخة الصور ، وانشقاق السماء بالنور ، والخروج بالمنشر الى
ساحة المحشر ، لا ترد اليهم أبصارهم واقتدتهم هوا ، متراطمين في غمة
بما أسلفوا ، ومطالبين بما احتقبوا ، ومحاسبين هناك على ما أرتكبوا ،
الصحيائف في الإعتاق منشوزة ، والاوزار على الظهور ما رورة ، لا انفكك
ولا مناص ولا عيص عن القصاص قد اقحمتهم المحجة وحلوا في حيرة
المحجة وهمس الضجة ، معدول بهم عن المحجة ، إلا من سبقت له من
الله الحسنى فنجا من هول المشهد وعظيم المورد ، ولم يكن ممن في الدنيا
تمرد ، ولا على أولياء الله تعند ، ولهم استعبد ، وعنهم بحقوقهم تفرد .
اللهم : فان القلوب قد بلغت الحناجر ، والنفوس قد علت التراقي
والاعمار قد نفذت بالانتظار لا عن نقص استبصار ، ولا عن اتهام
مقدار ، ولكن لما تعاني من ركوب مفاصيك ، والخلاف عليك في أوامرك
ونهيك ، والتلعب بأوليائك ، ومظاهرة أعدائك .

اللهم : فقرب ما قد قرب ، وأورد ما قد دنى ، وحقق ظنون الموقنين
وبلغ المؤمنين تأميلهم من إقامة حقك ونصر دينك واظهار حججتك . . . » (٣٣)
وحفل هذا الدعاء الشريف باعطاء صورة عن سعة علم الله ، واحاطته بكل شيء
الظاهر والخفي ، كما حفل بذكر المعاد ، وحشر الناس جميعاً يوم القيامة
لمرضهم للحساب أمام الله ، وهم يحملون على ظهورهم وزر ما عملوه في
دار الدنيا ، وانهم مطالبون بما اقترفوه ، ومحاسبون على ما عملوه ، ولا
ينجو من أهوال ذلك المشهد الرهيب إلا من سبقت له من الله الحسنى ،
ولم يكن من المتمردين في دار الدنيا ، ولا من المستعبدين لعباد الله ،

(٣٢) مهج الدعوات (ص ٥٢) .

وفيه تعريض بحكام الامويين الذين اتخذوا مال الله دولاً ، وعباد الله
خولاً ، وان القلوب قد بلغت الحناجر ، من ظلمهم وجورهم حسبما
يقول (ع) .

حجته :

وكان الامام أبو جعفر (ع) اذا حج البيت الحرام انقطع الى الله
واناب اليه وتظهر عليه آثار الخشوع والطاعة ، وقد روى موله أفلح قال :
حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل الى المسجد رفع صوته
بالبكاء فقلت له :

« بأبي أنت وأمي إن الناس ينتظرونك فلو خفضت صوتك قليلاً . »
فلم يعن به الامام وراح يقول له :
« ويحك يا أفلح اني ارفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إلي برحمته
فافوز بها غدا . . »

ثم انه طاف بالبيت ، وجاء حتى ركب خلف المقام ، فلما فرغ واذا
بموضع سجوده قد ابتل من دموع عينيه (٣٤) وحج (ع) مرة وقد
احتف به الحجاج ، وازدحموا عليه وهم يستفتونه عن مناسكهم ويسألونه
عن أمور دينهم ، والامام يجيبهم ، ويهر الناس من سعة علومه ، وأخذ
بعضهم يسأل بعضأعنه فأزهر اليهم شخص من اصحابه فعرفه لهم قائلاً :
« إلا ان هذا باقر علم الرسل ، وهذا مبين السبل ، وهذا خير من
رسخ في أصلاب أصحاب السفينة ، هذا ابن فاطمة الغراء العذراء الزهراء ،
هذا بقية الله في أرضه ، هذا ناموس الدهر ، هذا ابن محمد وخديجة
(٣٤) صفة الصفوة ٢ / ٦٣ ، تاريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٤ ، مرآة

الزمان ٥ / ٧٩ نور الابصار (ص ١٣٠) .

وعلي وفاطمة ، هذا منار الدين القائمة . . « (٣٥) .
ولم تذكر المصادر التي بأيدينا عدد حجه الى بيت الله الحرام ، فقد
أهملت ذلك .

مناجاته مع الله :

كان الامام (ع) يناجي الله تعالى في غلس الليل البهيم ، وكان مما
قاله في مناجاته :

« أمرتني فلم أتمر ، وزجرتني فلم أنزجر ، ها أنذا عبدك بين يديك . » (٣٦)

ذكره الله :

ويقول المؤرخون : إنه كان دائم الذكر لله ، وكان لسانه يلهج بذكر
الله في أكثر أوقاته ، فكان يمشي ويذكر الله ، وينحدث القوم ، وما يشغله
ذلك عن ذكره تعالى ، وكان يجمع ولده ويأمرهم بذكر الله حتى تطلع
الشمس كما كان يأمرهم بقراءة القرآن ، ومن لا يقرأ منهم أمره بذكر
الله (٣٧) .

زهده في الدنيا :

وزهد الامام أبو جعفر (ع) في جميع مباحج الحياة واعرض عن
زينتها فلم يتخذ الرياش في داره ، وإنما كان يفرش في مجلسه حصيراً (٣٨)

(٣٥) مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ١٨٣ .

(٣٦) حلية الاولياء ٣ / ١٨٢ ، صفة الصفوة ٢ / ٦٣ ، نور الابصار

(ص ١٣٠) .

(٣٧) اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ٤٧١ .

(٣٨) دهائم الاسلام ٢ / ١٥٨ .

لقد نظر الى الحياة بعمق وتبصر في جميع شؤونها فزهد في ملاذها ، واتجه نحو الله تعالى بقلب منيب ، يقول جابر بن يزيد الجعفي : قال لي محمد ابن علي :

« يا جابر اني لمحزون ، واني لمشتغل القلب . . »

فأنهري اليه جابر قائلاً :

« ما حزنك ، وما شغل قلبك ؟ »

فاجابه (ع) بما احزنه وزهده في هذه الحياة قائلاً :

« يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغله عما سواه ،

يا جابر ما الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ، هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها . . » (٣٩)

وأثرت عنه كلمات كثيرة في الحث على الزهد ، والاقبال على الله ،

والتحذير من غرور الدنيا ، وآثامها يعرض لها هذا الكتاب ، وبهذا ينتهي

بنا الحديث عن بعض مظاهر شخصيته المشرقة .

مركز تحقيق وتصوير علوم راسدي



مَوَاهِبُهُ وَعَبَقَرَاتُهُ

وتفجرت مواهب الامام أبي جعفر (ع) وعبقرياته بطاقات هائلة من العلم شملت جميع أنواع العلوم وللاعارف من الحديث والفلسفة وعلم الكلام والفقه والحكم العالية والآداب السامية مضافاً الى الملاحم وهي الاحداث التي اخبر عنها قبل وقوعها ، ثم تحققت بعد ذلك على مسرح الحياة . . . والذي يدل على مدى سعة علومه أنه مع كثرة ما أنتمل العلماء من نوره علومه فإنه كان يجد في نفسه ضيقاً وحرماً لكثرة ما عنده من العلوم التي لم يجد لبثها ونشرها سبيلاً فكان - فيما يقول الرواة - يصعد آمانه ، ويقول بحسرات :

« لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل . لنشرت التوحيد والاسلام والدين والشرائع . . . وكيف لي بذلك ، ولم يجد جدي أمير المؤمنين (ع) حيلة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ، ويقول على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني فان بين الجوانح علماً جماً . . . » (١)

واجمع المؤرخون والرواة على أنه كان من أثرى رجال الفكر والعلم في عصره في مواهبه وقدراته العلمية ، وأنه من رفع منار العلم ، وأبرز حقائقه وأظهر كنوزه حسبما أدلى به المترجمون له ، كما المعنا الى ذلك في البحوث السابقة . . . وقبل البحث عن العلوم التي خاضها نتعرض الى بعض النقاط التي ترتبط بالموضوع :

الحياة العلمية في عصره :

ومنيته الحركة العلمية - في عصر الامام - بكثير من الجمود والخمول فلم يعد لها أي ظل على واقع الحياة ، فقد جرفت الناس التيارات السياسية ، وتهاكت البيوتات الرفيعة على الظفر بالحكم ، فزجت بطاقتها البشرية

(١) سفينة البحار ٢ /

والمالية في حروب طاحنة مريعة ومذهلة منيت الأمة فيها بأفدح الخسائر
واقطع النكبات .

لقد اتجهت الأمة اتجاهاً عسكرياً مدمراً فيما بينها ، ولم يكن فيها
أي بصيص لنور العلم والفكر ، فقد خبا ذلك النور الذي فجره الاسلام
في العالم ، وأراد للبشرية أن تسير على ضوئه لتحقيق أهدافها من الأمن
والرخاء والتطور . . .

الدور المشرق للامام :

أطل الامام أبو جعفر (ع) على عالم مليء بالفتن والاضطراب والاحداث ،
ورأى الأمة الاسلامية قد فقدت جميع مقوماتها ، ولم تعد كما يريد لها
الله في وحدتها وتكاملها ، وتطورها في ميادين العلم والانتاج . . ووجه
الامام بحكم قيادته الروحية جهده لإعادة مجد الأمة ، وبناء كيانات الحضاري ،
فرفع منار العلم ، واقام صروح الفكر ، وقد انصرف عن كل تحرك سياسي ،
واتجه صوب العلم وحده متفرغاً له يقول المستشرق «روايت م . روتلندس»
« وعاش مكرماً متفرغاً للعلم في عزلته بالمدينة ، وكان الناس يأتونه فيسألونه
عن الامامة » (٢) .

وقد خف إليه زمرة من اعيان الأمة لتلقي العلوم منه ، وكان ممن وفد
عليه العالم الكبير جابر بن يزيد الجعفي فقد قال له الامام في أول
التقائه به :

- من أين أنت ؟

- من اهل الكوفة .

- بمن ؟

(٢) عقيدة الشيعة (ص ١٢٣) .

- من جعف .

- ما أقدمك هنا ؟

- طلب العلم .

- عن ؟

- منك (٣) .

وقد أخذت الوفود العلمية تنزى اليه لتأخذ عنه العلوم والمعارف ، يقول الشيخ أبو زهرة : « وما قصد أحد من العلماء مدينة النبي (ص) إلا عرج عليه ليأخذ عنه معالم الدين » (٤) وقد أخذ عنه أهل الفقه ظاهر الحلال والحرام (٥) .

وعلى أي حال فقد استمد العالم الاسلامي من الامام جميع مقومات نهوضه وارتقائه ، ولم يقتصر البلد الثقافي الذي يستند اليه على عصره وإنما امتد الى سائر العصور التي تلت بعده ، فقد تبلورت الحياة العلمية ، وتطورت العلوم تطوراً هائلاً مما ازدهرت به الحياة العلمية في الاسلام . إن الحياة الثقافية في الاسلام مدينة لهذا الامام العظيم فهو الباعث والقائد لها على امتداد التاريخ .

العلوم التي بحثها :

وخاض الامام عدة علوم في بحوثه التي القاها على العلماء في الجامع النبوي أو في بهو بيته ، وكان من بينها .

(٣) المناقب ٣ / ٣٣١ .

(٤) الامام زيد (ص ٢٢) .

(٥) عيون الاخبار وفنون الآثار (٢١٣) .

الحديث :

وأولى الامام أبو جعفر (ع) المزيد من اهتمامه في الحديث الوارد عن جده رسول الله (ص) وعن آباءه الأئمة الطيبين (ع) فهو المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم وله الاهمية البالغة في الشريعة الاسلامية فهو يتولى تخصيص عمومات الكتاب ، وتقييد مطلقاته ، وبيان ناسخه من منسوخه ، وبجمله من مبينه ، كما يعرض لاحكام الفقه من العبادات والمعاملات ، واعطاء القواعد الكلية التي يتمسك بها الفقهاء في استنباطهم للحكم الشرعي ، وبالإضافة الى ذلك كله فان فيه بنوداً مشرقة لأداب السلوك ، وقواعد الاجتماع ، وتنظيم الأسرة ، وصيانتها من التلوث بجرائم الآثام ، الى غير ذلك مما يحتاج اليه الناس في حياتهم الفردية والاجتماعية . فلذلك عني به الامام أبو جعفر (ع) ، وتبناه بصورة ايجابية ، وقد روى عنه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث ، وأبان بن تغلب بمجموعة كبيرة ، كما روى عنه غيرهما من أعلام أصحابه طائفة كبيرة من الاخبار .

والشيء المهم ان الامام أبا جعفر (ع) قد اهتم بفهم الحديث ، والوقوف على معانيه ، وقد جعل المقياس في فضل الراوي هو فهمه للحديث ومعرفة مضامينه ، فقد روى يزيد الرزاز عن أبيه عن أبي عبد الله عن أبيه انه قال له :

« اعرف منازل الشيعة على قدر رواياتهم ، ومعرفتهم ، فان المعرفة هي الدراية للرواية ، وبالدراية للرواية يعلمو المؤمن الى أقصى درجات الايمان . . . اني نظرت في كتاب اعلي فوجدت في الكتاب ان قيمة كل امرئ وقدره معرفته ان الله تعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من

العقول في دار الدنيا . . » (٦)

إن وعي الراوي للحديث ووقوفه على معناه مما يستدل به على سمو منزلته ، وعظيم مكانته العلمية .
ولشدة إهتمام الامام وعنايته بالحديث فقد وضع بعض القواعد لتمييز الصحيح من غيره عند تعارض الاخبار فنذكرها عند البحث عن علم الاصول الذي يخاضه الامام .

روايات الأئمة :

أما روايات الأئمة الطاهرين (ع) التي أثرت عنهم في عالم التشريع والاحكام فهي لا تحكي آرائهم الخاصة وانما هي امتداد لقول الرسول (ص) ورأيه ولذا لحقت بالسنة - عند الشيعة - وقد أُلحِقَ الى ذلك الامام أبو جعفر (ع) في حديثين له مع جابر بن يزيد الجعفي .
١ - قال (ع) : « إنا لو كنا نحدثكم برأينا لكننا من المهالكين ، ولكننا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم . . » (٧)

٢ - قال (ع) : « والله يا جابر لو كنا نحدث الناس أو حدثناهم برأينا لكننا من المهالكين ، ولكننا نحدثهم بأثار عندنا من رسول الله (ص) يتوارثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم . . » (٨)

إذن فلم تستند احاديث أئمة اهل البيت (ع) لهم ، وانما تستند الى

(٦) ناسخ التواريخ ٢ / ٢١٩ .

(٧) ناسخ التواريخ ٢ / ٢١٧ .

(٨) ناسخ التواريخ ٢ / ٢١٧ .

جدهم الرسول (ص) ، وهم الذين حافظوا على تراثه العلمي فكنزوه
كما يكتنز الناس الذهب والفضة .

أحاديث الامام الباقر :

أما احاديث الامام أبي جعفر (ع) عن جديه رسول الله (ص)
والامام أمير المؤمنين (ع) فهي على قسمين :

الأولى : - رسالة وهي التي لم يذكر فيها رجال السند ، وينسب الامام
الحديث رأساً الى النبي (ص) أو للأمام أمير المؤمنين (ع) وقد سئل
عليه السلام عن سنده في ذلك فقال : « إذا حدثت بالحديث فلم اسنده
فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن
أبي طالب عن رسول الله (ص) عن جبرائيل عن الله عز وجل . . » (٩)
الثانية : - المسندة ، وهي التي يذكر فيها سنده عن آبائه الطاهرين
عن رسول الله (ص) .

وسواء أكانت روايته رسالة أم مسندة فهي حجة بلا خلاف عند
الشيعة إن صح طريق سندها اليه والا فتعامل معاملة بقية الاخبار التي
فيها الضعيف والموثق والحسن .

رواياته عن النبي :

أما احاديثه عن النبي (ص) فهي تتعلق تارة بالفقه الاسلامي ، وقد
عرضت لها موسوعات الفقه والحديث ، واخرى بأداب السلوك والاخلاق ،
كما عرضت بعضها لفضل العترة الطاهرة ولزوم مودتها ، وفيما يلي ذلك :
١ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « فضل

(٩) اعلام الوری (ص ٢٧٠) .

العلم أحب الى الله من فضل العباداة ، وأفضل دينكم الورع . . » (١٠)
وفي هذا الحديث دعوة الى طلب العلم والحث عليه فهو أفضل من
العبادة التي لا ينتفع بها الا صاحبها ، كما فيه الحث على الورع عن محارم
الله والاجتناب عن المآثم التي تؤدي الى سقوط الشخص وانحرافه عن
الطريق القويم .

٢ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « ما جمع
شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم . . » (١١)
ان الاخصاف بالعلم والحلم مما يرفعان مستوى الشخص ، ويميزانه عن
غيره فليس هناك شيء أفضل من هاتين الخصلتين .

٣ - روى (ع) بسنده عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال :
« فوق كل بر ، فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر ، وفوق كل عقوق
عقوق حتى يقتل الرجل أحد والديه فاذا قتل أحدهما فليس فوقه عقوق . . » (١٢)
ان منتهى البر وغايته هي الشهادة في سبيل الله فاذا استشهد الشخص
من اجل ذلك فقد انتهى الى غاية البر ، كما ان منتهى الاثم والعقوق هي
قتل الرجل أحد والديه فاذا فعل ذلك فقد سقط في حضيض من الأثم
ليس له من قرار .

٤ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من المروءة استصلاح
للأهل . . » (١٣)

(١٠) الخصال : (ص ٤) .

(١١) الخصال (ص ٥) .

(١٢) الخصال (ص ١٠) .

(١٣) الخصال (ص ١١) .

وحدث الرسول (ص) أصحاب رؤوس الاموال على استثمار أموالهم في الوجوه المشروعة لأزدهار الاقتصاد العام وزيادة الدخل الفردي ، ونفي الحاجة من البلاد ، ونهاهم عن التبذير او حبس الاموال وعدم تشغيلها فان ذلك مما يعود بأضرار بالغة على اقتصاد البلاد .

٥ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إن الله تبارك وتعالى اهدى إلي وإلى أمي هدية لم يهدهما إلى أحد من الأمم كرامة من الله لنا ، فقال أصحابه : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : الافطار في السفر والتقصير في الصلاة . . » (١٤)

حقاً ان تقصير الصلاة والافطار في السفر من الطواف الله تعالى على هذه الأمة فان المسافر في عناء وجهد فاذا وجب عليه الصوم واتمام الصلاة فقد اضاف إلى عنائه عناءً وإلى مشقته مشقة أخرى .

٦ - قال (ع) : أتى رجل إلى النبي (ص) فقال له : مالي لا أحب الموت ؟ فقال (ص) : لك مال ؟ قال : نعم ، قال : فقدمته ؟ قال : لا . قال : فمن ثم لا تحب الموت . . » (١٥)

ان هذا الانسان لو قدم لآخرته وسمى لها لأحب الدار الآخرة ليستوفي اجرها عمله ، ولكنه لم يفعل شيئاً مما يقربه إلى الله زلفى فلذا كره الموت ، وكره ملاقة الله تعالى .

٧ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إلا ان شرار أمي الذين يكرمون بخافة شرهم ، إلا وان من اكرمه الناس اتقاه شره فليس مني . . » (١٦)

(١٤) الخصال (ص ١٤) .

(١٥) الخصال (ص ١٤) .

(١٦) الخصال (ص ١٥) .

إن شرار هذه الأمة الذين يكرهون ويعظمون لا لفضيلة فيهم أو إحسان
اسدوه إلى الناس ، وإنما لاتقاء شرورهم وخفاقة ظلمهم فإن هؤلاء ليسوا
من الاسلام الذي جاء بالرحمة والاحسان إلى الناس .

٨ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « رأس العقل بعد
الايمان بالله عز وجل التحبب إلى الناس . » (١٧)

ما أروع هذه الحكمة وما أجلبها !! فإن التحبب إلى الناس إما بقضاء
حوائجهم أو جلب الخير لهم ، ودفع الظلم عنهم أو مقابلةتهم بالاخلاق الرفيعة
بما يوجب شيوع المحبة بين الناس وربط الهيئة الاجتماعية بعضها ببعض ،
وهذا ما يحرص عليه الاسلام ، وما أقام مجتمع عليه .

٩ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « يا معاشر قراء القرآن
اتقوا الله عز وجل فيما حملكم من كتابه ، فاني مسؤول ، وإنكم مسؤولون ،
اني مسؤول عن تبليغ الرسالة ، وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب
الله وسنتي . » (١٨)

وفي هذا الحديث دعوة إلى القراء وإلى سائر رجال الدين للقيام بدورهم
في تحمل المسؤولية بإرشاد الناس وهدايتهم ، وتبليغهم بما أمر الله به
وعما نهي عنه .

١٠ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « خلقت أنا وعلي من
نور واحد . » (١٩)

ان رسول الله (ص) وعلياً (ع) خلقا من نور واحد اضاء آفاق

(١٧) الخصال (ص ١٧) .

(١٨) اصول الكافي ٢ / ٦١٦ .

(١٩) الخصال (ص ٣١) .

هذا الكون ، فهما مصدر الفكر والوعي لهذه الأمة ، وهما رائدا الانسانية لكل ما تسمو به .

١١ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « اشتد غضب الله وغيظي علي من اهراق دمي واذاني في عترتي . . » (٢٠)
الويل كل الويل للزمرة الخائنة التي لم تحفظ وصية رسول الله (ص) في عترته وأهل بيته فأبادتهم وقطعت أوصالهم ، وسببت ذرارهم وانتهكت حرمتهم .

١٢ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « يحشر أبي ابراهيم وعلي وينادي مناد يا محمد نعم الأب أبوك ، ونعم الأخ أخوك . . » (٢١)
إلا بوركت تلك الابوة الزاكية لابراهيم خليل الرحمن ، وتلك الاخوة الصادقة للأمام أمير المؤمنين الى الرسول الاعظم (ص) وينادي بهما يوم يحشر الناس على صعيد الحق والعدل لظهار فضلهم وسمو مكانتهما عند الله .

١٣ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) لعلي : « لولاك ما عرف المؤمنون بعدي . . » (٢٢)

لقد كان الامام أمير المؤمنين (ع) هو المقياس للأيمان ، والمقياس للحق والعدل فما آمن به إلا كل من آمن بربه ووطنه وأمته ، وما جحد به إلا كل من تنكر للعدل ، وتنكر لمصالح أمته ، واعرض عن ذكر الله واتخذ آياته هزواً .

-
- (٢٠) مناقب علي بن أبي طالب لأبن المغازلي (ص ٤٠) .
(٢١) كفاية الطالب (ص ١٨٥) مناقب علي بن أبي طالب (ص ٤٢) .
(٢٢) مناقب علي بن أبي طالب (ص ٤٤) .

١٤ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « تحشر ابنتي فاطمة ،
ومعها ثياب مصبوغة فتعلق بقائمة العرش ، وتقول : يا جبار احكم بيني ،
وبين قاتل ولدي - يعني الحسين - فيحكم لابنتي ورب الكعبة . . » (٢٣)
لقد أذاع النبي (ص) بين المسلمين في كثير من مواقفه عن مقتل
سبطه العظيم الامام الحسين (ع) و أعلن - في هذا الحديث - ان بضعته
سيهده نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) سترفع يوم القيامة قميص ولدها
المملوئ بدمائه الزكية وتطالب الحاكم العدل أن يحكم بينها وبين قاتله ،
فالويل كل الويل لمن كانت العترة الطاهرة خصماً له في ذلك اليوم الذي
ينخر فيه المبطلون .

١٥ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ان الله جعل ذرية
محمد (ص) من صلب علي . . » (٢٤)
إلا بورك تلك الذرية الطاهرة التي أعز الله بها كلمة الحق ، و اضاء بها
الطريق ، وأوضح بها القصد ، وجعلها الأدلاء على طاعته والقادة الى سبيله .
١٦ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من اسبغ وضوءه ،
واحسن صلاته ، وادى زكاة ماله ، وكف غضبه ، وسجن لسانه ، وبذل
معروفه واستغفر لذنبه ، وأدى النصيحة لأهل بيته فقد استكمل حقائق
الايمان وأبواب الجنة له مفتحة . . » (٢٥)
ان هذه الاعمال بما تقرب العبد الى خالقه ، ويصل بها الانسان الى
حقيقة الايمان ، ويستوجب بها الجنان .

(٢٣) مناقب علي بن أبي طالب (ص ٦٤) مقتل الخوارزمي (ص ٥٢) .

(٢٤) ينابيع المودة (ص ٢٦٦) مجمع الزوائد ٩ / ٢٧٢ .

(٢٥) مناقب علي بن أبي طالب (ص ٤٠) .

١٧ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « شريستان فاحتملوها كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها ، وكلمة سفه من حكيم فأغفروها . . » (٢٦)
ان صدور الحكمة من السفيه لغريب ، ولو صدرت منه للزم الأخذ بها ولا يعنى بقائلها ، كما أن صدور السفه من الحكيم لغريب بأعتبار كماله وحكمته فاذا نطق بذلك فينبغي أن لا يؤخذ عليه .

١٨ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « نعمتان مكفورتان الأمن والعافية . . » (٢٧)

لقد كفر الناس بهاتين النعمتين اللتين لا تطيب الحياة من دونهما ، وإنهم لم يؤدوا لله شكراً عليهما .

١٩ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي ، وإذا فسدا فسادت أمتي ، قيل يا رسول الله ومن هما ؟ قال : الفقهاء والامراء . . » (٢٨)

ان الإصلاح الاجتماعي يتوقف على صلاح هذين الصنفين فاذا صلحا فقد سعدت الأمة ، وحقت ما تصبو إليه ، واذا شذوا عن سنن الحق وانحرفا عن العدل أصيبت الأمة بتدهور سريع في جميع مجالاتها .

٢٠ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إن الجنة ليوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ، ولا يجدها عاق ، ولا ديوث ، قيل يا رسول الله وما الديوث ؟ قال : الذي تزني امرأته وهو يعلم . . » (٢٩)

(٢٦) الخصال (ص ٣٤) .

(٢٧) الخصال (ص ٣٥) .

(٢٨) الخصال (ص ٣٦) .

(٢٩) الخصال (ص ٣٧) .

ان العاق لأبويه ، والديوث الذي لا شرف له لا يستحقان أن ينعما
بالفردوس الأعلى الذي هو مقر الانبياء والصالحين ، بل لا يليق بهما إلا
أن يكونا مقرنين بالاصفاد في النار .

٢١ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « لا خير في العيش إلا
لرجلين : عالم مطاع أو مستمع واع . . . » (٣٠)
ان الخير في هذه الحياة إنما هو للعالم الذي يطاع فيما يأمر به من
القيم الكريمة والمثل الرفيعة ، فإذا تم له ذلك فقد نجح في أداء رسالته
وحقق ما يصبو إليه ، وكذلك الخير في الحياة إنما هو للمستمع الواعي
الذي يعي الاهداف النبيلة في رسالة المصلحين ويعمل بها .

٢٢ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من واسى الفقير ،
وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً . . » (٣١)
إن مواصلة الفقراء مادياً ومعنوياً دليل على قوة الايمان وتكامله ،
كما ان انصاف الناس آية على سمو الشخص وتجرده من الانانية وسائر
الامراض النفسية ، وهذا هو واقع الايمان وجوهر الاسلام .

٢٣ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « يلزم الوالدين من العتوق
لولدهما اذا كان الولد صالحاً ما يلزم الولد لهما . . » (٣٢)
ان العتوق لا يقتصر على الولد تجاه أبويه ، وإنما يشملهما فيما اذا
أساءا إليه على غير وجه مشروع فانهما يتحملان اثم ما اقترفاه تجاهه .

٢٤ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ما أنفق مؤمن نفقة

(٣٠) الخصال (ص ٤١) .

(٣١) الخصال (ص ٤٧) .

(٣٢) الخصال (ص ٥٨) .

هي أحب الى الله عز وجل من قول الحق في الرضا والغضب . . » (٣٣)
ما أروع هذه الحكمة انها دستور الاسلام الذي يؤثر الحق والعدل
بين الناس على كل شيء .

٢٥ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « صنفان من أمي
لا نصيب لهما في الاسلام الغلاة والتدريية . . » (٣٤)
أما الغلاة فهم الذين يزعمون أن الامام أمير المؤمنين (ع) هو الله
تعالى أو انه ابن الله فهؤلاء ليسوا من فرق الاسلام - عند الشيعة - وإنما هم
من الكفار ويعاملون معاملتهم ، قال السيد الحميري في هجائهم :

قوم غلوا في علي لا أبالهم وأجشموا أنفسا في حبه تعبها
قالوا : هو ابن الإله جل خالقنا من أن يكون له ابن أو يكون أبا (٣٥)
أما التدريية : فهم القائلون : بأن الخير والشر كله من الله وبتقديره
ومشيئته (٣٦) وهؤلاء ليس لهم نصيب من الاسلام .

٢٦ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ثلاث خصال من
كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله عز وجل (يوم القيامة)
يوم لا ظل إلا ظله : رجل اعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لها ،
ورجل لم يقدم رجلاً ، ولم يؤخر أخرى حتى يعلم أن ذلك الله فيه رضى

(٣٣) الخصال (ص ٦٠) .

(٣٤) الخصال (ص ٧١) .

(٣٥) المقد الفريد ٥ / ٢٢٧ .

(٣٦) سفينة البحار ٢ / ٤٠٩ ، وذكر الشيخ ابو زهرة في المذاهب
الاسلامية (ص ١٨٥) ان التدريية هم الذين غالوا في قدرة الانسان ،
وقالوا : ان كل فعل للانسان يستند الى ارادته المستقلة عن إرادة الله .

أو سخط ، ورجل لم يحب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب من نفسه ، فإنه لا ينفي منها عيباً إلا بدأ له عيب وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس .. » (٣٧)

وفي هذا الحديث دعوة إلى مكارم الاخلاق ، وحسن السلوك مع الناس ، والتحذير من ذكر مساوي الناس .

٢٧ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ثلاث يحسن فيهن الكذب : المكيدة في الحرب ، وعدتك زوجتك ، والاصلاح بين الناس ، وثلاث يقبح فيهن الصدق النميمة ، واخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه ، وتكذيبك الرجل عن الخير ، وثلاثة مجالستهم تميت القلب مجالسة الانزال ، والحديث مع النساء ، ومجالسة الاغنياء .. » (٣٨)

وسوغ النبي (ص) الكذب في تلك المواضع نظراً للمصالح التي تترتب عليها ، وقد قال العلماء : ان الكذب ليس عملة تامة للقبح ، وانما هو مقتض له فاذا وجد ما يرفع قبحه من المصالح جاز للمكلف فعله ، وكذلك يقبح الصدق في تلك المواضع نظراً للمنفاسد التي تترتب عليه .

٢٨ - قال (ع) : قال رسول الله : « كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين : عين بكيت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت ساهرة في سبيل الله .. » (٣٩)

٢٩ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إن أسرع الخير ثواباً

(٣٧) الخصال (ص ٧٨) .

(٣٨) الخصال (ص ٨٤) .

(٣٩) الخصال (ص ٩٤) .

البر وإن أسرع الشر عقاباً البغي ، وكفى بالمرء عيباً أن ينظر من الناس إلى ما يعمى عنه من نفسه ، ويعير الناس بما لا يستطيع تركه ، ويؤذي جليسه بما لا يعنيه . . » (٤٠)

وفي هذا الحديث الحث على فعل الخير ، والتحذير من الشر والبغي على الناس ، والتنديد بمن ينظر إلى عيوب الناس ، ولا ينظر إلى ما فيه من نقص .

٣٠ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « لا سهر إلا في ثلاث : متعبد بالقرآن أو في طلب العلم ، أو عروس تهدي إلى زوجها . . » (٤١)
٣١ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ، ولا من الله عز وجل ، قيل : يارسول الله وما هن قال : حلم يرد به جمل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن معاصي الله عز وجل . . » (٤٢) . ويدعو هذا الحديث إلى تكوين شخصية المسلم ، على أسس رفيعة من الحلم وحسن الاخلاق ، والورع عن محارم الله .

٣٢ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء . . » (٤٣)
٣٣ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « الايمان معرفة بالقلب ، واقرار باللسان ، وعمل بالاركان » (٤٤) .

-
- (٤٠) الخصال (ص ١٠٦) .
 - (٤١) الخصال (ص ١٠٨) .
 - (٤٢) الخصال (ص ١٣٨) .
 - (٤٣) الخصال (ص ١٤٧) .
 - (٤٤) الخصال (ص ١٦٤) .

ليس الايمان لفظاً تلوّكه الألسن ، وانما هو امر مستقر في اعماق القلب ، ودخائل النفس ، ويدفع الانسان الى العمل عن يقين واخلاص ٣٤ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : لا بى ذر « يا ابا ذر إياك والسؤال فانه ذل حاضر وفقر تتمجّله ، وفيه حساب طويل يوم القيامة يا ابا ذر تعيش وحدك ، وتموت وحدك ، وتدخل الجنة وحدك يسعد بك قوم من أهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك ، يا ابا ذر لا تسأل بكفك ، وان أذاك شيء فاقبله . . . ثم قال (ص) لاصحابه « الا اخبركم بشراركم ؟ »

« بلى يا رسول الله . . »

« المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب » (٤٥) لقد اوصى النبي (ص) ابا ذر بالعفة والاباء ، واستشف (ص) من وراء الغيب عما يعانيه هذا المصلح العظيم من التنكيل والارهاق في سبيل اداء رسالته الاصلاحية الخالدة ، فقد اعلن ابو ذر سخطه على الامويين الذين تنكروا لحقوق الامة واستبدوا بثرواتها فاتخذوا مسال الله دولا ، وعباد الله نخولا فكان ابو ذر اللسان الناطق بحقوق المظلومين والمضطهدين والمترجم لآلامهم ، وقد ضاق الامويون منه ذرعا فنفوه الى الربذة وفرضت عليه الإقامة الجبرية في تلك البقعة الجرداء التي انعدمت فيها جميع وسائل الحياة ، وتوفى هذا الثائر العظيم جائعاً منفيّاً عن وطن الله ووطن رسوله ، لقد توفى أبو ذر جائعاً وفي أيدي الامويين ذهب الارض وثروات الامة ، ينفقونها على شهواتهم وملذهم .

لقد مات أبو ذر من اجل أن يحقق العدالة الاجتماعية ، ويحقق

(٤٥) الخصال (ص ١٦٧) .

الفرص المتكافئة بين الناس ، وينفي عنهم شبح الفقر وكابوس الظلم ، ويعيد فيهم حكم القرآن وعدالة الاسلام .

٣٥ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) علي : « يا علي أربعة لا ترد لهم دعوة : إمام عادل ، ووالد لولده ، والرجل يدعو لأخيه بظمر الغيب ، والمظلوم يقول له الله عز وجل وعزتي وجلالي لا نتصرن لك ولو بعد حين . . . » (٤٦)

٣٦ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) علي : « يا علي ان الله عز وجل أشرف على الدنيا فأختارني فيها على رجال العالمين ، ثم اطلع الثانية فأختارك على رجال العالمين بعدي ، ثم اطلع الثالثة فأختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين ، ثم اطلع الرابعة فأختار فاطمة على نساء العالمين . . » (٤٧)

لقد اختار الله تعالى نبيه العظيم وأوصيائه الأئمة الطاهرين من بين خلقه فجعلهم خزنة لعلمه ، ومستودعا لحكمته ، وأركاناً لتوحيده ، ومناراً في بلاده وأدلاء ، على مرضاته وطاعته ، فصلوات الله عليهم .

٣٧ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « اربع من كن فيه كان في نور الله الاعظم من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله واني رسول الله ومن اذا اصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ومن اذا اصاب خيراً قال : الحمد لله رب العالمين ، ومن اذا اصاب خطيئة قال : استغفر الله واتوب إليه . . » (٤٨)

(٤٦) الخصال (ص ١٨٠) .

(٤٧) الخصال (ص ١٨٨) .

(٤٨) الخصال (ص ٢٠٣) .

٣٨ - روى (ع) بسنده عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال :
« اربع من كن فيه نشر الله عليه كنفه ، وادخله الجنة في رحمة : حسن
خلق يعيش به في الناس ، ورفق بالمكروب ، وشفقة على الوالدين ، واحسان
الى المملوك . . » (٤٩)

وفي هذا الحديث دعوة الى مكارم الاخلاق ، وحسن السلوك بين الناس
والرفق والرحمة بالمعذيين والمنكوبين .

٣٩ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « اربع
يمتن القلب : الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء - يعني محادثتهن -
وماراة الاحق ، تقول : ويقول : ولا يرجع الى خير أبداً ، ومجالسة الموتى ،
فقل له : يا رسول الله وما الموتى ؟ قال : كل متزف . . » (٥٠)

وحذر النبي (ص) عن هذه الامور لأنها تميمت الضمير ، ويقسو
بها القلب وقد حرص الاسلام كل الحرص على ضمير الانسان فأراد ان
يكون واعياً متفتحاً متنوراً رحيماً .

٤٠ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : في وصيته
الى الامام أمير المؤمنين (ع) : « يا علي بادر باربعة : بشبابك قبل
هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل
موتك . . » (٥١)

ودعا النبي (ص) الى المبادرة لفعل الخير ، واغتنام الفرص للعمل الى
ما يقرب العبد الى خالقه ، قبل أن يفوت الأوان ، فيخسر الانسان ما

(٤٩) الخصال (ص ٢٠٥) .

(٥٠) الخصال (ص ٢٠٨) .

(٥١) الخصال (ص ٢١٧) .

أعده الله له من النعم في دار الآخرة .

٤١ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « من علامات الشقاء جود العين ، وقسوة القلب ، وشدة الحرص في طلب الرزق ، والاصرار على الذنب . . » (٥٢)

وحذر النبي (ص) من هذه الأمور التي تبعد الإنسان عن ربه ، وتلقيه في شر عظيم .

٤٢ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال على منبره : « ألا إن خير الاسماء عبد الله ، وعبد الرحمن ، وحارثة ، وهمام وشر الاسماء ضرار ، ومرة وحرب وظالم . . » (٥٣)

واحب النبي (ص) للمسلمين أن يسموا أبناءهم بتلك الاسماء الكريمة وكره لهم ان يسموهم بتلك الاسماء الكريهة التي تحمل طابع الشر والسوء .
٤٣ - روى (ص) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت . . » (٥٤)

ان الله تعالى ليسأل هذا الانسان في يوم حشره عن كل شأن من شؤون حياته في الدنيا فيسأله عن عمره هل أنفقه في طاعته ورضاه ليجزى له الثواب أو انه صرفه في اقتراف الأثم وظلم العباد ليعاقبه عليه ، وكذلك يسأله بصورة خاصة عن شبابه فيما أبلاه كما يجاسبه على أمواله هل

(٥٢) الخصال (ص ٢٢١) .

(٥٣) الخصال (ص ٢٢٨) .

(٥٤) الخصال (ص ٢٣١) .

اكتسبها بصورة مشروعة حتى لا يؤاخذ عليها أو انه اكتسبها من الحرام
ليعاقب عليها ، وكذلك يسأله عن الولاء لأهل البيت (ع) الذين هم
مصدر النور والخير في الارض فان كان متمسكاً بولائهم فقد فاز ونجا
وإن كان منحرفاً عنهم فقد ظل وغوى .

٤٤ - روى (ع) عن آبائه أن رسول الله (ص) خطب الناس في
آخر جمعة من شهر شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس انه قد اظلكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، وهو
شهر رمضان ، فرض الله صيامه ، وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن
تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور ، وجعل لمن تطوع فيه بخصلة
من خصال الخير والبر كاجر من أدى فريضة من فرائض الله ومن أدى فيه
فريضة من فرائض الله كان كمن أدى فيه سبعين فريضة فيما سواه ، وهو
شهر الصبر ، وإن الصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وهو شهر يزيد
الله فيه في رزق المؤمن ، ومن فطر فيه مؤمناً صائماً كان له بذلك عند
الله عز وجل عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى .

ف قيل له : يا رسول الله ليس كلنا يقدر أن يفطر صائماً ؟ فقال : إن
الله تبارك وتعالى كريم يعطي هذا الثواب منكم لمن لا يقدر إلا على مذقة
من لبن يفطر بها صائماً ، أو شربة من ماء عذب أو تميرات لا يقدر
على أكثر من ذلك ، ومن خفف فيه عن مملوكه خفف عنه حسابه وهو شهر
أوله رحمة ووسطه مغفرة ، وآخره اجابة والعتق من النار ، ولا غنى لكم
فيه عن أربع خصال : خصلتين ترضون الله بهما ، وخصلتين لا غنى بكم
عنهما ، أما اللتان ترضون الله بهما فشهادة أن لا إله إلا الله وأنني رسول
الله ، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم والجنة ،

وتسألون الله فيه العافية ، وتتعوذون به من النار . . » (٥٥)
ان لشهر رمضان قداسة وحرمة عند الله ففضله على سائر الشهور
ودعا فيه الرسول الى الطاعة والبر والاحسان على الفقراء ، وخصه بكثير من
الامتيازات على بقية الشهور .

٤٥ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) انه قال في
وصيته للأمام أمير المؤمنين : « يا علي أربعة يذهبن ضياعاً الأكل بعد
الشبع ، والسراج في القمر ، والزرع في السبخة ، والصنعة عند غير
أهلها . . » (٥٦)

٤٦ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) انه قال : « خمس
لا ادعهن حتى للمات الأكل على الحضيض (٥٧) مع العبيد ، وركوبي الحمار
مؤكفا (٥٨) وحلب العنز بيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان
لتكون سنة من بعدي . . » (٥٩)

وهذه الأمور من محالي اخلاقه (ص) التي ساد بها على سائر النبيين
وجلب بها الناس الى حظيرة الايمان والاسلام .

٤٧ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) انه قال : « من
باع واشترى فليجتنب خمس خصال وإلا فلا يبيع ولا يشتري : الربا ،
والخلف ، وكتمان العيب ، والمدح اذا باع ، والذم اذا اشترى . . » (٦٠)

(٥٥) الخصال (ص ٢٣٦) .

(٥٦) الخصال (ص ٢٤٠) .

(٥٧) الحضيض : القرار من الارض عند اسفل الجبل .

(٥٨) المؤكف : وضع البرذعة أو غيرها على الحمار .

(٥٩) الخصال (٢٤٧) .

(٦٠) الخصال (ص ٢٦٠) .

- وعلى ضوء هذا النص افق الفقهاء في كتاب البيع بما يلي :
- ١ - ان يتفق البائع والمشتري في شؤون المعاملات ليتجنبها المعاملات الربوية التي هي من اعظم المحرمات في الاسلام .
 - ٢ - ان يتجنبها اليمين في المعاملة فانهما اذا كانا صادقين فيكره لهما ذلك ، واما اذا كانا كاذبين فانهما يقتربان الاثم والحرام .
 - ٣ - ان لا يكتما العيب سواء اكان ذلك في الثمن أم في المثل ، واذا حصل الكتمان وظهر أمره فللمغفور خيار الفسخ ونقض المعاملة .
 - ٤ - ان يجتنب البائع مدح سلعته .
 - ٥ - ان لا يذم للمشتري ما اشتراه إذا كان سليما .
- ٤٨ - روى (ص) عن آبائه ان رجلاً جاء الى رسول الله (ص) فقال له :



مرکز تحقیقات فقهی و حقوقی

— يا رسول الله ما العلم ؟

— الانصات .

— ثم مه ؟

— الاستماع له .

— ثم مه ؟

— الحفظ له .

— ثم مه ؟

— العمل به .

— ثم مه ؟

— نشره (٦١)

(٦١) الخصال (٢٦٢) .

٤٩ - روى (ع) عن آبائه أن رسول الله (ص) قال لأصحابه :
« استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : وما نفعل يا رسول الله ؟ قال :
فإن كنتم فاعلين فلا يبيتن أحدكم إلا واجلاً بين عينيه ، وليحفظ الرأس
وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر القبر والبلى ، ومن أراد الآخرة
فليدع زينة الحياة الدنيا . . » (٦٢)

إن الحياء إنما يتحقق من الإنسان فيما إذا خاف ربه وحفظ
لسانه من قول الباطل ، وبصره من النظر إلى ما لا يحل له ، وذكر
القبر ، وما يجري عليه من الأهوال فيه فإن صنع ذلك فهو المستحي
من الله .

٥٠ - قال (ع) : سئل رسول الله (ص) عن خيار العباد ؟ فقال :
« الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أسأؤوا استغفروا ، وإذا أعطوا
شكروا ، وإذا ابتلوا صبروا ، وإذا غضبوا غفروا . . » (٦٣)

٥١ - روى (ع) عن آبائه أن النبي (ص) قال في وصيته لعلي :
« يا علي في الزنا ست خصال : ثلاث منها في الدنيا ، وثلاث في الآخرة
فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ، ويعجل الفناء ، ويقطع الرزق ، وأما
التي في الآخرة فسوء الحساب ، وسخط الرحمن ، والخلود في النار . . » (٦٤)
إن الزنا آفة اجتماعية ، وكارثة مدمرة الأخلاق ، وقد شدد الإسلام
فيه وتوعد من يقتترفه بأنواع العذاب في الدار الآخرة .

٥٢ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « الحكمة

(٦٢) الخصال (٢٦٧) .

(٦٣) الخصال (٢٨٨) .

(٦٤) الخصال (ص ٢٩٢) .

في ستة أشياء : في الخنطة والشعر والتمر والزبيب ، والسمن ،
والزيت . . » (٦٥)

الاحتكار هو أحد العوامل المؤدية الى شل الحركة الاقتصادية في
البلاد والى شيوع الفقر والحاجة بين الناس ، وقد حاربته الاسلام وشدد
في أمره كأعظم ما يكون التشدد ، والزم ولاية أمر المسلمين بتسعير السلع ،
وعدم الاجحاف في حق المواطنين فيها .

٥٣ - روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال :
« السحت ثمن الميتة ، وثمن الكلب ، وثمن الخمر ، ومهر البغي ، والرشوة
في الحكم ، وأجرة الكاهن . . » (٦٦)

وحرم الاسلام بذل المال بازاء هذه الأمور ، وجعل التعامل بها من
اكل المال بالباطل لأنها تؤدي الى تسبب الاخلاق ، وشيوع الفساد في
الأرض .

٥٤ - روى (ع) عن آبائه ان رسول الله (ص) قال : « ستة
لعنهم الله وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ،
والتارك لسنتي ، والمستحل لعترتي ما حرم الله ، والمتسلط بالجبروت ليدل
من اعزه الله ، ويعز من اذله الله ، والمستأثر بغير المسلمين للمستحل
له . . » (٦٧)

٥٥ - روى (ع) عن آبائه ان رسول الله (ص) قال لعلي :
« يا علي حرم من الشاة سبعة أشياء : الدم والمذاكير ، والمثانة ، والنخاع

(٦٥) الخصال (ص ٣٠٠) .

(٦٦) الخصال (ص ٣٠٠) .

(٦٧) الخصال (ص ٣٠٨) .

والغدد والطحال والمرارة . . » (٦٨)

وفي تحريم الاسلام لهذه الأمور وقاية للصحة العامة ، وضمان للمجتمع من أن يصاب بالأمراض ، وقد ثبت في الطب الحديث أنها بما تضر بالصحة العامة وإن اجتنابها أمر لازم .

٥٦ - روى (ع) عن آبائه أن رسول الله (ص) قال في وصيته لعلي : « يا علي إن الله تبارك وتعالى اعطاني فيك سبع خصال : أنت أول من ينشق عنه القبر معي ، وأنت أول من يقف على الصراط معي ، وأنت أول من يكسى إذا كسيت ، ويحيى إذا حييت ، وأنت أول من يسكن معي في عليين ، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختماه مسك . . » (٦٩)

٥٧ - روى (ع) عن آبائه أن رسول الله (ص) قال : « لم يعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل ، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى تجتمع فيه عشر خصال : الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه ، ولا يسأم من طلب العلم طول عمره ، ولا يتبرم بطلاب الخواص قبله ، الذل أحب إليه من العز ، والفقر أحب إليه من الغنى ، نصيبه من الدنيا القوت ، والعاشرة وما العاشرة ؟ لا يرى أحداً إلا قال : هو خير مني وأتقى إنما الناس رجلان ، فرجل هو خير منه واتقى ، وآخر هو شر منه وأدنى ، فإذا رأى من هو خير منه واتقى تواضع له ليلحق به ، وإذا رأى الذي هو شر منه وأدنى قال : عسى خير هذا باطن وشره ظاهر عسى أن يختم له بخير فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وساد أهل زمانه . . » (٧٠)

(٦٨) الخصال (ص ٣١٠) .

(٦٩) الخصال (ص ٣١١) .

(٧٠) الخصال (ص ٤٠٣) .

وفي هذا الحديث وامثاله من الاحاديث النبوية دعوة الى اصلاح النفس ، وتهذيبها بمكارم الاخلاق ، ومحاسن الاعمال لتكون مصدر هداية للناس .

٥٨ - روى (ع) عن آبائه أن رسول الله (ص) لعن في الخمر عشرة : غارسها ، وحارسها ، وعاصرهما ، وشاربها وساقياها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وبايعها ومشتريها وأكل ثمنها . « (٧١)

وشدد الاسلام في أمر الخمر كأعظم ما يكون التشدد فحرم ايجاده وصنعه ، كما حرم تعاطيه ، فان الخمر من أعظم الآفات الاجتماعية التي تضر بالصحة العامة ، وتسبب انتكاسة القيم وتدهور الاخلاق .

٥٩ - روى (ع) عن آبائه ان رسول الله (ص) قال : « البركة عشرة اجزاء تسعة اعشارها في التجارة ، والعشر الباقي في الجلود - يعني الغنم . » (٧٢)

٦٠ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « بني الاسلام على عشرة أسهم : على شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي الملة ، والصلاة وهي الفريضة ، والصوم ، وهو الجنة ، والزكاة وهي الطهر ، والحج وهو الشريعة ، والجهاد وهو الغزو ، والأمر بالمعروف وهو الوفاء ، والنهي عن المنكر وهو الحجة ، والجماعة وهي اللفة ، والعصمة وهي الطاعة . » (٧٣)

٦١ - روى (ع) عن النبي (ص) أنه قال : « إذا سألت الله فساأوه يباطن الكفين ، وإذا استعذتموه فلا تستعينوه بظاهرها . » (٧٤)

(٧١) الخصال ص ٤١٤ .

(٧٢) الخصال (ص ٤١٥) .

(٧٣) الخصال (ص ٤١٦) .

(٧٤) البيان والتبيين ٢ / ٢٦٣ .

٦٢ - روى (ع) عن آبائه ان رسول الله (ص) قال : « اذا فعلت
امتي خمس عشرة خصلة : حل بها السلام ، اذا اكلوا الأموال دولاً ،
واتخذوا الامانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، واطاع الرجل زوجته ، وعق
أمه ، وبر صديقه وجفا أخاه ، وارتفعت الاصوات في المساجد ، وأكرم
الرجل مخافة شره وكان زعيم القوم اذلهم ، واذا لبس الحرير ، وشربت
الخمر ، واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة اولها فليترقبوا
بعد ذلك ثلاث خصال : ريحاً حمراء ، ومسخاً ، وخسفاً . . » (٧٥)
وهذه الأمور التي حذر عنها النبي (ص) هي من مدمرات الأمم ومن
عظمت الشعوب ، واذا اقترفتها الأمة الاسلامية فسوف يحل بها عذاب الله ،
وتجتاحها نقماته .

٦٣ - روى (ع) عن آبائه ان النبي (ص) قال : « من بات
كلاً من طلب الحلال بات مغفوراً له . . » (٧٦)
وحدث الاسلام على الكسب الحلال ، واعتبره جهاداً وشرفاً لصاحبه ،
وان من سعى لعياله ، وهو مكدود متعوب بات مغفوراً له .
٦٤ - قال (ع) : سئل رسول الله عن خيار العباد ؟ فقال (ص) :
« الذين اذا احسنوا استبشروا ، واذا اعطوا شكروا ، واذا ابتلوا صبروا ،
واذا غضبوا غفروا . . » (٧٧)

ان من يتصف بهذه الاخلاق الرفيعة فانه يكون من خيار الناس
واشرافهم ، وانه قد ملك زمام نفسه ، وسيطر عقله على هواه .

(٧٥) البيان والتبيين ٢ / ٢٦٢ .

(٧٦) أمالي الصدوق (ص ٢٥٧) .

(٧٧) أمالي الصدوق (ص ٩) .

٦٥ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم . . » (٧٨)
ما اسمى هذه الحكمة التي تجمع الناس على صعيد للحبّة والألفة ، وتوحد ما بين مشاعرهم وعواطفهم ، ان سلطان المال لا يمكن أن يحقق ذلك ، ولكن الاخلاق هي اقوى مؤثر في بناء المجتمع واقامته على اسس سليمة .

٦٦ - قال (ع) : مر رسول الله (ص) يقوم يربعون حجراً فقال : ما هذا ؟ قالوا : نعرف بذلك أشدنا وأقوانا ، فقال (ص) : إلا اخبركم بأشدكم وأقواكم ، قالوا : بلى ، قال (ص) : أشدكم وأقواكم الذي اذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل ، واذا سخط لم يخرج منه سخطه من قول الحق ، واذا قدر لم يتعاط ما ليس بهحق . . » (٧٩)
ان الاسلام لا يعني إلا بقوة الضمير وصلابته ازاء الحق ، واما الاعتزاز بقوة العضلات فهي من الاعراف الجاهلية التي حاربها الاسلام .

٦٧ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « مجالسة اهل الدين شرف الدنيا والآخرة . . » (٨٠)

لقد ثبت في علم الاجتماع ان الحياة الاجتماعية حياة تأثير وتأثر فكل انسان يتأثر ويؤثر فيمن حوله ، ومن الطبيعي ان مزاملة الاخيار والمتحرجين في دينهم تؤثر فيمن يتصل بهم تأثيراً مباشراً فتصونهم من رذائل الصفات ، وتحبب لهم الخير ، وينالون بذلك شرف الدنيا وشرف الآخرة .

(٧٨) أمالي الصدوق (ص ١١) .

(٧٩) أمالي الصدوق (ص ١٨) .

(٨٠) أمالي الصدوق (ص ٥٤) .

- ٦٨ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إن هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله . . » (٨١)
- ٦٩ - روى (ع) عن آبائه أن رسول الله (ص) قال : « من أراد التوسل إلي ، وإن يكون له يد اشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيته ويدخل السرور عليهم . . » (٨٢)
- ٧٠ - روى (ع) عن آبائه أن رسول الله (ص) قال لعلي : « يا علي أنا مدينة العلم وأنت الباب وكذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلا من الباب . . » (٨٣)
- ٧١ - روى (ع) بسنده عن أم سلمة أن رسول الله (ص) قال : « الحج جهاد كل ضعيف » (٨٤)
- ٧٢ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من نقله الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآمنه بلا أنيس ، ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ، ومن رضي من مال الله باليسير من الرزق فقد رضي منه باليسير من العمل . . » (٨٥)

(٨١) أصول الكافي

- (٨٢) وسيلة المال في عد مناقب الآل (ص ٦١) من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين .
- (٨٣) المناقب لابن المغازي (ص ٨٥) .
- (٨٤) سير اعلام النبلاء ٢٤٢/٤ من مصورات مكتبة الحكيم العامة .
- (٨٥) الصراط السوي (ص ١٩٤) من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين .

٧٣ - روى (ع) بسند عن آبائه ان رسول الله (ص) قال : « اني واثق عشر من اهل بيتي اولهم علي اوتاد الأرض التي امسكها الله بها أن تسيخ بأهلها ، فاذا ذهبت الاثنا عشر من اهل بيتي ساخت الأرض بأهلها . . » (٨٦)

٧٤ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من اهل بيتي اثنا عشر نقيباً محدثون ، منهم القائم بالحق يملأها عدلاً كما ملئت جوراً . » (٨٧) وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض رواياته عن جده النبي (ص) والمتتبع يجد اضعاف هذه الاحاديث التي يرويها الامام عن جده .

رواياته عن الامام أمير المؤمنين :

روى (ع) عن آبائه طائفة من حكم جده الامام أمير المؤمنين (ع) ، وهذه بعضها :

١ - قال (ع) : قام وجل من اهل البصرة الى الامام أمير المؤمنين (ع) فقال له :

« يا أمير المؤمنين إخبارنا عن الاخوان ! . »

فأجابه الامام (ع) :

« الاخوان صنفان : اخوان الثقة ، وأخوان المكاشرة ، فأما اخوان الثقة فهم الكف والجناح ، والأهل والمال ، فان كنت على حد الثقة فأبذل له مالك ، وبدنك ، وصاف من صافاه ، وعاد من عاداه ، واكتسم سره ، وعيبه ، واظهر منه الحسن ، واعلم ايها السائل أنهم أقل من الكبريت

(٨٦) الاستنصار في النص على الأئمة الاطهار (ص ٨) للكراچكي

(٨٧) الاستنصار في النص على الأئمة الاطهار (ص ٨) .

الأحر ، واما اخوان المكاشرة فانك تصيب منهم لذتك ، فلا تقطن ذلك منهم ، ولا تطلبن ما وراء ذلك من صغيرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك ، من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان . . » (٨٨)

اما اخوان المكاشرة في هذا العصر فهم الاكثية الساحقة تسيرهم الاطماع والرغبات ، وتدفعهم المصالح ، والاهواء ، اما مظاهر صداقتهم فهي طلاقة الوجه وعذوبة اللسان - كما قال الامام - .

٢ - قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « الفتن ثلاث : حب النساء ، وهو سيف الشيطان ، وشرب الخمر ، وهو مخ الشيطان ، وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان ، فمن احب النساء لم ينتفع بعيشه ، ومن احب الأشرية حرمت عليه الجنة ، ومن احب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا ، و اضاف (ع) يقول : قال عيسى بن مريم بالدينار داء الدين ، والمعلم طبيب الدين فاذا رأيتم الطبيب يجر الداء على نفسه فاتهموه ، واعلموا أنه غير ناصح لفيره . . » (٨٩)

٣ - قال (ع) في كتاب علي ثلاث خصال : لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن ، البغي ، وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وان أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم وان القوم ليكونوا فجاراً فيتواصلون فتتبع أموالهم ، ويبرون فتزداد أعمارهم ، وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها ، ويثقلان الرحم ، وان تثقل الرحم انقطاع النسل . . » (٩٠)

(٨٨) الخصال (ص ٤٩) .

(٨٩) الخصال (ص ١٠٩) .

(٩٠) الخصال (ص ١١٩) .

وحفلت هذه القطعة من كتاب الامام أمير المؤمنين (ع) بالوصية
 بالبر والتقوى ، وبما يعود على الانسان من خير عميم في هذه الحياة .
 ٤ - قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « قوام الدين باربعة :
 بعالم ناطق مستعمل له ، وبغني لا ييخل بفضله على اهل دين الله ، وبفقير
 لا يبيع آخرته بدنياء ، وبجاهل لا يتكبر عن طلب العلم ، فاذا كتم العالم
 علمه وبخل الغني بماله ، وباع الفقير آخرته بدنياء ، واستكبر الجاهل عن
 طلب العلم ، رجعت الدنيا الى ورائها القهقري ، فلا تفرنكم كثرة المساجد
 واجساد قوم مختلفة ، قيل : يا أمير المؤمنين كيف العيش في ذلك الزمان ؟
 قال (ع) : خالطوهم بالبرانية - يعني في الظاهر - وخالفوهم في الباطن ،
 للمرء ما اكتسب ، وهو مع من أحب ، وانتظروا مع ذلك الفرج من
 الله عز وجل . . . » (٩١)
 ان صلاح الدنيا وإزدهار الحياة بهؤلاء الاصناف فيما اذا قاموا
 بمسؤولياتهم ، وأدوا ما عليهم ، ولما اذا انحرفوا عن ذلك فان الحياة
 العامة تصاب بنكسة وتندور فيها جميع القيم العليا .

٥ - قال (ع) : سئل أمير المؤمنين (ع) كم بين الحق والباطل ؟
 فقال (ع) : اربع اصابع ، ووضع يده على أذنه وعينه فقال : ما رأته
 عينك فهو الحق ، وما سمعته أذنك فأكثره الباطل (٩٢) .

٦ - روى (ع) عن آبائه أن أمير المؤمنين (ع) قال : كان لي
 من رسول الله (ص) عشر نخصال : ما أحب لي بأحداهن مما طلعت
 عليه الشمس ، قال لي : أنت اخي في الدنيا والآخرة وأقرب الخلائق

(٩١) الخصال (ص ١٨٠) .

(٩٢) الخصال (ص ٢١٥) .

مفي في الموقف ، وانت الوزير والوصي والخليفة في الأهل والمال ، وانت
أخذ لوائي في الدنيا والآخرة ، وليك ولي ، وولي ولي الله ، وعدوك عدوي ،
وعدوي عدو الله . . » (٩٣)

لقد خص الله الامام أمير المؤمنين بفضائل كثيرة ، ومنحه المزيد من
الطاقة والتي كان منها ما ذكره النبي (ص) في هذا الحديث .

٧ - قال (ع) : كان أمير المؤمنين (ع) يقول : « إن لأهل التقوى
علامات يعرفون بها ، صدق الحديث ، واداء الامانة ، والوفاء بالعهد ،
وقلة الفخر ، والبخل ، وصلة الأرحام ، ورحمة الضعفاء ، وقلة المواتاة
للنساء ، وبذل المعروف ، وحسن الخلق ، وسعة الحلم ، واتباع العلم ، فيما
يقرب الى الله عز وجل ، طوبى لهم وحسن مآب . . » (٩٤)

٨ - قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « إن قلوب الجاهل
تستفزها الاطماع ، وترتبتها المنى ، وتستعلقها الخدائع . . » (٩٥)
وصور هذا الحديث واقع الجاهل ، وألم باتجاهاتهم والتي كان منها ان
الاطماع تسيطر على مشاعرهم وعواطفهم ، وان المنى ترتب قلوبهم ، والخدائع
بسهولة تستولي عليهم وذلك لقلة خبرتهم ومعرفتهم .

٩ - قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « جمع الخير كله في
ثلاث خصال : النظر ، والسكوت ، والكلام ، فكل نظر ليس فيه
اعتبار فهو سهو ، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة ، وكل كلام
ليس فيه ذكر فهو لغو ، فطوبى لمن كان نظره عبثاً ، وسكوته فسكراً ،

(٩٣) الخصال (ص ٣٩٨) .

(٩٤) الخصال (ص ٤٥٤) .

(٩٥) اصول الكافي ١ / ٢٣ .

وكلامه ذكراً ، وبكى على خطيئته وأمن الناس شره . . » (٩٦)
وهذه صفات العارفين بربهم ، والمنيبين الى خالقهم ، وهي لا تنطبق
إلا على أئمة أهل البيت (ع) وعلى المهتدين بهديهم .
١٠ - قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « إنا أهل البيت شجرة
النبوة وموضع الرسالة ، ويختلف للملائكة ، وبيت الرحمة ، ومعدن
العلم . . » (٩٧)
١١ - قال (ع) : كان علي يقول : العامل بالظلم ، والمعين عليه
والراضي به شركاء ثلاثة (٩٨) .

روايته عن جده الحسين :

روى (ع) عن أبيه عن جده الامام الحسين (ع) قال : سمعت
جدي رسول الله (ص) يقول لي : « اعمل بفرائض الله تكن اتقى الناس ،
وارض بقسم الله تكن اغنى الناس ، وكف عن محارم الله تكن مؤمناً ،
واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً » (٩٩)

روايته عن أبيه :

روى عن أبيه علي بن الحسين (ع) انه قال : « ايما مؤمن دمعت
عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خده بواه ، الله في الجنة غرقاً يسكنها
لحقاباً ، وايما مؤمن دمعت عيناه فيما مسنا من الأذى من عدونا في
الدنيا بواه الله منزل صدق ، وايما مؤمن مسه اذى فينا فدمعت عيناه

(٩٦) الخصال (ص ٩٥) .

(٩٧) أصول الكافي ١ / ٢٢٠ .

(٩٨) الخصال (ص ١٠٣) .

(٩٩) أمالي الصدوق (ص ١٧٨) .

حتى تسيل على خديه من مضاضة ما اودى فينا صرف الله عن وجهه
الأذى ، وأمنه يوم القيامة من سخط النار . . (١٠٠)

روايته عن جابر الأنصاري :

وروى (ع) عن جابر بن عبد الله مجموعة من الأخبار والأحداث
من بينها .

١ - روى (ع) عن جابر أن رسول الله (ص) كان إذا وقف
على الصفا يكبر ثلاثاً ، ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، يصنع ذلك ثلاث مرات ، يصنع
مثل ذلك على المروة (١٠١) .

٢ - روى (ع) عن جابر أن النبي (ص) كان يتختم بيمينه (١٠٢) .
٤ - سأل (ع) جابراً عما جرى بين علي وعائشة ، فقال جابر :
ذهبت يوماً إلى عائشة وسألتها ما تقولين في حق علي ؟ فأطرقت برأسها
ثم رفعتة وانشدت :

إذا ما التبرحك على مركبتك تبين غشه من غير شك
وفينا الغش والذهب المصفى علي بيننا شبه المحك (١٠٣)

روايته عن عمر :

وروى (ع) بسنده عن عمر بن الخطاب قال : سمعت النبي (ص)

(١٠٠) كامل الزيارات (ص ١٠٨) .

(١٠١) تاريخ دمشق ٥١ / ٣٧ - ٣٨ .

(١٠٢) علل الشرايع (ص ١٥٨) .

(١٠٣) الصراط السوي (ص ١١٩) نور الابصار (ص ١٣١)

الفصول المهمة لابن الصباغ .

يقول : « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سبي ونسي » (١٠٤) .

روايته عن ابن عباس :

وروى (ع) بسنده عن عبد الله بن عباس أنه قال : نظر علي في وجوه الناس فقال : « إني لأخو رسول الله (ص) ووزيره ، وقد علمتم أني أولكم إيماناً بالله ورسوله ، ثم دخلتم بعدي في الاسلام رسلاً ، وإني لابن عم رسول الله (ص) وأخوه وشريكه في نسبه ، وأبو ولده ، وزوج أخته سيدة ولده وسيدة نساء أهل الجنة ، ولقد عرفتم أنا ما خرجنا مع رسول الله (ص) نخرجنا قط إلا رجعنا وأنا أحبكم إليه ، وأوثقكم في نفسه ، وأشدكم نكايه للعدو ، وأثر في العدد ، ولقد رأيتم بعثته إياي ببرامة ، ولقد آخى بين المسلمين فما اختار أحداً غيري ، ولقد قال لي : أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة ، ولقد أخرج الناس من المسجد وتركني ، ولقد قال لي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . . » (١٠٥)

روايته عن زيد بن أرقم :

وروى (ع) عن زيد بن أرقم قال : كنا جلوساً بين يدي النبي (ص) فقال (ص) : « إلا أدلكم على من إذا استرشدتموه لن تضلوا ، ولن تهلكوا قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : هذا - وأشار إلى علي بن أبي طالب - ثم قال : وأخوه ، ووازيه ، وصدقوه ، وانصحوه ، فإن جبرائيل

(١٠٤) طبقات ابن سعد ٨ / ٤٦٣ .

(١٠٥) المناقب للمغازلي (ص ١١١ - ١١٢) المتناقب للخوارزمي

(ص ٢٢٦) .

اخبرني بما قلت لكم (١٠٦) .

روايته عن أبي ذر :

وروى (ع) طائفة من كلمات المصلح العظيم الصحابي أبي ذر منها قوله :

« يا مبتغي العلم لا يشغلك اهل ولا مال عن نفسك ، أنت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ، ثم غدوت عنهم الى غيرهم . . . الدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه الى غيره ، وما بين الموت والبعث إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها ، يا مبتغي العلم ان قلبا ليس فيه شيء من العلم كالبيت الخراب . . » (١٠٧)

هذه بعض الاحاديث التي اثرت عنه ، وهي تتعلق بأداب السلوك والاخلاق ، وبفضل العترة الطاهرة التي هي عذيلة القرآن الكريم .

تفسير القرآن الكريم :

من العلوم التي خاضها الامام ابو جعفر (ع) في محاضراته تفسير القرآن الكريم ، فقد خصص له وقتا من لوقاته ، تناول فيه جميع شؤونه ، وقد اخذ عنه علماء التفسير - على اختلاف آرائهم وميولهم - الشيء الكثير ، فكان (ع) من المسح المفسرين في الاسلام ، وكان من جملة ما عرض له اثناء بحوثه عن القرآن ما يلي :

فصل قراءة القرآن :

وحدث الامام ابو جعفر (ع) على تلاوة الكتاب العزيز لأنه المنبع

(١٠٦) المناقب للمغازي (ص ٢٤٥) .

(١٠٧) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٤ .

الفياض لهداية الناس واستقامتهم ، وهو بما يحيى القلوب ، ويمدّها بطاقات من النور ، والوعي ، وقد روى (ع) ما قاله جده رسول الله (ص) في فضل تلاوته قال (ع) :

« قال رسول الله (ص) : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ، ومن قرأ مائة آية كتب من الثمانيين ، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين ، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين ، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من ثبر . . » (١٠٨)

ووردت أخبار مماثلة لهذا الحديث عن أئمة أهل البيت (ع) وهي تحث للمسلمين على تلاوة القرآن ، وتحفزهم على الامعان في آياته ، والتأمل في أسرارها ، وهي - من دون شك - تنمي العقول ، وتهذب النفوس وتصونها من الانحراف ، وتهديها إلى سواء السبيل .

الترجيع بقراءة القرآن :

أما الترجيع بقراءة القرآن ، وتلاوته بالصوت الحسن فإنه ينفذ إلى أعماق القلب ودخائل النفس ، ويتفاعل مع العواطف ، وذلك لما اشتمل عليه من الحكم والمعارف التي لاغنى للحياة عنها .

وقد عني أئمة أهل البيت (ع) بتلاوة القرآن الكريم ، فكان الامام أبو جعفر (ع) من أحسن الناس صوتاً بقراءته للقرآن (١٠٩) .

وروى أبو بصير قال : قلت : لأبي جعفر إذا قرأت القرآن فرفعت

(١٠٨) البيان في تفسير القرآن (ص ٢٥) .

(١٠٩) أصول الكافي .

صوتي جاءني الشيطان فقال : انما تراتي بهذا أهلك والناس ، فقال (ع) :
يا أبا محمد اقرأ قراءة ما بين القراءتين ، تسمع أهلك ، ورجع بالقرآن
صوتك فان الله يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعا (١١٠) .

تنزيه القرآن من الباطل :

القرآن الكريم هو معجزة الاسلام الكبرى « كتاب أحكمت آياته ثم
فصلت من لدن حكيم خبير . لا ريب فيه هدى للمتقين » وليس فيه أي
تناقض في احكامه ولا تناف في آياته « ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافاً كثيراً » « وهو يهدي للتي هي أقوم » « ولا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه » وقد فسر هذه الآية الامام أبو جعفر (ع)
قال : « لا يأتيه الباطل من قبل الثروة ، ولا من قبل الانجيل والزبور ،
ولا من خلفه أي لا يأتيه من بعده كتاب يبطله » وفي رواية عن
الصادقين (ع) انه « ليس في أخباره عمل مضى باطل ولا في أخباره
عما يكون في المستقبل باطل » .

ذم المحرفين للقرآن :

وذم الامام أبو جعفر (ع) المحرفين لكتاب الله ، وهم الذين يؤلون
آياته حسب أهواءهم ، فقد كتب (ع) في رسالته الى سعد الخير « وكان
من نبذهم الكتاب أن اقاموا حروفه ، وحرفوا حدوده ، فهم يرونه ولا
يرعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم
للعناية . » (١١١)

(١١٠) البيان في تفسير القرآن (ص ٢١٠) .

(١١١) اللواتي (ص ٢٧٤) آخر كتاب الصلاة .

الاستعمالات المجازية في القرآن :

وشاع الاستعمال المجازي في لغة العرب ، وذاع أمره في كثير من أنحاء الاستعمال كالاسناد المجازي ، والمجاز في الكلمة ، ومنه باب الكنايات التي قيل إنها أبلغ من التصريح ، ويعتبر ذلك من لطائف هذه اللغة ومحاسنها ، وفي القرآن الكريم طائفة كبيرة من الآيات كان الاستعمال فيها مجازيا منها قوله تعالى : « يا أبلّيس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » فإن المنصرف من اليد هو العضو المخصوص ويستحيل ذلك عليه تعالى لاستلزامه التجسيم وهو ما يمتنع عقلاً على الله تعالى ، وقد سأل محمد ابن مسلم الامام أبا جعفر عن ذلك فأجابته (ع) :

« اليد في كلام العرب القوة والنعمة قال تعالى : « واذكر عبدنا داود ذي الايدي » وقال : « والسماء بين يديها يدي » اي بقوة ، وقال : « وايداه بروح منه » ويقال : لفلان عندي ايد كثيرة أي فواضل واحسان ، وله عندي يد بيضاء أي نعمة » (١١٢) .

ومعنى ذلك ان اليد لم تستعمل في معناها المنصرف وإنما استعملت في غيره إما مجازاً أو حقيقة بناء على أنها مشتركة اشتراكاً لفظياً في هذه المعاني التي ذكرها الامام .

البسملة جزء من سور القرآن :

وذهب الامام أبو جعفر (ع) وسائر أئمة أهل البيت (ع) الى ان البسملة جزء من سور القرآن الكريم ، وتبعهم على ذلك جمهور غفير من علماء المسلمين ، وقرأوهم (١١٣) وقد كتب يحيى بن أبي عمران

(١١٢) ناسخ التواريخ ١ / ٤٣٤ نقلًا عن توحيد الصدوق .

(١١٣) تفسير الألوسي ١ / ٣٩ ، تفسير الشوكاني ١ / ٧ .

الهمداني رسالة الى الامام أبي جعفر (ع) جاء فيها « جعلت فداك ما تقول في رجل ابتداء : بسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أم الكتاب ، فلما صار الى غير أم الكتاب من السورة تركها ؟ فقال العباسي : ليس بذلك بأس » فأجابه (ع) برسالة جاء فيها « يعيدها مرتين على رغم أنفسه - يعني العباسي - » (١١٤) وتضافرت الاخبار من الفريقين بجزئيتها ، وقد شد من انكر ذلك .

نزول القرآن على سبعة احرف :

وشاع بين المفسرين أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وقد استندوا في ذلك الى ما روي عن أبي جعفر (ع) من أنه قال : « ان القرآن نزل على سبعة أحرف » (١١٥) وقد كثرت الأقوال في هذه الجهة حتى أن ابا حاتم ذكر أن الأقوال بلغت خمسا وثلاثين قولاً (١١٦) . ولا بد لنا من وقفة قصيرة لننظر الى معاني الأحرف السبعة ومدى صحتها ونسبتها الى الامام الباقر (ع) .

الحروف السبعة :

أما الحروف السبعة ، فقد اختلفت الأقوال في المراد منها وهذه بعضها :
 ١ - إنها الوعد والوعيد ، والأمر والنهي ، والقصص والمجادلة ، والامثال وقد (١١٤) فروع الكافي ٣ / ٣١٢ ، ومعنى قوله (ع) : « يعيدها مرتين » يعني انه كرر لفظ الاعداء من باب التأكيد .
 (١١٥) غابة النهاية في طبقات القراء ٢ / ٢٠٢ ، القرآت القرآنية (ص ٤٢٠) .

(١١٦) تفسير القرطبي ١ / ٩ .

ضعف هذا الوجه ابن عطية ، وقال : ان هذا لا يسمى احرفاً (١١٧) .
٢ - إنها المعاني المتقاربة التي ترد بالفاظ مختلفة نحو اقبل وهلم أو
عجل واسرع ، وقد اختار هذا الوجه الطبري (١١٨) إلا ان ذلك لا يحمل
أي طابع من التحقيق ، فان للإنسان - على هذا الوجه - ان يقرأ القرآن
على أشكال مختلفة ، وذلك يؤدي الى اختلاف كبير من اضافة آية أو
حذفها لأن الاختلاف في اللفاظ يستتبع الاختلاف في الجمل - حسبما
يقول القرطبي - (١١٩) .

٣ - ان المراد بها الابواب السبعة التي نزل بها القرآن وهي : الزجر ،
والأمر ، والحلال ، والحرام ، والمحكم ، وللمتشابه ، والامثال (١٢٠) ويرد
عليه أن هذه لا تسمى أحرفاً ، مضافاً الى أن الزجر والحرام شيء واحد
فلا تكون سبعة .

٤ - إنها اللغات الفصيحة من لغات العرب ، وهي متفرقة في القرآن
فبعضها بلغة قریش ، وبعضها بلغة هذيل ، وبعضها بلغة هوازن وبعضها
بلغة اليمن ، وبعضها بلغة كنانة ، وبعضها بلغة تميم ، وبعضها بلغة ثقيف ،
ونسب هذا القول الى البيهقي والأبهري وصاحب القاموس . . . إلا أن
هذا الوجه ينافيه ما ورد عن عمر من أن القرآن نزل بلغة مضر (١٢١) .
٥ - إنها سبع قراءات ، واشكل على ذلك سيدنا الاستاذ بانه إن

(١١٧) نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي (ص ٦٧) .

(١١٨) تفسير الطبري ١ / ١٥ .

(١١٩) تفسير القرطبي ١ / ٣٦ .

(١٢٠) البيان في تفسير القرآن (ص ١٨٣) .

(١٢١) البيان في تفسير القرآن (ص ١٨٥) .

أريد منها السبع المشهورة فهي غير ثابتة حسبما حققه عند البحث عن تواتر القراءات ، وإن أريد بها السبع على إطلاقها فمن الواضح أن عدد القراءات أكثر من ذلك بكثير (١٢٢) .

هذه بعض الأقوال ، وقد عد سيدنا الاستاذ عشرة أقوال إلا أنه فندما ، وأثبت أنها لا ترجع إلى محصل ، وقد ألف أبو شامة كتاباً في هذه المعاني ، وأبطل معظمها .

انكار الامام للأحرف السبعة :

وانكر الامام أبو جعفر (ع) الأحرف السبعة ، ولم يصح ما نسب إليه أنه رواها فقد روى في الصحيح عنه زرارة أنه قال : « إن القرآن واحد نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة » (١٢٣) وأثر عن الامام الصادق (ع) انكار ذلك فقد سأله الفضيل بن يسار فقال له : ان الناس يقولون : إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال عليه السلام : « كذبوا - أعدهم الله - ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد » (١٢٤) .

طرق التفسير :

واختلفت اتجاهات المفسرين للقرآن الكريم ، وقد سلكوا في ذلك طرقاً مختلفة منها :

التفسير بالمأثور :

ونعني به تفسير القرآن بما أثر عن النبي (ص) وأئمة الهدى ، وهذا

(١٢٢) البيان في تفسير القرآن (ص ١٩١) .

(١٢٣) اصول الكافي كتاب فضل القرآن .

(١٢٤) اصول الكافي كتاب فضل القرآن .

ما سلكه اغلب مفسري الشيعة كتفسير القمي ، والعسكري ، والبرهان وغيرها وحجتهم في ذلك ان اهل البيت (ع) هم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته ، وليس لغيرهم في ذلك اي نصيب ، وقد اشار الى ذلك الامام أبو جعفر (ع.) بقوله : « ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه خير الاوصياء » (١٢٥) فالأوصياء هم الذين عندهم علم الكتاب ، ظاهره وباطنه ، وقد تضافرت الأدلة على وجوب الرجوع إليهم في تفسير القرآن ، يقول الشيخ الطوسي : ان تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي (ص) وعن الأئمة الذين قولهم حجة كقول النبي (ص) (١٢٦) .



التفسير بالرأي :

ويراد به الأخذ بالاعتبارات العقلية الظنية الراجعة الى الاستحسان (١٢٧) وقد ذهب الى ذلك المفسرون من المعتزلة والباطنية ، فلم يعنوا بما أثر عن اوصياء رسول الله (ص) في تفسيرهم ، وإنما استندوا الى ما يرونه من الاستحسانات العقلية ، وقد نهى عن ذلك الامام أبو جعفر (ع) فقد دخل عليه قتادة الفقيه المشهور فقال له الامام :

« أنت فقيه أهل البصرة ؟ »

« نعم هكذا يزعمون . . »

« بلغني أنك تفسر القرآن . . »

(١٢٥) الوافي ٢ / ١٣٠ .

(١٢٦) التبيان ١ / ٤ .

(١٢٧) فرائد الاصول للأصاري .

« نعم . . »

فانكز عليه الامام ذلك قائلاً :

« يا قتادة إن كنت قد فسر القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك ، وإن كنت قد فسرت من الرجال فقد هلك وأهلك ، يا قتادة ويحك إنما يعرف القرآن من خوطب به . . » (١٢٨)

وقد قصر الامام أبو جعفر (ع) معرفة الكتاب العزيز على أهل البيت (ع) فهم الذين يعرفون للحكم من التشابه ، والناسخ من المنسوخ وليس عند غيرهم هذا العلم ، وقد أثر عن الأئمة (ع) القول : « انه ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف الى وجوه » (١٢٩) . أما الأخذ بظواهر الكتاب فلا يعد من التفسير بالرأي المنهى عنه ، وقد خالف في حجيتها بعض المحدثين ، وتمسكوا بأدلة قد فندت من قبل

علماء الاصوليين (١٣٠)

تفسير الامام الباقر :

وآلف الامام أبو جعفر (ع) كتاباً في تفسير القرآن الكريم نص عليه محمد بن اسحاق النديم في « الفهرست » عند عرضه للكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم قال : « كتاب الباقر محمد بن علي بن الحسين

(١٢٨) البيان في تفسير القرآن (ص ٢٦٧) .

(١٢٩) فرائد الاصول (ص ٢٨) .

(١٣٠) يراجع في ذلك فرائد الاصول للشيخ الانصاري ، والبيان .

في تفسير القرآن .

رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية « وقال السيد حسن الصدر : وقد رواه عنه أيام استقامته جماعة من ثقة الشيعة منهم أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي ، وقد أخرجه علي بن إبراهيم بن هاشم القمي في تفسيره من طريق أبي بصير (١٣١) ويقول الرواة : إن جابر بن يزيد الجعفي ألف كتاباً في تفسير القرآن أخذه من الإمام (١٣٢).

نماذج من تفسيره :

وروى عنه المفسرون الشيء الكثير من تفسير آيات القرآن الكريم ، وهذه بعضها :

١ - قوله تعالى : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا » (١٣٣) قال (ع) : الغرفة : هي الجنة وهي جزاء لهم بما صبروا على الفقر في الدنيا « (١٣٤) .

٢ - قوله تعالى : « ومن يحلل عليه غضي فقد هوى » (١٣٥) سئل أبو جعفر (ع) عن غضب الله ؟ فقال (ع) : طرده وعقابه « (١٣٦) .

٣ - قوله تعالى : « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم

(١٣١) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (ص ٣٢٧) الفهرست للشيخ الطوسي (ص ٩٨) وحقق هذا التفسير المحامي السيد شاکر الغرباوي إلا أنه لم يقدمه للنشر .

(١٣٢) النجاشي

(١٣٣) سورة الفرقان : آية ٧٠ .

(١٣٤) البداية والنهاية ٩ / ٣٠١ .

(١٣٥) سورة طه : آية ٨٢ .

(١٣٦) الفصول المهمة (ص ٢٢٧) .

اهتدى « (١٣٧) فسر (ع) الهداية بالولاية لأئمة أهل البيت وقال :
فوالله لو ان رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ، ولم يجيء بولايتنا
إلا اكبه الله في النار على وجهه « (١٣٨) .

٤ - قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » (١٣٩)
قال (ع) : يعني بذلك تبليغ ما أنزل إلى الرسول (ص) في فضل
علي (١٤٠) وقد روى (ع) أن الله أوحى إلى نبيه أن يستخلف علياً
فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه
الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه (١٤١) .

٥ - قوله تعالى : « ذرني ومن خلقت وحيداً » (*) نزلت هذه
الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي الذي اتهم النبي (ص) بالسحر ،
وكان الوليد يسمى في قومه الوحيد ، والآية سيقت على وجه التهديد له ،
وقد روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر أنه قال : الوحيد ولد الزنا ،
وقال زرارة ذكر لأبي جعفر أن أحد بني هشام قال في خطبته أنا ابن
الوحيد فقال : ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها : ! فقلنا له : وما هو ؟
قال : من لا يعرف له أب (١٤٢) .

(١٣٧) سورة طه : آية ٨٣ .

(١٣٨) مجمع البيان ٧ / ٢٣ طبع بيروت .

(١٣٩) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(١٤٠) خصائص الوحي المبين (ص ٣٠) .

(١٤١) مجمع البيان ٤ / ٢٢٣ .

(*) سورة المدثر : آية ١١ .

(١٤٢) مجمع البيان ١٠ / ٣٨٧ .

- ٦ - قوله تعالى : « تنزل للملائكة والروح فيها . » (١٤٣) قال (ع) : تنزل الملائكة والكتب إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون في السنة من أمور ما يصيب العباد ، والأمر عنده موقوف له فيه على المشيئة فيقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » (١٤٤) .
- ٧ - قوله تعالى : « فكبركبوا فيها هم والغاوث » (١٤٥) المراد من الآية أن الغاوثين والقوى الكافرة يجمعون وي طرح بعضهم على بعض في النار قال الامام أبو جعفر (ع) « انها نزلت في قوم وصفوا عدلاً بالسنة ثم خالفوه إلى غيره » (١٤٦) .
- ٨ - قوله تعالى : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (١٤٧) قال (ع) : في تفسيره للآية انه تعالى اعظم واعز واجل وأمنع من أن يظلم ، ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته حيث يقول : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » يعني الأئمة منا ، ثم قال : في موضع آخر « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (١٤٨) .
- ٩ - قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (١٤٩) . روى محمد بن مسلم قال : قلت : للأمام أبي جعفر إن من عندنا يزعمون أن المعنيين بالآية هم اليهود والنصارى ؟ قال : إذا يدعونكم إلى دينهم ،

(١٤٣) سورة القدر : آية ٤ .

(١٤٤) دعائم الاسلام ١ / ٣٣٤ .

(١٤٥) سورة الشعراء : آية ٩٤ .

(١٤٦) اصول الكافي ١ / ٤٧ .

(١٤٧) سورة البقرة : آية ٥٧ .

(١٤٨) اصول الكافي ١ / ١٤٦ .

(١٤٩) سورة الانبياء : آية ٧ .

ثم اشار (ع) الى صدره فقال : نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون (١٥٠) .
 ١٠ - قوله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
 إنما يتذكر أولو الالباب (١٥١) . » قال (ع) : « نحن الذين يعلمون
 وعدونا الذين لا يعلمون ، وشيعتنا أولو الالباب » (١٥٢) .
 ١١ - قوله تعالى : « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا
 العلم » (١٥٣) فسر الامام أبو جعفر (الذين أوتوا العلم) بأئمة أهل
 البيت (ع) (١٥٤) وروى أبو بصير أن الامام أبا جعفر قرأ هذه الآية
 وأوماً بيده الى صدره (١٥٥) .

١٢ - قوله تعالى : « يوم ندعو كل أناس بأمامهم » (١٥٦) روى
 جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال : لما نزلت هذه الآية
 قال المسلمون : يا رسول الله الست امام الناس كلهم اجمعين ؟ فقال (ص) :
 أنا رسول الله الى الناس اجمعين ، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس
 من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون ، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال
 واشياعهم ، فمن والاهم واتبعهم ، وصدقهم فهو مني ومعي ، وسيلقاني ،
 ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ، ولا معي ، وأنا منه بريء . » (١٥٧)

(١٥٠) أصول الكافي ١ / ٢١١ .

(١٥١) سورة الزمر : آية ٩ .

(١٥٢) أصول الكافي ١ / ٢١٢ .

(١٥٣) سورة العنكبوت : آية ٤٩ .

(١٥٤) مجمع البيان ٧ / ٢٨٨ .

(١٥٥) أصول الكافي ١ / ٢١٢ .

(١٥٦) سورة الاسراء : آية ١٧ .

(١٥٧) أصول الكافي ١ / ٢١٥ .

- ١٣ - قوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بأذن الله » (١٥٨) .
وسأل سالم الامام ابا جعفر عن هذه الآية فقال (ع) : السابق بالخيرات الامام ، والمقتصد العارف للامام ، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الامام (١٥٩) وروى زياد بن المنذر عنه (ع) انه قال : اما الظالم لنفسه فمن عمل صالحاً وآخر سيئاً ، واما المقتصد فهو المتعبد بالمجتهد واما السابق بالخيرات فعلي والحسن والحسين ومن قتل من آل محمد (ص) شهيداً (١٦٠) .
- ١٤ - قوله تعالى : « ان في ذلك لايات للمتوسمين » (١٦١) قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : كان رسول الله (ص) للتوسم ، وأنا من بعده والأئمة من ذريتي المتوسمون (١٦٢) .
- ١٥ - قوله تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً » (١٦٣) قال (ع) : يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (ع) والاولياء من ولده ، وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءً غدقاً يعني اشربنا قلوبهم الايمان ، والطريقة : هي الايمان بولاية علي والاولياء (١٦٤) .

(١٥٨) سورة فاطر : آية ٣٢ .

(١٥٩) اصول الكافي ١ / ٢١٤ .

(١٦٠) بجمع البيان ٧ / ٤٠٩ .

(١٦١) سورة الحجر : آية ٧٥ .

(١٦٢) اصول الكافي ١ / ٢١٩ .

(١٦٣) سورة الجن : آية ١٦ .

(١٦٤) اصول الكافي ١ / ٢٢٠ .

١٦ - قوله تعالى : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (١٦٥) سأل بريد بن معاوية الامام أبا جعفر (ع) عن المعنيين بقوله تعالى : « ومن عنده علم الكتاب » ؟ فقال (ع) : ايانا عنى ، وعلي اولنا ، وافضلنا وخيرنا بعد النبي (ص) (١٦٦) .

١٧ - قوله تعالى : « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً . » (١٦٧) سأل بريد العجلي الامام أبا جعفر (ع) عن هذه الآية ؟ فقال (ع) : جعل في آل ابراهيم الرسل والانبياء والأئمة فكيف يقرونه في آل ابراهيم ، وينكرونه في آل محمد (ص) ؟ قال بريد : وما المراد « وآتيناهم ملكاً عظيماً » قال : الملك العظيم ان جعل فيهم أئمة من اطاعهم اطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم (١٦٨) .

١٨ - قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » (١٦٩) سئل (ع) عن الروح فقال : هي القدرة (١٧٠) .

١٩ - قوله تعالى : « لولا أن رأى برهان ربه » (١٧١) قال (ع) :

(١٦٥) سورة الرعد : آية ٤٣ .

(١٦٦) أصول الكافي ١ / ٢٢٩ مجمع البيان ٦ / ٣٠١ روى عن أبي جعفر أنها نزلت في آل البيت .

(١٦٧) سورة النساء : آية ٥٤ .

(١٦٨) أصول الكافي ١ / ٢٠٦ .

(١٦٩) سورة الحجر : آية ٢٩ .

(١٧٠) تفسير البرهان (ص ٥٥٨) .

(١٧١) سورة يوسف : آية ٢٤ .

الجابر الجعفي ما يقول فقهاء العراق في هذه الآية ؟ قال جابر : رأى يعقوب عاضاً على إبهامه ، فقال (ع) : ، حدثني أبي عن جدي علي بن أبي طالب أن البرهان الذي رآه أنها حين همت به ، وهمّ بها أي طمع فيها ، فقامت إلى صنم مكل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترت به ثوب أبيض خشية أن يراها أو استحياء منه ، فقال لها يوسف : ما هذا ؟ فقالت : الهي استحي منه أن يراني على هذه الصورة ، فقال يوسف : تستحي من صنم لا ينفع ولا يضر ، ولا يبصر ، أفلا استحي أنا من الهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ، ثم قال : والله لا تنالين مني أبداً ، فهو البرهان (١٧٢) .

هذه بعض الآيات التي فسرّها الإمام أبو جعفر (ع) وبها ينتهي بنا الحديث عن تفسيره للقرآن الكريم .

علم الكلام : مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

وبحث الإمام أبو جعفر في كثير من محاضراته المسائل الكلامية ، ومثل عن أعقد المسائل وادقها في بحوث هذا العلم فأجاب عنها ، ومن الجدير بالذكر أن عصر الإمام كان من أشد العصور الإسلامية حساسية فقد امتد فيه الفتح الإسلامي إلى أغلب مناطق العالم وشعوب الأرض فأثار ذلك موجة من الحقد في نفوس المعادين للإسلام من الشعوب المغلوبة على أمرها ، ومن غيرها ، فقاموا بحملة دعائية ضد العقيدة الإسلامية فاذاعوا الشكوك والالوهام بين أبناء المسلمين ، وقد شجعت الحكومات الأموية الأفكار المعادية للإسلام ، فلم يؤثر عن أي أحد من ملوك بين أمية أنه

(١٧٢) البداية والنهاية ٩ / ٣١٠ .

قاومها او تصدى لايقافها وعدم نشرها بين المسلمين ولم يكن هناك احد قد انبرى الى انقاذ المسلمين في ذلك العصر سوى الامام أبي جعفر (ع) فقد تصدى الى تزييفها والرد عليها ببالحجة والبرهان ، وسنعرض الى تفصيل ذلك عند البحث عن عصر الامام .

وعلى أي حال فهذه بعض البحوث الكلامية التي خاضها الامام وهي :

التوحيد :

وتناول الامام ابو جعفر (ع) أهم مسائل التوحيد ، فكشف الغطاء عنها وفند ما أثير حولها من أوهام وشكوك ، وكان من بين ما عرض له .

١ - عجز العقول عن ادراك حقيقة الله :

والشيء الذي لا جدال فيه ان الانسان بجميع ما يملك من طاقات فكرية فانه عاجز عن معرفة حقيقة الله ، لأن العقول في جميع تصوراتها محدودة يقول الشافعي : « ان للعقل حداً ينتهي إليه كما ان للبصر حداً ينتهي إليه » .

ان جميع الاشياء التي يتوصل اليها حس الانسان لا بد ان توجد في مكان ويجري عليها الزمان ، ولا يستطيع العقل ان يتخيل موجودات لا مكان لها أو اشياء لا يجري عليها الزمان ، وذات الله تعالى يعجز العقل أن يدرك واقعها لأنه لا يجري عليها الزمان ولا للمكان فانه تعالى هو الذي خلقهما ، وبالإضافة الى ذلك فان في السكون أموراً كثيرة قد عجز العقل عن الاحاطة بكنهها ، والتي منها الحقيقة الغيبية فان العقل لم يهتد الى معرفتها .

ان ذات الله تعالى لا تدركها أوهام القلوب على مسدى ما تحمل من

٢ - ازلية واجب الوجود :

أما ازلية واجب الوجود فهي من ادق البحوث الكلامية ، والفلسفية ، وقد عرضت على أبي جعفر (ع) فقد سأله رجل فقال له : اخبرني عن ربك متى كان ؟ فأجابه الامام :

« ويلك إنما يقال لشيء لم يكن ، متى كان ؟ ١١ إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كون كيف ، ولا كان له اين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لمكانه مكاناً ، ولا قوي بعدما كوّن الأشياء ، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئاً ، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ، ولا يشبه شيئاً مذكوراً ، ولا كان خلواً من الملك قبل انشائه ، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه ، لم يزل حياً بلا حياة ، ومملكا قادراً قبل أن ينشيء شيئاً ، ومملكا جباراً بعد انشائه للكون ، فليس لكونه كيف ولا له اين ، ولا له حـد ، ولا يعرف بشيء يشبهه ، ولا يهرم لطول البقاء ، ولا يصعق (١٧٧) لشيء ، بل الخوفة تصعق الأشياء كلها ، كان حياً بلا حياة حادثه ، ولا كون موصوف ولا كيف محدود ، ولا اين موقوف عليه ، ولا مكان ، جاور شيئاً ، بل حي يعرف ، ومملك لم يزل له القدرة والملك ، انشاء ما شاء حين شاء بمشيئته ، لا يحد ولا يبعث ، ولا يفنى ، كان أولاً بلا كيف ، ويكون آخراً بلا اين ، وكل شيء هالك إلا وجهه ، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين .

ويلك ايها السائل ١١ ان ربي لا تغشاه الأوهام ، ولا تنزل به الشبهات ، ولا يحار ، ولا يجساوزه شيء ، ولا تنزل به الاحداث ، ولا يسأل عن

(١٧٧) يصعق : أي يهلك ، ويضعف .

شيء ، ولا يندم على شيء ، ولا تأخذ سنة ولا نوم له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما ، وما تحت الثرى . . » (١٧٨)

وأملت هذه القطعة الذهبية من كلام الامام العظيم بأزلية واجب
الوجود وتوحيده ، وتنزيهه عن المشابهة لمخلوقاته التي يحددها الجنس والفصل
والتي تخضع في وجودها وعدمها الى العلة ، وتفتقر الى الزمان والمكان
وتعالى الله عن جميع ذلك فانه الاول والآخر ، والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم . . . وقد سئل بعض المحققين عن الله ما هو ؟ فقال :
الأوحد ، فقيل له : كيف هو ؟ فقال : ملك قادر ، فقيل له : اين هو ؟
فقال : بالمرصاد ، فقال السائل : ليس عن هذا أسألك ، فقال : ما اجبتك
به هو صفة الحق فأما غيره فصفة الخلق .

لقد أرادوا أن يتعرفوا على ذات الله تعالى حتى كأنه شيء من الاشياء
التي تخضع للحواس وسائر المدركات العقلية ، ولم يعلموا أن الله تعالى
فوق ما يدركه العقل ، وفوق ما تتصوره الأوهام ، لا إله إلا هو الحي
القيوم .

وعلى أي حال فإن كلام الامام (ع) قد عرض لأدق المسائل الكلامية
التي لم يطرقها أحد من متكلمي المسلمين وفلاسفتهم سوى جده الامام
أمير المؤمنين (ع) اما الاحاطة بكلام الامام (ع) وإيضاحه فانه يحتاج
الى دراسة مفصلة ، وقد عني فلاسفة الاسلام بالاستدلال على النقاط التي
وردت في حديث الامام (١٧٩) .

(١٧٨) أصول الكافي ١ / ٨٨ - ٨٩ .

(١٧٩) عرض لذلك بصورة موضوعية الفيلسوف الاسلامي الكبير
صدر الدين الشيرازي في كتابه (الشواهد الربوية) .

٣ - النهي عن الكلام في ذات الله :

ونهى الامام أبو جعفر (ع) عن الحديث والخوض في ذات الله تعالى لأن ذلك مهني على فلسفة عميقة لا تتحملها عقول البسطاء الذين لا يملكون رصيذاً من العلم ، فانهم يقيمون في حبائل الشيطان ، ويخرجون من حضيرة الايمان الى حضيرة الشرك ، يقول (ع) :

« تكلموا في كل شيء ، ولا تتكلموا في ذات الله . . » (١٨٠)

وقال (ع) : « تكلموا في خلق الله ، ولا تتكلموا في الله فانه لا يزداد صاحبه إلا تحيراً . . » (١٨١)

إن الحديث عن ذات الله تعالى لا يزيد الانسان إلا تحيراً والقاء في الدمار والشبهات ، أما التفكير في مخلوقات الله ، والتأمل في دقائق هذا الكون فانه يدعو الى حتمية الايمان بالله ، فان كل مخلوق بحسب صنعة وتركيبه يدل على الخالق العظيم ، يقول دارون : « اني أرى فيما يظهر لي ان الاحياء التي عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة اذلية نفخ الخالق فيها نسمة الحياة » (١٨٢) وان من الخرافة القول بأن هذه العوالم وجدت من باب الصدفة ، فان من غير الممكن ان توجد الصدفة نظاماً دقيقاً قائماً على العلم ، فلماذا لم تخلق الصدفة الطائفة أو الآلات الحديثة التي أوجدها الفكر والعلم ؟

٤ - علم الله :

ان الله تعالى احاط بكل شيء علماً ، وان علمه بالاشياء قبل تكوينها

(١٨٠) اصول الكافي ١ / ٩٢ .

(١٨١) اصول الكافي ١ / ٩٢ .

(١٨٢) النشوء والارتقاء (ص ٤٧) .

وبعد تكوينها على حد سواء لأنه الخالق والمكون لها كما أنه العالم بما تنطوي عليه النفوس ، وتضمهره القلوب ، وقد روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال : « كان الله عز وجل ولا شيء غيره ، ولم يزل عالماً بما يكون ، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه » (١٨٣) .

٥ - واقع التوحيد ؛

وطلب جابر بن يزيد الجعفي من الامام أبي جعفر (ع) أن يعلمه شيئاً من التوحيد فقال (ع) :

« ان الله تباركت اسمائه التي يدعا بها ، وتعالى في علو كنهه . .
واحد توحيد بالتوحيد في توحده ، ثم أجراه على خلقه ، فهو واحد صمد ،
قدوس يعبد كل شيء ويصمد إليه كل شيء ، ووسع كل شيء علماً ... » (١٨٤)

٦ - صفات الله .

ان صفات الخالق الحكيم هي عين ذاته ، وليس بينهما تعدد حسب ما دلل عليه في علم الكلام ، وقد ظل قوم من أهل العراق عن طريق الحق فأشاعوا أنه تعالى يسمع بغير ما يبصر ، ويبصر بغير الذي يسمع شأنه في ذلك شأن مخلوقاته وقد عرض ذلك محمد بن مسلم على الامام أبي جعفر فقال (ع) :

« كذبوا والحدوا ، وشبهوا ، تعالى الله عن ذلك إنه سميع بصير ، يسمع بما يبصر ، ويبصر بما يسمع . . »

فقال محمد بن مسلم : يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه ، فرد (ع)

(١٨٣) أصول الكافي ١ / ١٠٧ .

(١٨٤) أصول الكافي ١ / ١٢٣ .

مزاعمهم وقال :

« تعالى الله ، إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق ، وليس الله كذلك » (١٨٥)

٧ - الشك والجحود :

ان الشك في وجود الله تعالى فاطر السموات والأرض ، وجحوده له مضاعفاته السيئة ، والتي منها أنه لا يقبل من الشاك والجاحد أي عمل خير ، ولا ينفعه يوم حشره ونشره ، يقول (ع) :

« لا ينفع مع الشك والجحود عمل . . » (١٨٦)

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن كلمات الامام أبي جعفر (ع) في التوحيد

الامامة :

الامامة نفحة من روح الله ، ورحمة من رحماته انعم بها على هذا الانسان لتدله على الايمان ، وتلهمه الخير ، وتهديه الى سواء السبيل وهي من اصول الدين ، وأركان الاسلام عند الشيعة الامامية لأنها القاعدة الصلبة التي تركز عليها العدالة الاجتماعية في الاسلام ، وقد تحدث الامام أبو جعفر (ع) عن كثير من جوانب الامامة ، كان من بينها ما يلي :

الحاجة الى الامام :

الامامة ضرورة من ضروريات الحياة الاسلامية ، لاستتقيم شؤون المجتمع من دونها وقد اجمع المسلمون على لزومها وضرورتها ، وقد سأل جابر بن يزيد الجعفي الامام (ع) عن الحاجة الى النبي والامام ، فقال (ع) :

« لبقاء العالم على صلاحه ، وذلك ان الله عز وجل يرفع العذاب عن

(١٨٥) اصول الكافي ١ / ١٠٨ .

(١٨٦) جامع السعادات ١ / ١١٧ .

أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام ، قال الله عز وجل : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » وقال النبي (ص) : « النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون » يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن الله عز وجل طاعتهم بطاعته ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وهم المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ، ولا يعصون ، وهم المؤيدون للوفيقين المسددون بهم يرزق الله عباده ، وبهم تعمر بلاده ، وبهم ينزل القطر من السماء ، وبهم تخرج بركات الأرض ، وبهم يمهل أهل المعاصي ، ولا يعجل عليهم بالعقوبة والمذاب ، ولا تفارقهم روح القدس ، ولا يفارقونه ، لا يفارقون القرآن ، ولا يفارقهم صلوات الله عليهم أجمعين . . » (١٨٧) وحفل حديث الإمام (ع) بضرورة الإمامة لأنها تنشد صلاح العالم وتقيم أعوجاج الدين ، كما أشاد بالأئمة الطاهرين من أهل البيت (ع) وأنهم أمان لأهل الأرض ، وبهم يستدفع البلاء ، وينزل الغيث وتخرج بركات الأرض .

وجوب معرفة الإمام :

وتضافرت الأحاديث عن النبي (ص) وعن سدة علومه الأئمة الطاهرين في لزوم معرفة إمام العصر ، وإن من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية - حسب النص النبوي - وقد أثرت عن الإمام أبي جعفر (ع) أخبار كثيرة بذلك كان منها :

١ - روى جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول :

(١٨٧) علل الشرايع (ص ١٢٣ - ١٢٤) .

« إنما يعرف الله عز وجل ويعبد من عرف إمامه من أهل البيت ، ومن لا يعرف الله عز وجل ، ولا يعرف الامام من أهل البيت فانما يعرف ويعبد غير الله . . . » (١٨٨)

٢ - روى محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : « كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهل فيها نفسه ، ولا امام له من الله فسميه غير مقبول ، وهو ضال متحير ، والله شانه لاعماله ، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها فهجمت (١٨٩) ذاهبة ، وجانية يومها ، فلما جنها الليل بصرت بقطيع من غنم مع راعيها ، فحننت إليها واغترت بها فباتت معها في مربضها ، فلما ان ساق الراعي قطيعه انكرت راعيها وقطيعها فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها ، فبصرت بغنم مع راعيها فحننت إليها واغترت بها فصاح بها الراعي الحق راعيكم وقطيعكم فأنت تائهة متحيرة عن راعيكم وقطيعكم ، فهجمت ذعرة متحيرة تائهة لا راعي لها يرشدها الى مرعاها ويردها ، فبينما هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها . . . وكذلك يا محمد من اصبح من هذه الأمة لا امام له من الله عز وجل ظاهر عادل اصبح ضالاً تائهاً ، وإن مات على هذه الحالة مات ميته كفر ونفاق .

واعلم يا محمد ان أئمة الجور واتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا واضلوا ، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شيء . . ذلك هو الضلال البعيد . . » (١٩٠)

(١٨٨) اصول الكافي ١ / ١٨١ .

(١٨٩) هجمت : أي تعبت بلا روية ، فهي متحيرة في أمرها .

(١٩٠) اصول الكافي ١ / ١٨٣ - ١٨٤ .

ان أئمة اهل البيت (ع) هم الذين تجب مصرفتهم لأنهم سدة
الوحي وأوصياء الرسول (ص) وخلفاؤه على أمته ، لا ملوك بني أمية ،
وملوك بني العباس الذين تمرغوا في الأثم ، وإشاعوا الجور والفساد
في الارض

وجوب طاعة الامام :

وطاعة الامام واجب ديني اعلنه القرآن الكريم قال تعالى : « اطيعوا
الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . » (١٩١) وتضافرت الاخبار بذلك ،
روى زبارة عن أبي جعفر (ع) أنه قال :

« ثروة الأمر وسنانه ، ومفتاحه ، وباب الأشياء ، ورضا الرحمن
تبارك وتعالى ، الطاعة للأمام بعد معرفته . . . ان الله تبارك وتعالى يقول :
« من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً . » (١٩٢)
ان في طاعة أئمة الهدى (ع) نظاماً للدين وإقامة للعدل لأنهم
لا يأمرون إلا بالحق وبه يحكمون .

حق الامام على الناس :

ان للأمام على الناس حقاً ، كما ان لهم عليه حقاً ، وقد تحدث
الامام أبو جعفر (ع) عن ذلك ، فقد سألته أبو حمزة قائلاً :

— ما حق الامام على الناس ؟

— حقه عليهم أن يسمعوا ويطيعوا .

— ما حقهم عليه ؟

(١٩١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(١٩٢) أصول الكافي ١ / ١٨٥ .

يقسم بينهم بالسوية ، ويعدل في الرعية (١٩٣) .
ان حق الامام على الناس السمع والطاعة لأوامره الهادفة لسعادتهم
وصلاحهم ، واما حقهم عليه فهو ان يقسم أموال الله بينهم بالسوية فلا
يؤثر قوماً على الآخرين ، وان يبسط فيهم العدل الذي هو ظل الله في أرضه .

عظمة الامامة :

ان للأمام كرامة عند الله ومنزلة لا يبلغها أي أحد من عباد ، وقد
تحدث عنها الامام أبو جعفر (ع) ، قال (ع) لجابر بن يزيد الجعفي :
« ان الله اتخذ ابراهيم عبداً قبل أن يتخذ نبياً ، واتخذ نبياً قبل
ان يتخذ رسولا ، واتخذ رسولا قبل أن يتخذ خليلاً ، واتخذ خليلاً
قبل ان يتخذ اماماً ، فلما جمع له هذه الاشياء وقبض يده (١٩٤) قال له :
يا ابراهيم « اني جاعلك للناس اماماً » فمن عظمها في عين ابراهيم قال :
يا رب ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين . . (١٩٥)
ومعنى هذا الحديث ان الامامة ارقى منزلة عند الله لا يصل اليها
الانبياء والمرسلون ، وقد خص الله بها خليله ابراهيم ، وجعلها من مكملات
ذاتياته المشرقة ، وخص الله بها الأئمة الطاهرين من أهل البيت الذين
هم سدنة الوحي ، وأبواب الهداية والرحمة لهذه الأمة .

الولاية لأئمة أهل البيت :

ان الولاية للأئمة الطاهرين جزء من الاسلام ، وعنوان الأيمان ،

(١٩٣) اصول الكافي ١ / ٤٠٥ .

(١٩٤) قبض يده : الضمير راجع الى الامام أي ضم اصابعه الى الكف

(١٩٥) اصول الكافي ١ / ١٧٥ .

وقد اذاع الرسول (ص) بين أمته هذا الفرض الديني المقدس ، والزم الأمة به ، وعنى به أكثر مما عني بأي واجب ديني يقول الإمام أبو جعفر عليه السلام :

« بني الاسلام على خمس : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية - . » (١٩٦)

ان الواجب على كل مسلم أن يكن في دخائل نفسه الولاء للأئمة الطيبين الذين هم مصدر النور في الأرض ، ومن أظهر الولاء لهم الأخذ بما أثر عنهم من الاحكام وقواعد الأخلاق والآداب .

الاشادة بالأئمة :

واشاد الامام أبو جعفر (ع) في كثير من أحاديثه بالأئمة الطيبين وتحدث عن سمو منزلاتهم ، وكان من بين أحاديثه ما يلي :

١ - قال (ع) : « نحن ولادة أمر الله ، وخزان علم الله ، وورثة وحي الله ، وحملة كتاب الله ، طاعتنا فريضة ، وحبنا إيمان ، وبغضنا كفر ، محبنا في الجنة ، ومبغضنا في النار . . » (١٩٧)

٢ - قال (ع) : « نحن جنب الله تعالى ، نحن صفوة الله ، نحن أمناء الله ، نحن مستودع مواريث الانبياء ، نحن حبيب الله ، نحن حبل الله المتين ، نحن صراط الله المستقيم ، قال الله تعالى : « وإن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » نحن رحمة الله للمؤمنين ، بنا يفتح

(١٩٦) اصول الكافي ١ / ١٨٣ .

(١٩٧) مناقب آل أبي طالب ٢ / ٣٣٦ .

الله وبنا يختتم الله ، من تمسك بنا نجا ، ومن تخلف عنا غوى ،
نحن القادة الغر المحجلون . . . من عرفنا ، وعرف حقنا ، وأخذ بأمرنا
فهو منا وإلينا . . » (١٩٨)

٣ - قال (ع) : « نحن خزنة علم الله ، ونحن ولاة أمر الله ، بنا
فتح الاسلام وبنا يختتمه ومنا تعلموا ، فوالله الذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة
ما علم الله في احد إلا فينا وما يدرك ما عند الله إلا بنا . . » (١٩٩)

٤ - قال (ع) : « نحن أهل بيت الرحمة ، وشجرة النبوة ، ومعدن
الحكمة وموضع للملائكة ، ومهبط الوحي . . » (٢٠٠)

٥ - قال (ع) : « والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب
ولا على فضة إلا على علمه . . » (٢٠١)

٦ - قال (ع) : « نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمه وحي الله ،
ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ، ومن فوق الأرض . . » (٢٠٢)
وتضافرت الاخبار من النبي (ص) وهي تحمل هذا الطابع الخاص
في فضل الأئمة الطاهرين وما منحهم الله من مزيد الفضل . فقد
جعلهم (ص) ينايبع الحكمة ، وورثة علوم الأنبياء ، وخصهم بكل كرامة ،
وهو حق لا شبهة فيه ، فإن من راجع سيدهم ، وما أثر عنهم من المهدي
والصلاح وسائر الكمالات النفسية يؤمن بأنهم سادات الخلق ، وأوصياء

(١٩٨) عيون المعجزات (ص ٣٤) .

(١٩٩) اعلام الورى (ص ٢٧٠) .

(٢٠٠) روضة الواعظين (ص ٢٧٥) .

(٢٠١) اصول الكافي ١ / ١٩٢ .

(٢٠٢) اصول الكافي ١ / ١٩٢ .

النبي (ص) وحملته علومه ، وليس في هذا القول اي غلو أو انحراف عن الحق ، فقد وهب الله انبياءه العلم والحكمة وفصل الخطاب ، وهم ليسوا بأفضل من أئمة أهل البيت (ع) الذين اخلاصوا لله ، وقدموا في سبيل طاعته ودينه من التضحيات ما لم يقدمه أي مصلح في الأرض .

عدد الأئمة :

وأعلن الامام أبو جعفر (ع) عدد الأئمة الطاهرين الذين هم خلفاء النبي (ص) على أمته ، وأوصياؤه وحملته علومه ، وفيما يلي بعض ما روى عنه :

١ - روى زرارة عن أبي جعفر (ع) أنه قال : « الأئمة اثنا عشر اماماً منهم الحسن والحسين ثم الأئمة من ولد الحسين . . » (٢٠٣)
٢ - روى أبو بصير أن الامام أبا جعفر (ع) قال : « نحن اثنا عشر محدثاً » (٢٠٤) .

٣ - روى عنه أبو بصير أنه قال : « تكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي تاسعهم قائمهم . . » (٢٠٥)
وقد اذاع ذلك الرسول الأعظم (ص) وتواترت الاخبار عنه فقد روى سلمان الفارسي قال : كنا مع رسول الله (ص) والحسين بن علي علي فخذه اذ تفرس في وجهه وقال له : « يا أبا عبد الله أنت سيد من سادتنا ، وأنت امام ابن امام أخو امام ، أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم ، أعلمهم ، أحكمهم أفضلهم » (٢٠٦)

(٢٠٣) الاستنصار (ص ١٧) لمحمد بن علي الكراجكي .

(٢٠٤) الاستنصار (ص ١٧) .

(٢٠٥) الخصال (ص ٣٨٨) .

(٢٠٦) مقتضب الأثر لاحمد بن محمد المتوفى سنة (٤٠١ هـ) من مخطوطات مكتبة الحسينية الشوشترية .

وروى عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يكون خلفي اثنا عشر خليفة » (٢٠٧) وعلق الشيخ ابو عبد الله احمد بن عياش على هذا الحديث بقوله : « فاذا كانت هذه العدة المنصوص عليها لم توجد في القائمين بعد رسول الله (ص) ولا في بني أمية لأن عدة خلفائهم تزيد على اثني عشر ، ولا في القائمين من بعدهم إلا زائدة عليهم ، ولم تدع فرقة من فرق هذه الامة هذه العدة في أئمتها غير الامامية دل ذلك على أن أئمتهم هي المعتدة بها » (٢٠٨) .

وقد عددهم الامام أمير المؤمنين (ع) وذكر اسماءهم واحداً بعد واحد حتى انتهى الى القائم (٢٠٩) ويقول بعض الشعراء :

ان الأئمة تسعة وثلاثة نقلاً عن الهادي البشير المنذر
لا زائد فيهم وليس بناقص منهم كما قد قيل عد الاشر
مثل النبوة صيرت في معشر وكذا الامامة صيرت في معشر (٢١٠)
ويقول الشاعر عبد الله بن ايوب الحريري مخاطباً للامام الجواد بعد وفاته أبيه :

يا بن الذبيح ويا بن أعراق الثرى طابت ارومته وطاب عروفا
يا بن الثمانية الأئمة غربوا وأبا الثلاثة شرقوا تشريقا
ان المشارق والمغرب أنتم جاء الكتاب بذالك تصديقا (٢١١)

(٢٠٧) مقتضب الأثر .

(٢٠٨) مقتضب الأثر .

(٢٠٩) بصائر الدرجات (ص ١٠٨) للصفار .

(٢١٠) غاية الاختصار (ص ١٣١) .

(٢١١) مقتضب الأثر .

والشيء المحقق ان خلفاء النبي (ص) الاثني عشر الذين تواترت
فيهم الاخبار انما هم الأئمة الطيبون من أهل البيت (ع) فهم الذين
يمثلون هدي النبي (ص) وسمته .

محن الأئمة :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) مع حمران عن المحن والخطوب التي
ألمت بالأئمة الطاهرين من طواغيت زمانهم ، وانهم سلام الله عليهم لو
سألوا الله تعالى أن يكشفها عنهم لاستجاب لهم ، ولكنهم لم يسألوه لينالوا
المنزلة الكريمة عنده ، يقول (ع) :

« ولو انهم - أي الأئمة - يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من
أمر الله عز وجل ، وازهار الطواغيت عليهم سألوا الله عز وجل أن يدفع
ذلك عنهم والحوافي ازالة تلك الطواغيت ، وذهب ملكهم اذن لأجابه ،
ورفع ذلك عنهم ، ثم كان انقضاء مسدة الطواغيت وذهب ملكهم اسرع
من رفع سلك منظوم انقطع فتبدد ، ما كان ذلك الذي اصابهم - يا حمران -
لذنب اقترفوه ، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ، ولكن لمنازل وكرامة
من الله أن يبلغوها ، فلا تذهب فيك المذاهب فيهم . . » (٢١٢)

حشاه على نشر مآثر الأئمة :

وكان (ع) يبحث الرواة والمحدثين على اذاعة مآثر أئمة اهل البيت
عليهم السلام ونشر فضائلهم لأنهم القدوة الحسنة لهذه الأمة ، يقول سعد
الاسكاف : قلت : لأبي جعفر إني اجلس فأقص ، واذكر حقكم وفضلكم ،
فشكر (ع) مساعيه وقال له :

(٢١٢) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٢ .

« وددت على كل ثلاثين ذراعاً قاصاً مثلك » (٢١٣) .

علم الأئمة :

وأمّنت الشيعة منذ فجر تأريخها حتى يوم الناس هذا بأن أئمة أهل البيت (ع) قد وهبهم الله العلم والحكمة وفصل الخطاب ، كما وهب أنبياءه ورسله ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

وقد اجمع المؤرخون والرواة على أن الأئمة (ع) كانوا يملكون طاقات هائلة من العلم لم يملكها أي أحد من الناس ، وإنهم قد فاقوا بمواهبهم وعبقرياتهم جميع العلماء الذين عاصروهم ووبرهم ، وليس في هذا الايمان ، ولا في هذه الدعوى أية مؤاخذه بعد ما توفرت الأدلة على ذلك ، ألم يدع سيد العترة وزعيمها الامام أمير المؤمنين (ع) من على منبر الكوفة قوله : « سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السماء فاني اعلم بها من طرق الأرض » ومعنى ذلك أن علومه ومعارفه قد تجاوزت شؤون هذا السكوكب الذي يعيش عليه الانسان الى شؤون الفضاء والمجرات وسائر الكواكب ، وأنه قد احاط علماً بأسرار الكون ، ودقائق الطبيعة .

ألم يقل هذا العملاق العظيم : (لو ثبتت لي الوسادة لأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم ، وأهل الزبور بزبورهم ، وأهل الفرقان بفرقانهم » وهذا يدل - بوضوح - على احاطته التامة بشؤون جميع الشرائع والأديان ، ووقوفه على ما في تلك الكتب السماوية من احكام .

ألم يكن علي صاحب نهج البلاغة الذي هو أثرى كتاب عالمي عرفته الانسانية بعد القرآن الكريم ... هذا هو زعيم العترة الطاهرة باب

(٢١٣) رجال الكشي (ص ١٨٧) .

مدينة علم النبي (ص) ووصيه الذي فاق جميع علماء الدنيا في مواهبه وعلومه ، وعلى هذا الطراز من سعة العلم الذي لا يحد سائر الأئمة الطاهرين (ع) فهذا الامام علي بن موسى الرضا (ع) حينما نصبه المأمون ولي عهده ، فاوعز الى جميع علماء الدنيا بالحضور الى خراسان لامتحان الامام واختباره ريشما يظهر عليه العجز فيتخذ ذلك وسيلة الى هدم مذهب التشيع وابطال ما ذهب اليه الشيعة من أن الامام افضل اهل عصره ، واعلم اهل زمانه ، ولما اجتمع العلماء في خراسان أجزل لهم المأمون بالعطاء وندبهم الى مهمته ، وكان المدون لمسائلهم علي بن عيسى ، يقول وقد سئل الامام عن اربعة وعشرين الف مسألة ، وقد دوتها ، وتناولت علومها مختلفة من علم الفلك والنجوم والطب والفيزياء ، والفلسفة وعلم الكلام وغيرها ، وقد اجاب الامام عنها ، وما التقى به وفد من العلماء ، وخرج إلا وهو يقول بامامة الرضا ، وعقب علي بن عيسى كلامه بقوله : « ومن قال ان الله خلق افضل من علي بن موسى فلا تصدقه » (٢١٤) . وهذا ولده الامام محمد الجواد (ع) حينما آلت اليه الامامة بصد وفاة أبيه كان عمره الشريف لا يتجاوز العشر سنين فقربه المأمون وعظمه ، فحسده العباسيون ، وكلموا المأمون في أمره فعرفهم بامامته ، وان الله منحه العلم والفضل ، وميزه على الخلق اجمعين ، فانكروا ذلك عليه ، فعهد إليهم باختباره وامتحانه ، فخفوا الى يحيى بن اكرم الذي تقلد رئاسة القضاء ، وهو المع شخصية علمية في بغداد ، وطلبوا منه امتحان الامام (ع) فاجابهم الى ذلك ، وعقدوا مؤتمراً علمياً في البلاط العباسي حضره كبار العلماء ، واقبل يحيى بن اكرم فسأل الامام عن اعقد المسائل واشكلها ،

(٢١٤) عيون اخبار الرضا .

فأخذ الامام (ع) يحلل كل مسألة الى عدة فروع ، ويسأل يحيى عن أي فرع اراده ليجيبه عنه ، وذهل يحيى ، وبان عليه العجز ، وطلب من الامام ان يجيبه عن تلك الفروع التي شقها على مسألته ، فاجابه (ع) عنها ، وانفض المؤتمر ، وقد آمن جميع من حضر فيه بقدراته العلمية التي لا تحد ، وقد روى جميع المؤرخين هذه الباردة حتى ابن حجر ذكرها في صواعقه المحرقة ، فبأي شيء تعمل هذه الطاقات العلمية عند الامام الجواد وهو في سنه المبكرة ؟

وعلى أي حال فان علم الأئمة (ع) كعلم الانبياء من دون أن يكون اي فرق بينهما وقد عرض لذلك الامام أبو جعفر (ع) فقد قال لبعض شيعته :

— ما تقول الشيعة في علي وموسى وعيسى ؟

— جعلت فداك عن أي الحالات تسألني ؟

— اسألك عن العلم

— هو والله اعلم منهما

— اليس يقولون : ان لعلي ما لرسول الله (ص) من العلم ؟

— ولكن لا يقدمون على أولي العزم من الرسل أحدا

— فخاصمهم بكتاب الله

— في أي موضع منه

— يقول تعالى لموسى : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء » (٢١٥)

وقال لعيسى : « ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه » (٢١٦) بينما

(٢١٥) سورة الاعراف : آية ١٤٥ .

(٢١٦) سورة الزخرف : آية ٦٣ .

قال لمحمد (ص) : « وجئنا بك شهيداً على هؤلاء » (٢١٧) كما قال في نفس الآية « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » (٢١٨) .
وقد تضافرت الاخبار ان علم الأئمة مستمد من علم جدهم الرسول (ص) فقد ورث (ص) علومه الى وصيه وباب مدينة علمه الامام أمير المؤمنين عليه السلام وقد ورثها من بعده الأئمة الطاهرون من ابنائه .

الملاحم التي اخبر عنها :

واجه المأرخون والرواة على أن أئمة اهل البيت (ع) قد أخبروا عن وقوع كثير من الملاحم والاحداث ، وتحققت بعد ذلك على مسرح الحياة . كما أخبروا عنها ، فقد أخبر الامام أمير المؤمنين (ع) بما سيجري على الصحابي العظيم حجر بن عدي من صنوف القتل والتنكيل من قبل معاوية ، وجرى عليه ذلك ، وأخبر (ع) عن حكومة مروان ابن الحكم القصيرة الأمد فقال (ع) : « ليحملن راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه ، وله امرة كلعقة الكلب أنفه » (٢١٩) وأخبر (ع) عن حكومة بني العباس فقد روى المبرد وغيره قال : لما ولد علي بن عبد الله ابن العباس جاء به ابوه الى الامام علي (ع) فقال له : ما سميت به ؟ فقال عبد الله : أو يجوز لي أن اسميه قبلك ؟ فقال (ع) قد سميت به بأسمي ، وكنيته بكنيتي ، وهو أبو الاملاك (٢٢٠) وأخبر (ع) عن مصرع ولده أبي الشهداء الامام الحسين (ع) فقد روى الاصبغ قال :

(٢١٧) سورة النحل : آية ٨٩ .

(٢١٨) نظرية الامامة لدى الاثني عشرية (ص ١٤٧) نقلاً عن الكافي .

(٢١٩) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٠ .

(٢٢٠) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٥٨ .

أتينا مع علي (ع) فممرنا بموضع قبر الحسين (ع) فقال علي : ها هنا
مناخ ركا بهم ، وها هنا موضع رحالهم ، وها هنا مهراق دمائهم ، فتية من
آل محمد (ص) يقتلون بهذه الفرصة تبكي عليهم السماء والأرض (٢٢١)
كما اخبر (ع) عن الاحداث التي تجري آخر الزمان ، وما يخرجه
الانسان من الالات والاجهزة الحديثة ، وسائر الوان التقدم التكنولوجي في
العالم ، كل ذلك اخبر عنه الامام (ع) .

ولم تقتصر هذه الظاهرة على الامام أمير المؤمنين (ع) وإنما شملت
جميع أئمة أهل البيت (ع) فهذا الامام الصادق قد قال : للمنبور
الدوانيقي تتلاعب بها - أي الخلافة - الصبيان من ولدك (٢٢٢) وقال
عليه السلام : لابن عمه عبد الله بن الحسن انه لا يلي الخلافة وإنما
يليهما السفاح ، وتحقق جميع ما أخبر به .

وقد اعترف ابن خلدون بهذه الظاهرة لأئمة أهل البيت (ع)
يقول : « وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم ، فما ظنك بهم علماً وديناً ،
وآثراً من النبوة ، وعناية بالاصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة ، والشرعية
قد قررت ان البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده
في نوم أو ولاية وقد وقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك
مستندهم فيه والله اعلم الكشف بما كانوا من الولاية ، فهم أولى الناس
بهذه الرتبة الشريفة والكرامات الموهوبة » (٢٢٣) .

أما الملاحم التي اخبر عنها الامام أبو جعفر فهذه بعضها .

(٢٢١) الرياض النضرة ٢ / ٢٢٢ .

(٢٢٢) اثبات الوصية (ص ١٨٢) .

(٢٢٣) المقدمة (ص ٢٣٢ - ٢٣٤) .

١ - انه تنبأ بدولة بني العباس ، يقول أبو بصير : كنت مع محمد ابن علي إذ دخل المنصور وداود بن سليمان قبل ان يفضي للملك لبني العباس فجاء داود الى الامام محمد الباقر فسلم عليه ، فقال (ع) له :
« ما منع الدوانيقي أن يأتي ؟ . . »

فاعتذر داود بن سليمان ، وقال : ان فيه جفاءً ، واحاطه الامام (ع) علماً بما يصير إليه المنصور قائلاً :

« لا تذهب الأيام حتى يلي هذا الرجل أمر الخلق ، فيطأ أعناق الرجال ، ويملك شرقها وغربها ، ويطول عمره حتى يجمع من كنوز المال ما لا يجمع غيره . . »

وبادر داود نحو المنصور ، وهو يحمل إليه البشري ، بما قاله الامام ، وخف المنصور مسرعاً نحو الامام ليشتبه بمقاتله فيه ، وأبدى للأمام معاذيره في عدم السلام عليه قائلاً : ما منعي من الجلوس إليك إلا اجلالاً لك ، ثم سأله عما اخبر به داود ، فقال (ع) :
« هو كائن . . »

وراح المنصور يطلب المزيد من الايضاح قائلاً :
« ملكنا قبل ملككم ؟ . »

« نعم »

« ويملك أحد بعدي من ولدي . ؟ »

« نعم »

« فمدة بني أمية أطول أم مدتنا ؟ . »

« مدتنا أطول ليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعبون بالكرة ، بهذا

عهد إلي أبي . . »

وانصرف المنصور وهو جثلاًن مسرور قد صار على يقين بأن الملك سيؤول إليه ، وظلت مقالة الامام تراوده في جميع أوقاته فلما صارت إليه الخلافة تعجب من تنبأ الامام (٢٢٤) .

ويقول الدوانيقي : كنت هارباً من بني أمية أنا ولخي أبو العباس فمررنا بمسجد النبي (ص) ومحمد بن علي جالس ، فقال (ع) : لرجل إلى جانبه كاني بهذا الأمر قد صار إلى هذين ، وأشار إلينا ، فجاء الرجل وأخبرنا بمقالته ، فملنا إليه وقلنا له : يا بن رسول الله ما الذي قلت ؟ فقال (ع) : هذا الأمر صائر إليكم عن قريب ولكنكم تسيئون إلى ذريتي ، وعترتي فالويل لكم (٢٢٥) فكان كما أخبر (ع) وقد اساء المنصور حينما ولي الخلافة إلى ذرية رسول الله (ص) وعترته ، فنكل بهم كافظع ما يكون التنكيل وقد قاست عترة رسول الله (ص) في عهد هذا الطاغية من صنوف العذاب ما لم تقاسيه في عهد الامويين فقد كانت أيامهم عليهم كلها عنة والمآل عذاباً

٢ - وما انبأ عنه الامام أبو جعفر (ع) أنه أخبر عن الحجر الأسود وانه يعلق في الجامع الأعظم في الكوفة (٢٢٦) وتحقق ذلك أيام القرامطة فقد اخذوه من الكعبة ، وجعلوه في جامع الكوفة باعتقادهم أن الحج يدور مداره ، وقد أرادوا ان يكون الحج إلى مسجد الكوفة وبقي فيه مدة تقرب من عشرين عاماً ثم ارجع إلى مكانه .

٣ - ومن الملاحم التي أخبر عنها غزو نافع بن الأزرق إلى يثرب ،

(٢٢٤) جامع كرامات الأولياء ١ / ٩٧ ، الدر المنسلوك مخطوط .

(٢٢٥) دلائل الامامة (ص ٩٦) .

(٢٢٦) اتعاض الخنفاء للمقرئزي (ص ٢٤٥) .

واباحتها لجنوده ، يقول الامام الصادق (ع) : كان أبي في مجلس عام إذ اطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه وقال : يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم في أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية ، فيقتل مقاتلكم ، وتلقون منه بلاءً لا تقدرُونَ عليه ولا على دفعه ، وذلك من قابل - أي السنة التي تأتي - فخذوا حذرکم ، واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بد منه ، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه ، وقالوا : لا يكون هذا أبداً ، فلما كانت السنة المقبلة حمل أبو جعفر عياله ، وصحب معه جماعة من بني هاشم ، وخرجوا من المدينة ، فجاء نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف واستباحها ثلاثة أيام ، وقتل فيها خلقاً كثيراً (٢٢٧) واستبان لأهل المدينة مدى صدق الامام في تنبؤاته .

٤ - واخبر (ع) عن شهادة أخيه زيد الشهيد العظيم فقد روى زيد ابن حازم قال : كنت مع أبي جعفر (ع) فمر بنا زيد بن علي فقال لي أبو جعفر : أما رأيت هذا ؟ ليخرجن بالكوفة ، وليقتلن ، وليطافن برأسه (٢٢٨) ولم تمض الايام حتى قتل زيد بالكوفة وطيف برأسه في الاقطار والامصار .

٥ - ومن الاحداث التي تنبأ عنها انه اخبر بهدم دار هشام بن عبد الملك ، وهي من اضخم الدور في يثرب ، وكان قد بناها باحجار الزيت ، قال (٢٢٧) نور الابصار (ص ١٣٠) جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٣٤) الخرايج والجرايح (ص ٨٠) من مخطوطات مكتبة الحكيم .

(٢٢٨) نور الابصار (ص ١٣١) .

عليه السلام : اما والله لتهدمن ، أما والله لتندثر احجار الزيت ، يقول أبو حازم : فلما سمعت هذا تعجبت منه وقلت : من يهدمها وامير المؤمنين هشام قد بناها ١١ فلما مات هشام وولي الخلافة من بعده الوليد امر يهدمها ، ونقل احجار الزيت منها حتى ندرت في يثرب (٢٢٩) .

٦ - ومن الملاحم التي انبأ عنها ما رواه الفضيل قال : سألت أبا جعفر فقلت له : بلغنا أن لآل جعفر راية ، ولآل العباس رايتين فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء ؟ فقال (ع) :

« اما آل جعفر فليس لهم شيء ، ولا لأهل بيتي شيء ، واما آل العباس فان لهم ملكاً عظيماً ، يقربون فيه البعيد ، ويبعدون فيه القريب ، وسلطانهم عسر ليس فيه يسر حتى إذا آمنوا مكر الله ، وآمنوا عقابه صيح فيهم صيحة واحدة لا يبقى لهم منزل يجمعهم ، ولا اذن تسمعهم ، وهو قول الله عز وجل حتى إذا اخذت الارض زخرفها . . (٢٣٠)

هذه بعض البوادر التي اخبر عنها الامام (ع) وهي تلقي الأضواء على مدى سعة علوم الامام (ع) واحاطته بمثل هذه الأمور التي منحها الله تعالى للأنبياء وأوصيائهم ، ومن الطبيعي ان الاقرار للأئمة (ع) بهذه الظاهرة يحتاج إلى إيمان راسخ ويقين ثابت ، وقد اشار الامام أبو جعفر (ع) إلى ذلك بقوله : « ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان » (٢٣١) .

(٢٢٩) دلائل الإمامة (ص ١١٠) .

(٢٣٠) اثبات الهداة ٥ / ٣١٠ .

(٢٣١) اعلام الوری من مخطوطات دار الآثار المراقية .

هذه بغض البحوث الكلامية واخباره عن المغيبات التي خاضها الامام (ع) وله بحوث أخرى في هذه المجالات سنذكرها عند البحث عن عصره .

علم الفقه :

أما فقه أهل البيت (ع) فقد أخذ معظمه من الامامين الباقر وولده الصادق (ع) وقد حفلت موسوعات الفقه الامامي - كالحقائق والجواهر ومستمسك العروة الوثقى - بالروايات الكثيرة التي أثرت عنهما ، وإليها يرجع فقهاء الامامية في استنباطهم الأحكام الشرعية ، وفي إصدارهم للفتوى ، أما موسوعات الحديث كوسائل الشيعة والتهذيب ، ومن لا يحضره الفقه وغيرها فاغلب ما فيها من الاحاديث قد أخذت عنهما ، وقد شكلت تلك للموسوعات دائرة معارف للفقه الاسلامي هي من أروع وأثرى ما قنن في عالم التشريع .

لقد جهد الامام الباقر وولده الصادق (ع) على نشر الفقه الاسلامي وتبنيه بصورة إيجابية في وقت كان المجتمع الاسلامي غارقاً في الأحداث السياسية ، وقد أهملت الحكومات في تلك العصور الشؤون الدينية اهمالاً تاماً ، فلم تعد الشعوب الاسلامية تفقه من أمور دينها القليل ولا الكثير ، يقول الدكتور علي حسن : « وقد أدى تتبعنا للنصوص التاريخية إلى امثلة كثيرة تدل على هذه الظاهرة - أي اهمال الشؤون الدينية - التي كانت تسود القرن الأول سواء لدى الحكام أو العلماء أو الشعب ، ونعني بها عدم المعرفة بشؤون الدين ، والتأرجح وعدم الجزم والقطع فيها حتى في العبادات ، فمن ذلك ما روي أن ابن عباس خطب في آخر رمضان على منبر البصرة فقال : (اخرجوا صدقة صومكم) فكان الناس لا يعلمون ، فقال : من ها هنا من أهل المدينة ، فقوموا إلى إخوانكم فاعلموهم ، فانهم

لا يعلمون من زكاة الفطرة الواجبة شيئاً (٢٣٢) مما يدل على أن أهل البلاد الإسلامية لم يكونوا يعرفون شؤون دينهم معرفة مفصلة ، وقد كان يوجد في بلاد الشام من لا يعرف عدد الصلوات المفروضة ، فراحوا يسألون الصحابة عن ذلك (٢٣٣) وهذه مسألة أوقات الصلاة لم تكن معروفة عند عمر بن عبد العزيز (٢٣٤) وبعض أهل العلم ، فكان العلماء يرون سنة مخصوصة في ذلك ، وكانت الحكومة ترى رأياً مخالفاً ، وعلى هذا جاء الحديث « سيأتي في آخر الزمان أمراء يميئون الصلاة ، فأدوا الصلاة في وقتها » والمؤرخون المتقدمون إذا لم يعرفوا كيف يشرحون لنا هذه الحالة فإنهم لم يجدوا أمامهم إلا سبباً مفروضاً ، وهو أن الأمويين قد غيروا أوقات الصلاة برأيهم .

ولكن الحقيقة هو إنه في أثناء عصر بني أمية الذين كانوا لا يهتمون كثيراً بأمور الدين كان الشعب في الواقع قليل الفهم والمعرفة للفقهاء ومسائل الدين ، ولم يكن يعرف من هذه الشؤون إلا أهل المدينة وحدهم (٢٣٥) .. » (٢٣٦)

-
- (٢٣٢) الاحكام في أصول الاحكام لابن حزم ٢ / ١٣١ .
(٢٣٣) أبو داود ١ / ١٤٢ ، النسائي ١ / ٤٢ .
(٢٣٤) ان خفاء أوقات الصلاة على عمر بن عبد العزيز من الموضوعات والمفتريات عليه ، ومنعرض لذلك عند البحث عن سيرته .
(٢٣٥) يراجع في كيفية صلاة عمر بن عبد العزيز طبقات ابن سعد ٥ / ٤٧ ، والامامة والسياسة ٢ / ١٤٣ ، ويراجع إلى عصر عبد الملك ابن مروان إنه لم تكن مسائل الحج قد عرفت تماماً ، مصادر ذلك طبقات ابن سعد ٥ / ١٧٠ ، اليعقوبي ٢ / ٣٥٨ .
(٢٣٦) نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي (ص ١١٠) .

ان الدور المشرق الذي قام به الامام الباقر والصادق في نشر الفقه وبيان احكام شريعة الله كان من اعظم الخدمات التي قدمت للعالم الاسلامي ولولاها لخسر المسلمون اعظم ثروة دينية لهم .

وعلى أي حال فانه لما لم يكن في العالم الاسلامي - في تلك العصور - من هو أدري بشؤون الشريعة واحكام الدين غير الامامين (ع) فقد أسرع إلى الأخذ من علومهما ابناء الصحابة والتابعون ، ورؤوساء المذاهب الاسلامية كأبي حنيفة ومالك وغيرهما ، وقد تخرج على يد الامام أبي جعفر جمهرة كبيرة من الفقهاء كزرارة بن اعين ، ومحمد بن مسلم وابان ابن تغلب ، واليهسم يرجع الفضل في تدوين أحاديث الامام (ع) كما كانوا من مراجع الفتيا بين المسلمين ، وبذلك فقد اعاد الامام أبو جعفر (ع) للأسلام نضارته وحافظ على ثرواته الدينية من الضياع . ومن الجدير بالذكر أن الشيعة هي أول من سبق إلى تدوين الفقه يقول مصطفى عبد الرازق : « ومن المعقول أن يكون النزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشيعة لأن اعتقادهم العصمة في أئمتهم أو ما يشبه العصمة كان حرياً إلى تدوين أقضيّتهم وفتاواهم » (٢٣٧) وبذلك فقد ساهمت الشيعة في بناء الصرح الاسلامي ، وحافظت على أهم ثرواته ... ولا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر في فقه أهل البيت (ع) الذي هو مستمد من الرسول الاعظم (ص) .

مميزاته :

ويمتاز فقه أهل البيت (ع) بمميزات رائعة جعلته في قمة الفقه الاسلامي وغيره ، وهذه بعضها :

(٢٣٧) تمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية (ص ٢٠٢) .

١ - اتصاله بالنبي (ص) :

والشيء المهم في نفسه أهل البيت (ع) إنه يتصل اتصالاً مباشراً بالنبي (ص) فطريقه إليه أئمة أهل البيت (ع) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وجعلهم النبي (ص) سفن النجاة ، وأمن العباد ، وعدلاء الذكر الحكيم حسبما تواترت الاخبار بذلك .

وما لاشبهة فيه أنهم سلام الله عليهم الصق الناس برسول الله (ص) وادري بشؤون شريعته وأحكامه من غيرهم فروايتهم عن جدهم (ص) أن صح طريق سندها إليهم فهي من أصح الروايات إليهم وأقربها إلى الواقعية وبرائة الذمة ، وهذا مما دعا فقهاء الإمامية إلى الاقتصار على روايات الأئمة في استنباطهم للأحكام الشرعية ، باعتبارها قد حازت على وثاقة الدليل واصلاته للذين يعتمد عليهما الفقيه ، وقد عرض الامام أبو جعفر عليه السلام إلى روايات الأئمة (ع) وإنها لم تكن منهم وإنما هي مأخوذة عن النبي (ص) يقول (ع) : « لو إننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من قبلنا ، ولكننا حدثنا ببينة من ربنا بينها الثبوت » (ص) فبينها لنا » (٢٣٨) وسئل عن الحديث الذي يرسله ، ولا يسنده فقال (ع) : « إذا حدثت بالحديث فلم أسنده فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (ص) عن جبرائيل عن الله » (٢٣٩) وهل هناك سند أشرق من هذا السند أو أصح منه ؟ وهل يجد المسلم الذي يبتغي وجه الله والدار الآخرة طريقاً يوصله إلى الله أسلم وأضمن من هذا الطريق ؟

(٢٣٨) و (٢٣٩) اعلام الوری (ص ٢٧٠) .

٢ - مرونته:

وفقه أهل البيت يسائر الحياة ، ويواكب التطور ، ولا يشذ عن الفطرة ويتمشى مع جميع متطلبات الحياة ، فليس فيه - والحمد لله - حرج ولا ضيق ، ولا ضرر ، ولا اضرار ، وإنما فيه الصالح العام ، والتوازن في جميع مناحي تشريعاته ، وقد نال إعجاب جميع رجال القانون ، واعترفوا بأنه من أثرى ما قنن في عالم التشريع عمقاً وإصالة وإبداعاً .

إن فقه أهل البيت (ع) ثبت يضيء للباحثين القوة التشريعية الدافعة للتقدم العلمي والحضاري وهو آية للعدل المطلق ، والحق المحض لأنه نابع من صميم الواقع فقد استعرض خلايا جسم الأمة ، فوضع الحلول الحاسمة لجميع مشاكلها .

٣ - فتح باب الاجتهاد :

والشيء الذي تميز به فقه أهل البيت (ع) عن بقية الفقه الاسلامي هو فتح باب الاجتهاد ، فقد دل ذلك على اصالة فقه أهل البيت ، وتفاعله مع الحياة واستمراره في العطاء لجميع شؤون الانسان ، وإنه لا يقف مكتوفاً أمام الاحداث المستجدة التي يبتلي بها الناس خصوصاً في هذا العصر الذي استجدت فيه كثير من الاحداث التي لم تكن موجودة في العصور السابقة كالتلقيح الصناعي ، وغرس الاعضاء ، وغير ذلك من الأمور التي لا يوجد لها حل على غير مائدة فقه أهل البيت ، وقد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر مدى الحاجة الملحة إلى فتح باب الاجتهاد ، ومتابعة الشيعة في هذه الظاهرة يقول احمد أمين : « وقد أصيب المسلمون بحكمهم على أنفسهم بالعجز ، وقولهم : بأقوال باب الاجتهاد لأن معناه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد ، ولا يرجى أن يكون ذلك

في المستقبل ، وإنما قال : هذا القول بعض المقلدين : لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وسوء ظنهم بالناس . . » (٢٤٠)

ويقول السيد رشيد رضا :

« ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما ، وأما مضاره فكثيرة ، وكأها ترجع إلى إهمال العقل ، وقطع طريق العلم ، والحرمان من استغلال الفكر ، وقد أهمل المسلمون كل علم بترك الاجتهاد ، فصاروا إلى ما نرى . . » (٢٤١)

ان الاسلام - والحمد لله - قد نهى على الفكر الجمود ، ودعاه إلى الانطلاق في ميادين الفكر والعلم ، وليس من الحكمة في شيء إقفال باب الاجتهاد وفرض التقليد ، إذ ليس في الاجتهاد إستحالة ، ولا فيه خروج على المنطق والدليل ، وأما إقفال بابه فقد كان في وقت خاص فرضته الحكومات القائمة في تلك العصور - حسبما يقوله المحققون -

٤ - الرجوع إلى حكم العقل :

وانفردت فقهاء الامامية عن بقية المذاهب الاسلامية فأعتبرت العقل إحد المدارك الأربعة لاستنباط الاحكام الشرعية ، وقد أضفت عليه اسمي الوان التقديس فاعتبرته رسول الله الباطني ، وإنه بما يعبد به الرحمن ، ويكتسب به الجنان ، ومن الطبيعي ان الرجوع إلى حكم العقل إذا لم يكن في المسألة نص وإلا فهو حاكم عليه ، وان للعقل مصرحاً كبيراً في علم الاصول الذي يتوقف عليه الاجتهاد ، إذ أكثر مسائل الفقه يستند فيها الفقهاء إلى ما تقتضيه القواعد الاصولية فيها ، وعلى ضوء حكم العقل

(٢٤٠) يوم الاسلام (ص ١٨٩) .

(٢٤١) الوحدة الاسلامية (ص ٩٩) .

فقد حكموا بوجوب مقدمة الواجب ، وإن الأمر بالشئ يقتضي النهي عن ضده ، كما حكموا بحجية الظن المطلق بناء على الحكمة لا على الكشف ، وأرجعوا الخبرين المتعارضين إلى حكم العقل فإن أيد أحدهما فيؤخذ به حسبما دلت عليه الأخبار إلى غير ذلك من المسائل التي يرتبط موضوعها بحكم العقل ، وهذا مما يدعو إلى الاعتزاز والفخر بحيوية الفقه الإمامي وأصالته .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن مميزات الفقه الإمامي .

مسائل فقهية :

وليس من المستطاع لي تدوين ما أثر عن الإمام أبي جعفر (ع) من المسائل الفقهية ، فإن ذلك يستدعي تدوين موسوعة فقهية كبيرة ، فإن معظم أبواب الفقه وبحوثه قد رويت عنه ، إلا أنا تذكر عرضاً موجزاً لبعض المسائل التي أثرت عنه ، وهي :

حكم القتال في الإسلام :

وتحدث الإمام أبو جعفر (ع) عن حكم القتال والحرب في الإسلام حينما سأله راجل من شيعته عن حروب الإمام أمير المؤمنين (ع) فقال له :

« بعث الله محمداً (ص) بخمسة أسياف : ثلاثة منها شاهرة لا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها ، وإن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس كلهم في ذلك اليوم فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، وسيف مكفوف ، وسيف منها مغمود ، سله إلى غيرنا ، وحكمه إلينا .

فأما السيوف الثلاثة الشهيرة : فسيف على مشركي العرب ، قال الله عز وجل : « إقتلوا للمشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » (٢٤٢) « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » (٢٤٣) هؤلاء لا يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الاسلام ، وأموالهم فيء وذرائعهم سبي على ما سن رسول الله (ص) فانه سبي وعفا ، وقبل الفداء .

والسيف الثاني : على أهل الذمة قال الله سبحانه « وقولوا للناس حسناً » (٢٤٤) نزلت هذه الآية في أهل الذمة ، ونسخها قوله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢٤٥) فمن كان منهم في دار الاسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية أو القتل ، ومالهم فيء ، وذرائعهم سبي ، فاذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم وحرمت أموالهم ، وحلت لنا منّاكحتهم (٢٤٦) ومن كان منهم في دار الحرب حل لنا سبيهم وأموالهم ، ولم تحل لنا منّاكحتهم ، ولم يقبل منهم إلا دخول دار الاسلام والجزية أو القتل .

والسيف الثالث : على مشركي العجم كالترك والديلم والخرز ، قال الله عز وجل : في أول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقص قصتهم ،

(٢٤٢) سورة التوبة : آية ٥ .

(٢٤٣) سورة التوبة : آية ١١ .

(٢٤٤) سورة البقرة : آية ٨٣ .

(٢٤٥) سورة التوبة : آية ٣٠ .

(٢٤٦) في التهذيب والكافي « منّاكحتهم » .

ثم قال : « فُضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فأما مناً بعد وأما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها » (٢٤٧) .

فأما قوله : « فأما مناً بعد » يعني بعد السبي منهم « وأما فداء » يعني المفاداة بينهم ، وبين أهل الاسلام ، فهؤلاء لن يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الاسلام ، ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في الحرب .

وأما السيف المكفوف : فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله : « وإن طائفتان من المؤمنين اقاتلتا فاصلحا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » (٢٤٨) فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص) ان منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، فسئل النبي (ص) من هو ؟ فقال : خاصف النعل - يعني أمير المؤمنين - وقال عمار بن ياسر : قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (ص) ثلاثاً (٢٤٩) وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر (٢٥٠) لعلمنا أنا على الحق ، وانهم على الباطل ، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين (ع) مثل ما كان من رسول الله (ص) في أهل مكة يوم فتحها فانه لم يسب لهم ذرية ، وقال : من أغلق بابيه فهو

(٢٤٧) سورة محمد : آية ٤ .

(٢٤٨) سورة الحجرات : آية ٩ .

(٢٤٩) الثلاث : التي قاتل مع تلك الراية الصجابي العظيم عمار بن ياسر هي : يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين ، وكان يتزعم تلك الحروب أبو سفيان عميد الأمويين .

(٢٥٠) هجر : - بالتحريك - بلدة باليمن ، كما إنها اسم لجميع

أرض البحرين .

آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، وكذلك قال أمير المؤمنين (ع) :
يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرية ، ولا تدفنوا على جريح (٢٥١)
ولا تتبعوا مدبراً ، ومن أغلق بابه والقى سلاحه فهو آمن .
والسيف للغمود : فالسيف الذي يقام به القصاص قال الله عز وجل
« النفس بالنفس والعين بالعين » (٢٥٢) فسله إلى أولياء المقتول
وحكمه إليها .

فهذه السيوف التي بعث الله بها محمداً (ص) فمن جرحها أو جرح
واحداً منها أو شيئاً من سيرها فقد كفر بما أنزل الله تبارك وتعالى على
محمد نبيه . . . » (٢٥٣)

واستمد فقهاء المسلمين الأحكام التي رتبوها على قتال أهل البغي من
سيرة الإمام أمير المؤمنين (ع) في حرب الجمل ، كما أخذوا عن أئمة
الهدى (ع) الكثير من الأحكام في هذه المسألة

المسح على الخفين :

وجوز فقهاء المذاهب الإسلامية المسح على الخفين في الوضوء ، ولم يعتبروا
بمسحة اليد لظاهر القدمين (٢٥٤) أما أئمة أهل البيت (ع) فاعتبروا المسح
ولم يسوغوا غيرها ، يقول الربيع : سألت أبا إسحاق عن المسح ؟ فقال :
أدركت الناس يمسحون - يعني على الخفين - حتى لقيت رجلاً من بني

(٢٥١) لا تدفنوا على جريح : أي لا تجهزوا عليه .

(٢٥٢) سورة المائدة : آية ٤٧ .

(٢٥٣) تحف العقول (ص ٢٨٨ - ٢٩٠) ورواه الكليني في فروع

الكافي ، والشيخ الصدوق في الخصال ، والشيخ الطوسي في التهذيب .

(٢٥٤) الخلاف ١ / ١٨ .

ماشم لم أر مثله قط يقال له محمد بن علي بن الحسين فسألته عن المسح ؟
فنهاني عنه ، وقال : لم يكن أمير المؤمنين (ع) يمسح ، وكان يقول :
سبق الكتاب المسح على الخفين (٢٥٥) .

لقد دل الكتاب العظيم على اعتبار المماساة قال تعالى : « وامسحوا
برؤوسكم وأرجلكم » والآية ظاهرة أشد الظهور فيما حكم به أهل البيت
عليهم السلام .

مس الفرج لا ينقض الوضوء :

وذهب الشافعي إلى أن مس الفرج من نواقض الوضوء ، وتمسك بذلك
بما روى عن ابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وسعيد
ابن المسيب ، وسليمان بن يسار من أن مس الفرج من نواقض الوضوء ،
أما الإمام أبو جعفر (ع) وسائر أئمة أهل البيت (ع) فإنهم لا يرون
ذلك ، روى زرارة عن أبي جعفر (ع) أنه قال : « ليس في القبلة ولا
المباشرة ، ولا مس الفرج وضوء » (٢٥٦) ويضاف إلى ذلك ثبوت حكم
الطهارة وجريان استصحابها ، وإن نقضها يحتاج إلى دليل .

الجهر في صلاة الاخفات :

وذهب فقهاء المذاهب الاسلامية إلى أن الجهر في صلاة الاخفات أو
الاخفات في صلاة الجهر متعمداً غير مبطل للصلاة ، أما في فقه مذهب
أهل البيت (ع) فإنه مبطل للصلاة فقد روى زرارة عن الإمام أبي
جعفر (ع) في رجل جهر فيما لا ينبغي الاظهار فيه أو اخفى فيما لا ينبغي
(٢٥٥) روضة الواعظين (ص ٢٤٣) .

(٢٥٦) الخلاف ١ / ٢٣ .

الاخفاء فيه ، فقال (ع) : أن فعل ذلك متممداً فقد نقض صلاته وعليه
الاعادة ، وإن فعل ذلك ناسياً أو ساهياً أو لا يدري فلا شيء عليه وقد
تمت صلاته (٢٥٧) .

الصلاة على آل النبي في التشهد :

وذهب أكثر فقهاء المسلمين الى وجوب الصلاة على النبي (ص) في
التشهد ، وقد روى جابر الجعفي عن الامام أبي جعفر (ع) أنه قال :
قال رسول الله (ص) : « من صلى صلاة لم يصل فيها علي ، ولا على
أهل بيتي لم تقبل منه (٢٥٨) .

هذه بعض المسائل الفقهية التي أدلى بها الامام أبو جعفر (ع) ومعظم
أبواب الفقه اصولاً وفروعاً قد اخذت عنه ، كما ذكرنا ذلك .

علم الاصول :

من العلوم التي فتق أبوابها الامام الباقر (ع) علم الاصول ، وهو من
أجل العلوم الاسلامية بعد علم الفقه لأن الاجتهاد يتوقف عليه فانه لا يكون
المجتهد قد حصل على ملكة الاجتهاد حتى يجتهد في بحوث هذا العلم (٢٥٩) .
وقد اتفق الباحث والعلماء على أن الامام أبا جعفر (ع) هو
السبق من اسس هذا العلم ، وأرسى قواعده ، يقول السيد حسن الصدر :
« ان أول من فتح بابه - أي باب علم الاصول - وفتق مسائله هو باقر
العلوم الامام أبو جعفر محمد بن علي الباقر (ع) وبعده ابنه أبو عبد الله

(٢٥٧) الخلاف ١ / ١٣٠ .

(٢٥٨) الخلاف ١ / ١٣١ .

(٢٥٩) كفاية الاصول الجزء الثاني باب الاجتهاد والتقليد .

الصادق (ع) وقد املينا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعد ومسائله
جمعوا من ذلك مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحثه ككتاب (اصول
آل الرسول) وكتاب « الفصول المهمة في أصول الأئمة » وكتاب « الاصول
الاصيلة » كلها بروايات الثقات مسندة ، متصلة الاسناد إلى أهل البيت
عليهم السلام . » (٢٦٠) .

وفيما يلي بعض القواعد الاصولية التي أسسها الامام (ع) أو نقلها عن
اجداده الطاهرين ، وإليها يرجع الفقهاء عند عدم النص على الحكم الشرعي .
وان كانت الكثير منها قواعد فقهية إلا ان علماء الاصول ذكروها استطراداً
في علم الاصول ونحن نذكرها كذلك .

الاستصحاب :

وهو احد الاصول الأربعة التي يرجع إليها الشاك في مقام العمل ،
أما سبب شكه فيرجع إما إلى فقدان النص أو إجماله ، أو إلى تعارض النصوص
وتساقطها فيما إذا تكافئت ، ولم يكن أحدهما أرجح من الآخر ، ولا يجري
الاستصحاب حتى يتوفر في المستصحب اليقين السابق والشك اللاحق ،
وقد نص الامام (ع) على حجية الاستصحاب في كثير من المسائل التي
سئل عنها خصوصاً في أبواب الشك في الصلاة ، وقد ذكرت تلك الاخبار
في (وسائل الشيعة) وغيرها من الموسوعات الفقهية .

قاعدة التجاوز :

وتعني هذه القاعدة الحكم بوجود الشيء المشكوك به عند الدخول في غيره
بما هو مترتب عليه (٢٦١) كما إذا شك في القراءة وقد ركع ، وقد

(٢٦٠) الشيعة وفنون الاسلام (ص ٩٥) .

(٢٦١) حقائق الاصول ٢ / ٥٤٧ .

تظافرت الاخبار عن الامام الباقر (ع) وولده الامام الصادق (ع) في عدم العناية بالشك والمضي في الصلاة .

قاعدة الفراغ :

وهي عبارة عن الحكم بصحة الفعل الموجود في ظرف الشك في صحته (٢٦٢) وقد استفيدت هذه القاعدة من موثق محمد بن مسلم عن الامام أبي جعفر (ع) قال : « كل ما شككت فيه عما قد مضى فامضه كما هو » (٢٦٣) كما دلت على ذلك صحيحة محمد بن مسلم عنه (ع) جاء فيها « كلما شككت فيه بعدما تفرغ من صلاتك فامض ولا تعد » (٢٦٤) وعلى ضوء الوثيقة والصحيحة اتفق فقهاء الامامية بعدم الاعتناء بالشك في افعال الصلاة بعد الفراغ منها .

قاعدة نفي الضرر :

من القواعد المهمة في التشريع الاسلامي قاعدة « نفي الضرر » ومفادها نفي الحكم المؤدي إلى الضرر - كما يرى ذلك الشيخ الانصاري - ويترتب عليها كثير من الاحكام ذكرها الفقهاء ، وقد نص الامام أبو جعفر (ع) على مدرك هذه القاعدة فقد قال (ع) : لزارة : إن سمرة بن

(٢٦٢) حقائق الاصول ٢ / ٥٤٧ .

(٢٦٣) مستمسك العروة الوثقى ٧ / ٣٥٠ .

(٢٦٤) مستمسك العروة الوثقى ٧ / ٣٤٩ .

جندب (٢٦٥) كان له عذق (٢٦٦) في حائط لرجل من الانصار ، وكان منزل الانصاري بباب البستان ، وكان سمرة يمر إلى نخلته ولا يستأن ، ذكلمه الانصاري أن يستأذن إذا جاء فأبى سمرة فجاء الانصاري إلى النبي (ص) فشكى إليه ، وأخبره بالخبر ، فأرسل رسول الله (ص) إليه وأخبره بقول الانصاري ، وما شكاه ، فقال (ص) : إذا أردت الدخول فاستأذن فأبى ، فلما أبى ساومه حتى بلغ من الثمن ما شاء الله ، فأبى أن يبيعه ، فقال (ص) : لك بها عذق في الجنة ، فأبى أن يقبل ، فقال رسول الله (ص) للأنصاري اذهب فاقلعها وارم بها إليه (٢٦٧) فإنه لا ضرر ولا ضرار (٢٦٨) .

وقد ذكر الاصوليون مفاد هذا الحديث ، وشرحوا مفردات الفاظه ، وما يترتب عليه من الاحكام .

(٢٦٥) سمرة بن جندب الصحابي الكذاب كان من سماسرة معاوية واعوانه على نشر الظلم والارهاب ، امتصمته زياد بن أبيه والياً على البصرة فأسرف في قتل الابرياء فقتل - فيما يقول المؤرخون ثمانية آلاف ، وفي تاريخ الطبري ٦ / ٦٣٢ ان أبا سوار المدوي قال : قتل سمرة من قومي في غداة سبعة واربعين رجلاً من جمع القرآن ، وقد تحدثنا بصورة مفصلة عن جرائمه في كتابنا « حياة الامام الحسن » ١٨٦/٢ - ١٩١ .

(٢٦٦) العذق : - بفتح العين - النخلة ، وبكسرهما عنقود التمر .

(٢٦٧) في رواية للحذاء عن الامام أبي جعفر (ع) : « ما أراك يا سمرة إلا مضاراً اذهب يا فلان فاقلعها وارم بها وجهه ؟ »

(٢٦٨) إيضاح الكفاية ٣ / ٤٣٩ مخطوط للمؤلف .

علاج التعارض :

ووردت أخبار كثيرة عن أئمة أهل البيت (ع) متعارضة في مدلولها بين النفي والایجاب في موضوع واحد ، ومن المعلوم استحالة هذا اللون من التناقض في احاديث الأئمة ، اما سبب التعارض فلا يخلو من أحد أمرين « الأول » صدور أحدهما للتقية ، فقد ابتلي الأئمة الطاهرون بفراغة زمانهم الذين جهدوا على ظلمهم ، والتشكيل بهم وبشيعتهم ، وقد احاطوا بحالهم بمباحثهم لحججهم عن المسلمين ، فكانت ظروفهم قاسية وحرجة ، فاذا سألوا عن مسألة ، وشكوا في أمر السائل أو كان في المجلس من يخافون منه افتوا بالمسألة على وفق رأي الجمهور حذراً من التشكيل ، ومنتهك عن هذه الجهة بالتفصيل في البحوث الآتية « الثاني » أن يكون أحد الخبرين من الموضوعات عليهم فان وضع الحديث وافتعاله قد كثر في تلك العصور ، ومنعروض لذلك عند البحث عن مشاكل عصر الامام .

وكانت معرفة الخبر الصحيح وتميذه عن غيره في مجالات التعارض تهم للمتخرجين في دينهم من الرواة فحققوا إلى الامام أبي جعفر (ع) وسألوه عن ذلك فوضع (ع) البرامج العلاجية لذلك وهي :

١ - الشهرة :

ونعني بها الشهرة في الرواية لا في الفتوى فاذا كان أحد الخبرين المتعارضين مشهوراً بين الرواة فيؤخذ به ، واما الشاذ النادر من الخبرين فيطرح بقول (ع) : لزارة « يا زارة خذ بما اشتهر بين أصحابك ،

ودع الشاذ النادر « (٢٦٩) ومعنى هذا ان الشاذ النادر من الخبرين يطرح ولا يؤخذ به ، ويعمل على الخبر المشهور بين الرواة .

٢ - موافقة الكتاب والسنة :

والمقياس الثاني الذي وضعه الامام أبو جعفر لعلاج التمارض هو عرض الخبرين "تعارضين على الكتاب والسنة فان اتفق أحدهما مع منطوق الكتاب والسنة فيؤخذ به ويطرح الآخر يقول (ع) لبعض أصحابه : « لا تصدق علينا إلا بما يوافق كتاب الله وسنة نبيه » .

٣ - الترجيح بالصفات :

الطريق الثالث : لمعرفة الخبر الصحيح هو النظر في صفات الراوي من حيث الوثاقة والعدالة ، فتقدم روايته على من لا تتوفر فيه هذه الصفات ، يقول الامام أبو جعفر لزواره : « نأخذ بما يقوله أعداؤنا عندك ، وأوثقهما » .

ودلت هذه الرواية على أن عدالة الراوي ووثاقته من موجبات الترجيح لأحد الخبرين المتعارضين على الآخر . . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن القواعد الاصولية التي القاها الامام (ع) في بحوثه ومحاضراته .

بحوث اقتصادية :

وعرض الامام (ع) في محاضراته وسيرته الى أهم للمباحث الاقتصادية ، وهذه بعضها :

(٢٦٩) غوالي اللثالي لأبي جمهور الاحسائي ، رواه عن العلامة مرفوعاً إلى زرارة .

ضرورة تحسين المعيشة :

ودعا الامام (ع) إلى الجد والسعي في طلب المعيشة لينعم الانسان مع عائلته بالرفاه والرخاء ، ويتجنب الفقر والبؤس ، قال (ع) :
« من تسليح لطلب المعيشة خفت مؤنته ، ورخا باله ، ونعم عياله . . »
قال (ع) : « بسمة الخلق تطيب المعيشة . . »
إن التسليح لطلب المعيشة والجد فيها مما يوفر للانسان الحياة الاقتصادية الخافلة بالرخاء والنعم ، وهدوء البال والاستقرار ، وان الحياة إنما تطيب وتنعم اذا كانت في ظلال الرخاء لا في ظلال البؤس والشقاء .

٢ - التحذير من الكسل :

وحذر الامام أبو جعفر (ع) من الكسل لأنه موجب لشل الحركة الاقتصادية وتجميد الطاقات الانسانية ، ونشر الفساد في الأرض ، يقول عليه السلام : « الكسل يضر بالدين والدنيا » (٢٧٠) .
أما ان الكسل يضر بالدين فانه يمنع من ذكر الله واداء فرائضه وواجباته فان الكسول يتقاعس عن الاتيان بالواجبات الدينية ، وأي ضرر اعظم من هذا الضرر ؟ واما إنه يضر بالدنيا فان الكسول - دائماً - يميل إلى الخمول ، ويرغب أن يعيش حياة بائسة تسودها الحاجة والفقر ولا يدخل في ميادين العمل التي تضمن له الرخاء والسعادة .
وحذر (ع) بعض ابنائه من الكسل فقال له : « إياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل شر ، من كسل لم يؤد حقاً ، ومن ضجر لم يصبر على حق . . » (٢٧١)

(٢٧٠) و (٢٧١) تحف العقول .

ان الاسلام - بكل اعتزاز يريد ان يطلق الانسان في هذه الحياة يريد ان يعمل وينتج ، كما يريد له أن يؤدي حقوق الناس ، ويرتبط معهم ، ويؤدي ما عليه من الواجبات ، ومن الطبيعي ان الانسان اذا اصاب بدهاء الكسل فانه يهمل حقوق الله وحقوق الناس .

٣ - مقصد لتارك العمل :

كان الامام أبو جعفر (ع) يمقت تارك العمل لأنه يؤدي إلى ضعف الانتاج ، وزيادة البطالة ، وانتشار الازمات الاقتصادية في البلاد ، يقول (ع) : « اني أجدني امقت الرجل يتعذر عليه المكاسب فيستلقي على قفاه ، ويقول : اللهم ارزقني ، ويدع أن ينتشر في الأرض ، ويلتمس من فضل الله والذرة (٢٧٢) تخرج من جحرها تلتمس رزقها . » (٢٧٣)

٤ - العمل طاعة لله :

وكان الامام أبو جعفر (ع) يرى أن في العمل طاعة لله ، فكان (ع) يعمل بنفسه في اصلاح ارض له ، يقول محمد بن المنذر : خرجت إلى بعض نواحي المدينة ، فلقيني أبو جعفر محمد بن علي (ع) وكان بادنا ثقيلاً ، وهو متكئ على غلامين أسودين ، وموليين ، فقلت في نفسي : سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الحالة ، وفي هذه الساعة يخرج في طلب الدنيا !! أما اني لأعظنه ، فدنوت منه ، فسلمت عليه ، وهو يتصاب عرقاً ، فقلت له :

« أصلحك الله ، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة يخرج لطلب

(٢٧٢) الذرة : النملة الصغيرة .

(٢٧٣) العمل وحقوق العامل في الاسلام الطبعة الثانية (ص ١٣٩) .

الدنيا ١١؟ أرأيت لو جاء أجلك على هذه الحالة ما كنت تصنع؟ ..»
فاجابه الامام بمنطق الاسلام قائلاً :

« لو جاءني الموت ، وأنا في طاعة من طاعات الله عز وجل اصعل
فاكف نفسي وعيالي عنك وعن الناس ، وإنما كنت أخاف لو جاءني
الموت وأنا على معصية من معاصي الله . . »

فخجل محمد ، ولم يطق جواباً ، وانبرى يقول : « صدقت يرحمك الله
أردت أن اعظك فوعظتني . . »

ان العمل طاعة من طاعات الله - على حد تعبير الامام - لأن به كف
النفس ، وكف العيال من الاحتياج عما في أيدي الناس .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض البحوث الاقتصادية التي خاضها
الامام (ع) كما ينتهي بنا الحديث عن العلوم التي عرضها في بحوثه
ومحاضراته .

مركز بحوث وتطوير العلوم الإنسانية

مع العلم والعلماء :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) كثيراً عن أهمية العلم، وحث على
طلبه لأنه الدعامة الأولى الذي ترتكز عليه حياة الأمم والشعوب ، كما
اشاد (ع) بفضل العلماء لأنهم مصدر الوعي والتوجيه للأمة ، وفيما
يلي بعض ما أثر عنه في ذلك .

١ - فضل العلم :

ومجد الامام أبو جعفر (ع) العلم ، ودعا إليه ، وحث على طلبه ،
وأثنى على طلابه ، يقول (ع) :

« تعلموا العلم فان تعلمه الجنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ،

والبحث عنه جهاد ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قرينة ، والعلم منار الجنة ،
وانس الوحشة ، وصاحب في الغربة ، ورفيق في الخلوة ، ودليل على
السراء ، وعون على الضراء ، وزين عند الاخلاء ، وسلاح على الاعداء ،
يرفع الله به قوماً ليجمعهم في الخير أئمة ، يقتدى بفعالهم ، وتقتص آثارهم ،
ويصلي عليهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر
وانعامه . . » (٢٧٤)

لا اعرف كلمة مجدت العلم ، وقيمت أهله ، واحاطت بشمراته وفوائده
ك هذه الكلمة الذهبية التي من حقها أن ترسم في معاهد العلم وجامعاته .

٢ - فضل العالم :

واشاد (ع) بفضل العالم ، وبين مكانته الاجتماعية ، وما أعد الله
له من مزيد الأجر ، وفيما يلي بعض ما أثر عنه .

أ - قال (ع) : « عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد . . » (٢٧٥)

ب - قال (ع) : « من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ،
ولا ينقص اولئك من أجورهم شيئاً ، ومن علم باب ضلالة كان عليه مثل
وزر من عمل به ولا ينقص اولئك من أوزارهم شيئاً . . » (٢٧٦)

ج - قال (ع) : « ما من عبد يغدو في طلب العلم ويروح إلا
خاض الرحمة خوضاً . . » (٢٧٧)

(٢٧٤) تذكرة ابن سعدون (ص ٢٦) .

(٢٧٥) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٣٢ ، جامع السعادات ١ / ١٠٤ ،

تحف العقول (ص ٢٩٤) .

(٢٧٦) أصول الكافي ١ / ٣٤ .

(٢٧٧) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٥ .

٣ - مجالسة العلماء والمتقين :

وحدث الامام (ع) على مجالسة العلماء والمتخرجين في دينهم الاستفادة من هديهم وسلوكهم يقول (ع) : « لمجلس أجلسه الى من أثق به ، أوثق في نفسي من عمل سنة .. » (٢٧٨)

٤ - مذاكرة العلم :

ودعا (ع) الى المذاكرة في العلوم لأنها تفتح آفاقاً واسعة في ميادين المعرفة والعلم يقول (ع) : « تذاكر العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة . » (٢٧٩)

٥ - آداب المتعلم :

ووضع (ع) البرامج الرائعة لأداب المتعلمين يقول (ع) : « إذا جلست الى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول : وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه ... » (٢٨٠)

٦ - بذل العلم :

ودعا (ع) الى بذل العلم وإشاعته بين الناس حتى لا يبقى جاهل يقول (ع) : « زكاة العلم أن تعلمه عباد الله » (٢٨١) وقال (ع) : « ان الذي تعلم العلم منكم له أجر مثل الذي يعلمه ، وله الفضل عليه ،

(٢٧٨) أصول الكافي ١ / ٣٤ .

(٢٧٩) أصول الكافي ١ / ٤١ .

(٢٨٠) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٥ .

(٢٨١) أصول الكافي ١ / ٤١ .

ثم ادعوا العلم من حملة العلم ، وعلموه أخوانكم كما علمكم العلماء » (٢٨٢) .

٧ - الحث على التعلم :

وحدث الامام على التعلم والسؤال من أهل العلم يقول (ع) : « العلم خزان والمفاتيح السؤال ، فاسألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر في العلم أربعة السائل والمتكلم ، والمستمع ، والمحِب لهم . » (٢٨٣)

٨ - التفقه في الدين :

ودعا (ع) الى التفقه في الدين ، ومعرفة الحلال والحرام ، قال (ع) : « الكمال كل الكمال التفقه في الدين ، والصبر على النائية ، وتقدير المعيشة . » (٢٨٤)

إن التفقه في الدين بما يحفظ توازن الانسان وسلوكه ، ويبعده عن اقتراف أي شذوذ أو انحراف عن الدين .

٩ - العمل بالعلم :

وحدث (ع) أهل العلم بتطبيق ما علموه على واقع حياتهم ، يقول عليه السلام : « اذا سمعتم العلم فاستعملوه ، واتسع قلوبكم ، فإن العلم إذا كثر في قلب رجل لا يحتمله قدر الشيطان عليه ، فاذا خاصمكم الشيطان ، فاقبلوا عليه بما تعرفون ، فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً ، فقال له ابن أبي ليلى : وما الذي نعرفه ؟ قال (ع) : خاصموه بما ظهر

(٢٨٢) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٥ .

(٢٨٣) الخصال (ص ٢٢٣) .

(٢٨٤) أصول الكافي ١ / ٣٢ .

لكم من قدرة الله عز وجل . » (٢٨٥)

١٠ - قبول العمل بالمعرفة :

والمعرفة شرط في قبول العمل ، فمن يعمل من دون معرفة الله ولا للواجب الذي يؤديه فلا أثر لعمله قال (ع) : « لا يقبل عمل إلا بمعرفة ، ولا معرفة إلا بعمل ، ومن عرف دلته معرفته على العمل ، ومن لا يعرف فلا عمل له . . » (٢٨٦)

١١ - ذم المباهاة بطلب العلم :

وحذر الامام أبو جعفر (ع) من المباهاة والافتخار بطلب العلم ، وحث أهل العلم ان يجهدوا نفوسهم على التقرب به إلى الله ، وأن يلتمسوا به الدار الآخرة قال (ع) : « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء ، أو يعرف به وجوه الناس فليتبؤ مقعده من النار ، ان الرياسة لا تصلح إلا لأهلها . . » (٢٨٧)

ان هذه الدواعي الفاسدة ، والافراض السقيمة لتحبط الأجر الجزيل الذي أعده الله لطلاب العلم الديني الذي هو داعية الله في الأرض ، وعليه ان أراد النجاح في الدنيا والسعادة في الآخرة ان يخلص في نيته لله ، ولا يبتغي غير وجهه .

١٢ - الفتوى بغير علم :

واثرت عن الامام أبي جعفر (ع) عدة احاديث تنهى عن الفتيا

(٢٨٥) أصول الكافي ١ / ٤٥ .

(٢٨٦) تحف العقول (ص ٢٩٤) .

(٢٨٧) أصول الكافي ١ / ٤٧ ، جامع السعادات ١ / ١٠٦ .

بغير علم لأنها مصدر لغواية الناس وضلالهم ، وهذه بعض ما أثر عنه .

أ - قال (ع) : « من افق الناس بغير علم ، ولا هدى لعنته ملائكة

الرحمن وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه . . » (٢٨٨)

ب - قال (ع) : « ما علمتم فقولوا : وما لم تعلموا فقولوا : الله

اعلم ، ان الرجل ينتزع الآية من القرآن يخر فيها أبعد ما بين السماء

والأرض . . » (٢٨٩)

ج - سأل زرارة الامام أبا جعفر (ع) فقال له : ما حق الله على

العباد ؟ قال (ع) : « ان يقولوا ما يعلمون ، ويقفوا عندما لا يعلمون . . » (٢٩٠)

د - قال (ع) : « للعالم اذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول :

الله أعلم وليس لغير العالم أن يقول ذلك . . » (٢٩١)

١٣ - صفات العالم :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) في كثير من احاديثه عن صفات

العلماء وهذه بعضها :

أ - قال (ع) : « لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن

فوقه ، ولا محقراً لمن دونه . . » (٢٩٢)

ان العالم إنما يكون عالماً فيما إذا صفت نفسه من الحسد الذي هو

من اعظم الآفات النفسية ، فهو الذي يلقي الناس في البلاء ، ويجرلهم

(٢٨٨) اصول الكافي ١ / ٤٢ .

(٢٨٩) اصول الكافي ١ / ٤٣ .

(٢٩٠) اصول الكافي ١ / ٤٢ .

(٢٩١) تحف العقول (ص ٢٩٧) .

(٢٩٢) تحف العقول (ص ٢٩٤) .

الويلات والخطوب ، كما ان العالم لا يكون عالماً فيما إذا احتقر من
دونه فإنه ينم عن عدم انتفاعه بالمسلم الذي يدعو الى تكريم الناس ،
ومقابلتهم بالاخلاق الرفيعة ، فان الرسول (ص) إنما بعث ليتمم مكارم
الاخلاق ، وإذا تجرد العالم من هذه الظاهرة فقد شذ عن سنن
الرسول (ص) واخلاقه .

ب - قال (ع) : « ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الآخرة ، المتمسك بسنة النبي (ص) . » (٢٩٣)

ج - قال (ع) : إذا رأيتم القاريء - اي العالم - يحب الاغنياء
فهو صاحب دنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو
لص . . » (٢٩٤)

ان حب العالم للأغنياء إنما هو للطمع في أموالهم ، وما يستفيد منه
وهذا ليس من اخلاق العلماء الذين أمروا أن يرجوا ما عند الله ، ولا
يرجون غيره ، وأما ملازمة السلطان من غير حاجة ، ولا ضرورة فإنه
ينم عن عدم واقعية ذلك العالم ، وانه لص - على تعبير الامام - وهجا
بمخمود الوراق العلماء الذين لازموا دوائر السلطان يقول :

ركبوا المراكب واغتسدوا	زمرأ الى باب الخليفة
وصلوا البكور الى الرواح	ليبلغوا الرتب الشريفة
حتى إذا ظفروا بما طلبوا	من الحال اللطيفة
وغدا الموالى منهم فرحاً	بما تهوى الصحيفة
وتصنفوا من تحتهم	بالظلم والسير العنيفة

(٢٩٣) أصول الكافي ١ / ٧٠ .

(٢٩٤) الامام الصادق (ص ٢٤) لأبي زهرة .

نخافوا الخليفة عمده
 باعوا الامانة بالخيانة
 عقدوا الشحوم واهزلوا
 ضاقت قبور القوم وات
 من كل ذي أدب ومه
 متفقه جمع الحديد
 فأتاك يصلح للقض
 لم ينتفع بالعلم اذ
 نسي الاله ولاذ في
 بتعسف الطرق للمخوفة
 واشتروا بالأمن جيفة
 تلك الامانات السخيفة
 سعت قصورهم المنيفة
 رفة وآراء حصيفة
 ث الى قياس أبي حنيفة
 ساء بلحيفة فوق الوظيفة
 شغفته دنياه الشغوفة
 الدنيا بأسباب ضعيفة (٢٩٥)

ويقول أبو العتاهية في هجائهم :
 عجباً لأرباب العقول والحرص في طلب الفضول
 سلاب اكسية الارامل واليتامى والكهول
 والجامعين المكثريين من الخيانة والغلول
 والمؤثرين لدار رحلتهم على دار الحلول
 وضعوا عقولهم من الد نيا بمدرجة السيول
 ولموا بأطراف الفر وع واغفلوا علم الاصول
 وتبعوا جمع الخط ام وفارقوا أثر الرسول (٢٩٦)

وبهذا ينتهي بنس الحديث عما أُرر عن الامام (ع) في فضل العلم
 وتكريم حملته ، وما ينبغي أن يتصفوا به من معالي الاخلاق ليكونوا
 قدوة للأمة .

(٢٩٥) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٢٠١ .

(٢٩٦) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٢٠١ .

في رحاب الايمان :

وحال الامام أبو جعفر (ع) في احاديثه حقيقة الايمان ، ومراتبه ، تحدث عن صفات المتقين ، ونعم الله عليهم ، وغير ذلك ، وهذا بعض ما أثر عنه .

١ - حقيقة الايمان :

وحدد الامام (ع) حقيقة الايمان بقوله : « الايمان ثابت في القلوب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كانه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كانه خرقة بالية . . » (٢٩٧)

إن الايمان إذا استقر في اعماق القلوب ودخائل النفوس فانها تكون في صلابتها كزبر الحديد فتتحمل الأهوال ، وتخوض الشدائد في سبيل ما تذهب إليه ، وقد كان ذلك الايمان الراسخ هو السميت البارز في سيرة الانبياء والعظماء والمصلحين الذين قدموا ارواحهم قرابين لمبادئهم وآرائهم . وإذا خرج اليقين من القلب فان يكون خرقة بالية فقد ارادته واختياره ، وصار خالياً من الشعور والاحساس .

٢ - مراتب الايمان :

وتحدث الامام (ع) عن مراتب الايمان بقوله : « ان المؤمنين على منازل ، منهم على واحدة ، ومنهم على اثنتين ، ومنهم على ثلاث ، ومنهم على اربع ، ومنهم على خمس ، ومنهم على ست ، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة اثنتين لم يقو ، وعلى صاحب الاثنتين ثلاثاً لم يقو ، وعلى صاحب الثلاث اربعا لم يقو ، وعلى صاحب الاربع خمسا لم يقو ، وعلى

(٢٩٧) حلية الاولياء ٣ / ١٨٠ .

صاحب الخمس متا لم يقو ، وعلى صاحب الست سبعا لم يقو ، وعلى هذه الدجارت . « (٢٩٨)

ان مرتب اليقين والمعرفة بالله متفاوتة كأشد ما يكون التفاوت فقد احاط الله تعالى ببعض انبيائه علماً بأسرار الكون وحقائق الوجود وما يحدث في هذه الدنيا من الاحداث بما لم يحط به غيرهم من الانبياء لأنهم لا يقوون على حملها ، ومن هذا القبيل كان الامام أمير المؤمنين (ع) الذي هو باب مدينة علم النبي (ص) ومستودع أسرارهِ وحكمه قد احاط ببعض حواريه كميثم التمار علماً بما سيجري عليه من الخطوب والكوارث من بني أمية ، واطلعه على كثير من الأسرار ، وعلى ما سيجري في آخر الزمان في حين أنه لم ينخبر بذلك عبد الله بن عباس وهو حبر الأمة لعلمه (ع) بعدم قدرته على تحملها .

وعلى مقدار الايمان كانت محن الانبياء والمصلحين من قبل طواغيت زمانهم متفاوتة وكان أشدهم ابتلاءً وأعظمهم محنة النبي محمد (ص) فقد أودى من قبل طواغيت قريش وجهالها بما لم يؤذه أي نبي من انبياء الله ، وأودى (ص) من بعد وفاته بعترته فقد عانت من الظلم والتكيد ما يقسم الاصلاب ويذهل الألباب ، فلم تراع حرمة (ص) في عترته فلم يمتض على وفاته إلا خمسون عاماً وإذا برؤوس ابنائه على الحراب ، وبناته سبايا من بلد الى بلد ، فأني محنة وأي بلاء اعظم من هذه المحنة وهذا البلاء ؟

٣ - صفات المتقين :

وتحدث (ع) في جملة من أحاديثه عن معالي صفات المتقين ، وهذا

(٢٩٨) أصول الكافي باب درجات الايمان .

بعض ما أثر عنه .

أ - قال (ع) : « أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم معونة ، إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله . . » (٢٩٩)

وهذه صفات الافذاذ الذين هم قوة الانسانية ومثلها الأعلى ، وقادتها الى سبيل الرشاد .

ب - قال (ع) : « إنما المؤمن إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل ، وإذا سخط لم يخرج منه سخطه من قول الحق : والمؤمن إذا قدر لم تخرجه قدرته الى التعدي الى ما ليس بحق . . » (٣٠٠)
ان من اميز صفات المؤمن بربه ان يكون متماسكاً في شخصيته ، ومتميزاً في سلوكه ، بدرائده الحق في جميع حالاته وشؤونه .

ج - قال (ع) : « الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فاذا وصلا الى مكان فيه التوكل استوطناه . . » (٣٠١)
ونظم هذه الحكمة الرائعة الياضي بقوله :

يجول الغنى والعز في قلب مؤمن فان الفيا جوف القلوب توكل
أقاما فأمدى العبد بالله ذاعنا عزيزاً وان لم يلقياه ترحلا (٣٠٢)

د - الفرق بين الايمان والاسلام :

وتحدث (ع) عن الفرق بين الايمان والاسلام فقال : « الايمان

(٢٩٩) شذرات الذهب ١ / ١٤٩ .

(٣٠٠) الحُصَال (ص ١٠١) .

(٣٠١) صفة الصفوة ٢ / ٦١ .

(٣٠٢) مرآة الجنان ١ / ٢٤٨ .

ما كان في القلب ، والاسلام ما عليه التناكح ، والتوارث ، وحقت به
 الدماء ، والايمان يشرك الاسلام ، والاسلام لا يشرك الايمان . « (٣٠٣)
 ان الايمان يقيم في ضمائر المتقين والمنيبين الى الله تعالى ، به يخشونه
 ويخافون عقابه ، فلا يتركون واجباً ، ولا يقتفون اثمياً ، أما الاسلام
 فهو التلفظ بكلمة التوحيد ، واذا نفذ الى اعماق القلب صار للمسلم مؤمناً
 وإلا فلا ، والى هذا تشير الآية الكريمة ، « قالت الاعراب آمنا قل لم
 تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم . » (٣٠٤)
 وصرح (ع) بكلام آخر عن الفرق بينهما يقول (ع) : « الايمان
 اقرار وعمل ، والاسلام اقرار بلا عمل . » (٣٠٥)

هـ - عطاء الله للمؤمنين

ومنح الله المؤمنين المزيد من الطافه وفضله ، وقد تحدث الامام (ع)
 عن العطاء الذي افاضه عليهم بقوله : « ان الله اعطى المؤمن ثلاث خصال :
 العز في الدنيا في دينه ، والفلاح في الآخرة ، والمهابة في صدور
 العالمين . . » (٣٠٦)

هذه بعض احاديثه عن حقيقة الايمان وواقعه .

مع الشيعة :

وكان الامام أبو جعفر (ع) وسائر أئمة أهل البيت (ع) حريصين
 كل الحرص على أن تكون شيعتهم مقتدين بهديهم ، ومتميزين في سلوكهم ،

(٣٠٣) تحف العقول (ص ٢٩٧) .

(٣٠٤) سورة الحجرات : آية ١٤ .

(٣٠٥) تحف العقول (ص ٢٩٧) .

(٣٠٦) الخصال (ص ١٣٣) .

ومتورعين في مكاسبهم ومتحرجين في أمور دينهم كأشد ما يكون التحرج ليكونوا قدوة لبقية المسلمين بما يحملونه من طاقات اسلامية مشرقة ، تضيء الطريق ، وتهدى الخائر ، وتدل على واقع أهل البيت (ع) وقد أثر عن الامام الصادق (ع) أنه قال لبعض شيعته بما مضمونه كونوا زيناً لنا ، ولا تكونوا شيناً علينا ، حتى يقول القائل : رحم الله جعفر ابن محمد قد أدب شيعته ، ورأى الامام موسى بن جعفر (ع) بعض شيعته قد شذ في سلوكه ، وارتكب ما حرم الله ، فوجه (ع) إليه هذه النصيحة الرائعة قائلاً له : « إن الحسن من كل أحد حسن ، ومنك أحسن ، والقبيح من كل أحد قبيح ومنك أقبح نظراً لاتصالك بنا أهل البيت » (٣٠٧) .

أما الامام أبو جعفر (ع) فقد أهتم كأشد ما يكون الاهتمام في تربية الشيعة وتهذيبهم ، وقد وجه لهم النصائح الرفيعة ، والتعاليم الكريمة التي يجب أن يسيروا عليها ، ويقتدوا بها ، وهذا بعض ما أثر عنه .

١ - وصيته لشيعته :

ان من الواجب على من انتحل مبدء أهل البيت (ع) أن يأخذ بهذه الوصية الخالدة ويعمل بما تضمنته من بنود مشرقة ليكون مثلاً للأنسانية ، وانموذجاً يقتدى به ، وهذا نص وصيته :

« يا معشر شيعتنا ، اسمعوا وافهموا وصايانا ، وعهدنا الى اوليائنا ، اصدقوا في حديثكم ، وبروا في ايمانكم لأوليائكم واعداؤكم ، وتواسوا باموالكم ، وتحابوا بقلوبكم ، وتصدقوا على فقرائكم ، واجتمعوا على امركم ، ولا تدخلوا غشاً ولا خيانة على أحد ، ولا تشكوا بعد اليقين ،

(٣٠٧) حياة الامام موسى بن جعفر .

ولا تولوا بعد الاقدام جبناً ، ولا يول أحدكم أهل مودته قفاه ، ولا تكونون
شهوكتكم في مودة غيركم ، ولا مودتكم في سواكم ، ولا عملكم لغير
ربكم ، ولا إيمانكم وقصدكم لغير نبيكم ، واستعينوا بالله ، واصبروا
فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

واضاف (ع) قائلاً :

إن أولياء الله وأوليائه رسوله من شيعتنا من إذا قال : صدق وإذا
وعد وفى ، وإذا أوتى من أدى ، وإذا حمل احتمل في الحق ، وإذا سئل الواجب
أعطى ، وإذا أمر بالحق فعل ، شيعتنا من لا يعدو علمه سمعه ، شيعتنا
من لا يمدح لنا معيباً ، ولا يواصل لنا مبغضاً ، ولا يجالس لنا خائناً ،
إن لقي مؤمناً أكرمه ، وإن لقي جاهلاً هجره ، شيعتنا من لا يهر هرير
الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب ، ولا يسأل أحداً إلا من أخواته وإن
مات جوعاً ، شيعتنا من قال : بقولنا ، وفارق محبته فينا ، وادنى البعداء
في حبنا ، وأبعد الغرباء في بغضنا .

وبهر بعض الجالسين من وصف الإمام لشيعته وراح يقول له :
« أين يوجد مثل هؤلاء ؟ »

فأجابه الإمام :

« في أطراف الارضين ، أولئك الخفيض عيشهم ، القررة أعينهم ،
إن شهدوا لم يعرفوا ، وإن غابوا لم يفتقدوا ، وإن مرضوا لم يعادوا ، وإن
خطبوا لم يزوجوا ، وإن وردوا طريقاً تنكبوا ، وإذا خاطبهم الجاهلون
قالوا : سلاماً ، ويبيتون لربهم سجداً وقياماً .

وراح بعض الجالسين يندد بالشيعة من عاصروا الإمام قائلاً :
« يا بن رسول الله : وكيف بالمتشيعين بالسنتهم وقلوبهم على خلاف

وانبى الامام فاجابه :

« للتخصيص ياتي عليهم بسنين تفنيهم ، وضفائن تبيدهم واختلاف يقتلهم ، اما والذي نصرنا بأيدي ملائكته ، لا يقتلهم الله الا بايديهم ، فعليكم بالاقرار اذا حدثتم ، وترك الخصومة فانها تقصيكم ، واياكم أن يبعثكم قبل وقت الأجل فتظل دماؤكم وتذهب أنفسكم ويذمكم من ياتي بعدكم وتصيروا عبرة للناظرين ، وان أحسن الناس فعلاً من فارق أهل الدنيا من والد وولي ونصيح ، وكافى لخوانه في الله وان كان حبشياً أو زنجياً ، وإن كان لا يبعث من المؤمنين أسود ، بل يرجعون كالبرد قد غسلوا بماء الجنان ، واصابوا النعيم المقيم ، وجالسوا الملائكة المقربين ، ورافقوا الانبياء المرسلين ، وليس من عبد اكرم على الله من عبد شرد وطرد في الله حتى يلقي الله ، على ذلك شيعة المندرون في الارض سرج وعلامات ، ونور لمن طلب ما طلبوا وقادة لأهل طاعة الله ، شهداء على من خالفهم ممن ادعى دعواهم ، سكن لمن اتاهم ، لطفاء بمن والاهم ، سمحاء ، اعفاء ، رحاء ، فذلك صفتهم في التوراة والانجيل والقرآن العظيم .

ان الرجل العالم من شيعةنا اذا حفظ لسانه ، وطاب نفساً بطاعة اوليائه واظهر المكائدة لعدوه بقلبه ، ويفدو حين يفدو وهو عارف بعيوبهم ، ولا يبيدي ما في نفسه لهم ، ينظر بعينه الى اعمالهم الرديئة ، ويسمع بأذنه مساوئهم ، ويدعو بلسانه عليهم ، مبغضوهم اوليائه ، ومحبوهم اعداءه . . . »
وانطلق رجل من الحاضرين فقال للامام :

« بأبي أنت وأمي ما ثواب من وضفت اذا كان يمشي آمناً ، ويصبح آمناً ويبيت محفوظاً ، فما منزلته وثوابه ؟ . . . »
فقال (ع) :

«تؤمر السماء باظلاله ، والأرض باكرامه ، والنور ببرهانه . . »

فقليل للامام :

« فما صفته في الدنيا ؟ »

قال (ع) : « إن سئل أعطى ، وإن دعي أجاب ، وإن طلب أدرك ،

وإن نصر مظلوماً أعز . . » (٣٠٨)

لا اكاد اعرف وصية أثرت عن أئمة المتقين مثل هذه الوصية الحافلة
بالتعاليم الرفيعة التي تسمو بالانسان ، وترفعه الى أرقى ما يصل إليه الأبرار
والمتقون ففيها الدعوة الى التحلي بالأخلاق الكريمة ، والتجنب عن
مساوىء الاخلاق والتخلي عن النزعات السيئة ، وإرساء المسلمون على ضوئها
لكانوا سادة الأمم ، وقادة الشعوب .

إن هذه الوصية من كنوز الاسلام ، وهي تحمل جوهره وواقعه ، وما
ينشده من خير ورحمة وهدى الى الناس ، فمن حق كل مسلم أن يجعلها
منهاجاً يسير عليها في حياته .

٢ - الشيعة الأوائل :

واشاد الامام أبو جعفر (ع) بالشيعة الأوائل ، وبين معالي اخلاقهم
وما اتصفوا به من الصفات الرفيعة والخيرة فقال (ع) :

« أوليائونا ، وشيعتنا فيما مضى خير من كانوا فيه ، إن كان امام
مسجد في الحي كان منهم ، وإن كان مؤذن في القبيلة كان منهم ، وإن كان
صاحب وديعة كان منهم ، وإن كان صاحب امانة كان منهم ، وإن كان عالم
في الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم . . » (٣٠٩)

(٣٠٨) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٣ - ٢٢٥) .

(٣٠٩) دعائم الاسلام ١ / ٧١ .

وأملت هذه الوصية بما اتصفت به الشيعة الأوائل من النسك والورع والتقوى والحريجة في الدين حتى نالوا ثقة الناس فأتعوا بهم في صلاتهم ، وائتمنواهم على أموالهم ودينهم ، وقد عرفوا بهذا السميت من الورع والصلاح ، وذاع عنهم ذلك ، ومن طريف ما ينقل ان شيعياً مثل شامداً أمام القضاء فرد القاضي عليه شهادته لأنه من الرافضة ، فغرق في البكاء فبهر القاضي ، وتوهم ان بكاء لرد شهادته ، وسأله عن ذلك فاجابه بما مضمونه انك حدثت عن الحق فنسبتني الى طائفة لا ينتسب اليها الا الانبياء والملتقون .

٣ - صفات الشيعة :

وأدلى (ع) في كثير من احاديثه عن الصفات الرفيعة التي ينبغي أن يتحلى بها من انتحل مذهب أهل البيت (ع) ، وهذا بعض ما أثر عنه .
١ - قال (ع) : « ما شيعتنا إلا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع ، والتخشع ، وإداء الامانة ، وصكثرة ذكر الله ، بالصوم والصلاة والبر بالوالدين ، وتعهد الجيران من الفقراء ، وذوي المسكنة ، والغارمين والايتام ، وصديق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس إلا من خير ، وكانوا امناء عشائريهم في الاشياء .. » (٣١٠) ولا يتحلى بهذه الصفات إلا الأبرار والملتقون الذين يخشون الله ، ويخافون عقابه .

٢ - قال (ع) : « إنما شيعة علي (ع) للمتباذلون في ولايتنا ، المتحابون في مودتنا ، المتزاورون لاحياء أمرنا ، الذين اذا غضبوا لم يظلموا واذا رضوا لم يسرفوا ، بركة على من جاورهم ، وسلم لمن خالطوا .. » (٣١١)

(٣١٠) تحف العقول (ص ٢٩٥) .

(٣١١) تحف العقول (ص ٣٠٠) .

ومن توفرت فيهم هذه الصفات من الشيعة فإنهم يكونون بركة ورحمة لمن جاورهم ، وأمننا وسلمنا لمن خالطهم اذ لا تصدر منهم بادرة من بؤادر الظلم سوى الخير العميم الى الناس .

٣ - وتحدث (ع) مع أبي المقدم عن شيعة الامام أمير المؤمنين (ع) وما اتصفوا به من معالي الاخلاق قال (ع) : « يا أبا المقدم إنما شيعة علي الشاحبون ، الناحلون ، الذابلون ، ذابطة شفاههم ، خميصة بطونهم ، متفرة ألوانهم ، مصفرة وجوههم ، اذا جنهم الليل اتخذوا الأرض فراشاً ، واستقبلوا الأرض بجنباهم ، كثير سجودهم ، كثيرة دموعهم ، كثير دعاؤهم ، كثير بكائهم ، يفرح الناس وهم يحزنون . . » (٣١٢) وهذه صفات عباد الشيعة ونسألكم امثال عمار بن ياسر ، وأبي ذر ، وحجر بن عدي ، وميشم التمار ، ونظراؤهم من هداة هذه الأمة وقادتها .

٤ - نصائحه للشيعة :

وزود الامام أبو جعفر الشيعة بكثير من نصائحه الرفيعة وتهاليمه القيمة ومن بينها .

أ - روى جابر بن يزيد الجعفي قال : كنا جماعة فدخلنا على أبي جعفر (ع) بعد ما قضينا مناسكتنا فودعنا ، وقلنا له : اوصنا بشيء يا ابن رسول الله (ص) فوجه (ع) لهم هذه النصيحة القيمة قال (ع) : « ليعن قويكم ضعيفكم ، وليعطف غنيكم على فقيركم ، ولينصح الرجل أخاه كنصيحته لنفسه ، واكتموا اسرارنا ، ولا تحملوا الناس على أعناقنا ، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا ، فان وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به ، وإن لم تجدوه موافقاً فردوه ، وإن اشتبه عليكم الأمر فقفوا عنده ، وردوه

(٣١٢) الخصال (ص ٤١٣) .

إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا . . . » (٣١٣)

لقد أوصاهم بمعمالي الاخلاق ، ودلهم على ما يصلحهم في دنياهم
وآخرتهم ، كما أوصاهم بعرض ما أثر عن الأئمة من الاخبار على كتاب
الله فما وافقه فيأخذون به ، وما شذ عنه فيطرحونه ، وإنما عهد لهم بذلك
لأن كثيراً من الاخبار قد افتعلت عليهم ، فقد وضعها من لا حريجة له في
الدين لتشويه واقع أهل البيت (ع) وتشويه احكامهم .

ب - قال (ع) : « عليكم بالورع والاجتهاد ، وصدق الحديث ،
وإداء الامانة إلى من ائتمنكم برأ كان أو فاجراً ، فلو أن قاتل علي بن
ابن أبي طالب ائتمني على امانة لأديتها إليه . . . » (٣١٤)

وهل هناك اسمى وارفح من هذه النصائح القيمة التي تنشد خير
الانسان وتوازنه في سلوكه مع الناس .

ج - وأوفد (ع) بعض أصحابه إلى جماعة من شيعة ، وأمره أن
يبلغهم بما يلي :

قال (ع) : « بلغ شيعتنا عنا السلام ، وأوصهم بتقوى الله العظيم ،
وبأن يعود غنيهم على فقيرهم ، ويعود صحيحهم علىليلهم ، ويحضر حييهم
جنازة ميتهم ويتلاقوا في بيوتهم فإن لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا .
رحم الله امرأ احيا أمرنا ، وعمل بأحسنه ، وقل لهم : إنا لن نغني
عنهم من الله شيئاً إلا بعمل صالح ، ولن ينالوا ولايتنا إلا بالورع
والاجتهاد ، وإن أشد الناس حسرة يوم القيامة لمن وصف عملاً ثم

(٣١٣) ضياء العالمين الجزء الثالث مخطوط .

(٣١٤) تحف العقول (ص ٢٩٩) .

خالفه الى غيره . « (٣١٥)

لقد اوصاهم بالخير بجميع رحابه ومفاهيمه ، وأمرهم بالتماسك ،
والتضامن ، وما يصون جماعتهم من الاختلاف والفرقة .

د - قال (ع) : « رحم الله عبداً حبيبنا إلى الناس ، ولم يبغضنا
إليهم ، أما والله لو يروون عنا ما نقول : ولا يحرقونه ، ولا يبدلونه علينا
برأيهم ما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء ، ولكن أحدهم يسمع الكلمة
فينييط إليها عشراً ويتأولها على ما يراه ، فرحم الله عبداً سمع من مكنون
سرنا فدقنه في قلبه . . . والله لا يجعل الله من عادانا ومن تولانا في دار
واحدة . » (٣١٦) .

وحذر (ع) بهذا الحديث من تحريف اخبارهم وتبديلها لأنها تعود
بالاضرار البالغة على أهل البيت (ع) فإن فيها تشويهاً لسيرتهم وواقعهم .



هـ - حب أهل البيت !

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) في جملة من أحاديثه مع جماعة من
شيعة عن حب أهل البيت (ع) وما يترتب عليه من مزيد الأجر عند
الله تعالى ، وفيما يلي ذلك :

١ - وفد عليه جماعة من شيعة من خراسان ، فنظر (ع) الى رجل
منهم ، وقد تشققت رجلاه فقال (ع) له : ما هذا ؟ فقال : بعد للمسافة
يا بن رسول الله ، والله ما جاءني من حيث جئت إلا محبتكم أهل البيت ،
فقال (ع) :

« ابشر فأنت والله معنا تحشر . »

(٣١٥) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٣) .

(٣١٦) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٣) .

وطار الخرساني فرحاً وراح يقول :

« معكم يا بن رسول الله ؟ . . »

قال (ع) : « نعم ما أحبنا عبد إلا حشره الله معنا ، وهل الدين إلا الحب ، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » (٣١٧) .

٢ - وفسد زياد الأسود على الامام أبي جعفر (ع) وقد قصده من مسافة طويلة ، ومكان بعيد ، وقد جهد في طريقه من كثرة السير حتى تشقت رجلاه فقال له الامام أبو جعفر :

« ما هذا يا زياد ؟ . »

فقال زياد : يا مولاي أقبلت على بكر لي (٣١٨) ضعيف فمشيت عامة الطريق ، وذلك إنه لم يكن عندي ما أشتري به مسناً وانما ضمنت شيئاً إلى شيء حتى اشتريت هذا البكر .

ورق الامام أبو جعفر (ع) على حاله ، وجرت دموع عينيه ، وقال له زياد : جعلني الله فداك ، اني والله كثير الذنوب مسرف على نفسي ، حتى ربما قلت : قد هلك ، ثم اذكر ولايتي إياكم وحيي لكم أهل البيت فأرجو بذلك المغفرة ، فاقبل عليه الامام بوجهه وقال له بعطف وحنان : « سبحان الله ١١ وهل الدين إلا الحب ، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : « حبيب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم » (٣١٩) وقال :

(٣١٧) عيون الاخبار وفتون الآثار (ص ٢٢٦) .

(٣١٨) البكر : الفتي من الأبل .

(٣١٩) سورة الحجرات : آية ٧ .

« ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (٣٢٠) وقال : « يحبون من هاجر اليهم » (٣٢١) ان اعرابياً اتى النبي (ص) فقال : يا رسول الله اني احب المصلين ولا اصلي ، واحب الصائمين ولا اصوم ، يعني لا اصلي ولا اصوم التطوع - أي المندوب - فقال له رسول الله : (أنت مع من احببت) . . ما الذي تبغون ؟ أما والله لو وقع أمر يفرع الناس له ما فرعتم إلا إلينا ، ولا فرعنا إلا إلى نبينا ، انكم معنا فابشروا ثم ابشروا والله ما يساويكم الله وغيركم ، لا والله ولا كرامة » (٣٢٢) .

٣ - قال (ع) : ان الجنة لتشتاق ويشتد ضوءها لمجيء آل محمد (ص) وشيعتهم ، ولو ان عبداً عبد الله بين الركن والمقام حتى تنقطع أوصاله ، وهو لا يدين بحبنا وولايتنا أهل البيت ما قبل منه . . » (٣٢٣)

٤ - قال (ع) : لجماعة من شيعة « إنما يغتبط أحدكم اذا بلغت نفسه ههنا ، - وأومىء بيده إلى حلقة - ينزل عليه ملك الموت فيقول له : أما ما كنت ترجوه فقد أعطيتك ، وأما ما كنت تخافه فقد أمنت منه ، ويفتح له باب إلى منزله من الجنة ، فيقول له : انظر إلى مسكنك من الجنة فهذا رسول الله (ص) وعلي والحسن والحسين (ع) هم رفقاؤك . . وهو قول الله عز وجل : « الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم الأجر في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٣٢٤) (٣٢٥) وتواترت الاخبار عن النبي (ص)

(٣٢٠) سورة آل عمران : آية ٣١ .

(٣٢١) سورة الحشر : آية ٩ .

(٣٢٢) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٦) .

(٣٢٣) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٧) .

(٣٢٤) سورة يونس : آية ٦٣ و ٦٤ .

(٣٢٥) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٧) .

وعن الأئمة الطاهرين بهذا المضمون وقد ذكرتها مصادر الحديث والاختبار .

٦ - تسمية الشيعة بالرافضة :

وحدث أبو بصير قال : قلت لأبي جعفر : جعلت فداك أسم سميئنا به استحللت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا ، قال (ع) :
« ما هو ؟ »

« الرافضة »

قال (ع) : بعد حديث له « إن ذلك اسم قد نحللكموه الله . » (٣٢٦)
لقد أصبح هذا الاسم علماً للشيعة الذين هم دعاة الإصلاح الاجتماعي في الأرض ، وقد أخذ يعيبهم به من لاخلاق له ، إن الشيعة لتعتز بهذا الاسم ، وتفتخر به ، فقد أصبح لهم وساماً لحبهم وإخلاصهم لآل البيت (ع) (الذين ذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) وقد فخر به الإمام الشافعي بقوله :

إن كان حب آل محمد رفضاً فليشهد الثقلان اني رافض

٧ - دعوته لشييعته :

وكان الإمام أبو جعفر (ع) يخلص لشييعته كأعظم ما يكون الاخلاص ، وكان يدعو لهم بهذا الدعاء :

« يا دان غير متوان ، يا ارحم الراحمين اجعل لشييعتي من النار وقاءً لهم ، ولهم عندك رضا ، وانقر ذنوبهم ، ويسر أمورهم ، واقض ديونهم ، واستر عوراتهم ، وهب لهم الكبائر التي بينك وبينهم ، يا من لا يخاف الضيم ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، اجعل لي من كل غم فرجاً ومخرجاً . » (٣٢٧)

(٣٢٦) محاسن البرقي (ص ١١٩) .

(٣٢٧) مهج الدعوات (ص ١٨) .

وكان (ع) يدعو لشيعته بهذا الدعاء :

« اللهم ان كان لي رضوان وود فاغفر لي ولمن تبني من أخواني وشيعتي وطيب ما في صلي برحمتك يا ارحم الراحمين . » (٣٢٨)
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الامام أبي جعفر (ع) مع شيعته .

سنتن الأنبياء وحكمهم :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) كثيراً عن حكم الانبياء وسنتهم ، وقد نقل عنه المختصون بهذه البحوث الشيء الكثير ، وفيما يلي بعضها :

١ - من وحي الله لآدم :

وعرض الامام (ع) لأصحابه ما اوحى الله به لآدم من الحكم ومعالي الأخلاق قال (ع) : « اوحى الله تبارك وتعالى لآدم اني اجمع لك الخير كله في اربع كلمات : واحدة منهن لي ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين الناس ، فأما التي لي فتعبدني ، ولا تشرك بي شيئاً ، وأما التي لك فأجازيك بعملك في وقت احوج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة ، وأما التي بينك وبين الناس فترضي الناس ما ترضى لنفسك . . » (٣٢٩)

٢ - حكمة سليمان :

وحكى (ع) لأصحابه حكمة رائعة لنبى الله سليمان بن داود قال (ع) : « قال سليمان بن داود : أوتينا ما أوتي الناس ، وما لم يؤتوا ، وعلمنا ما علم الناس ، وما لم يعلموا ، فلم نجد شيئاً افضل من

(٣٢٨) مصباح الكفعمي (ص ١٦١) .

(٣٢٩) أمالي الصدوق (ص ٥٤٤) .

خشية الله في الغيب والمشهد ، والتقصد في الغنى والفقر ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والتضرع الى الله عز وجل في كل حال . . » (٣٣٠)
وهذه الحكمة تجمع خصال الخير ، ففيها الدعوة الى خشية الله والخوف منه ، والحث على الاقتصاد ، وعدم التبذير والاسراف في الاموال ، كما فيها الدعوة الى قول الحق ، وإيثاره على كل شيء ، والالتجاء الى الله تعالى الذي بيده مصير العباد .

٣ - حكمة في التوراة :

ونقل (ع) لأصحابه حكمة مكتوبة في التوراة قال (ع) : « ان في التوراة مكتوباً يا موسى اني خلقتك ، واصطفيتك ، وقويتك ، وامرتك بطاعتي ونهييتك عن معصيتي فان اطعتني اعنتك على طاعتي ، وان عصيتني لم اعنك على معصيتي ، يا موسى ولي المنة عليك في طاعتك لي ، ولي الحجة عليك في معصيتك لي . . » (٣٣١)

٤ - تسمية نوح بالعبء الشكور :

روى محمد بن مسلم عن الامام أبي جعفر (ع) انه قال : « ان نوحاً إنما سمي عبداً شكوراً لأنه كان يقول : إذا أمسى واصبح ، اللهم اني اشهدك أنه ما أمسى واصبح بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحده لا شريك لك ، لك الحمد والشكر بها عليّ حتى ترضى . . » (٣٣٢)

(٣٣٠) الخصال (ص ٢١٩) .

(٣٣١) امالي الصدوق (ص ٢٧٤) .

(٣٣٢) علل الشرائع (ص ٢٩) .

هـ - دعاء نوح على قومه :

سأل سدير الامام أبا جعفر (ع) عن دعاء نوح على قومه فقال له :
« رأيت نوحاً حين دعا على قومه فقال : « رب لا تذر على الارض من
الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً »
إنه كان عالماً بهم ؟ »

فاجابه (ع) « أوحى الله اليه أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد
آمن فعند ذلك دعا عليهم بهذا الدعاء . . » (٣٣٣)

٦ - اسماعيل أول من تكلم بالعربية :

ونقل الامام ابو جعفر (ع) لأصحابه ان نبي الله اسماعيل هو أول من
فتق لسانه باللغة العربية ، قال (ع) : « أول من فتق لسانه بالعربية
المبينة اسماعيل ، وهو ابن عشر سنة . . » (٣٣٤)

٧ - مناجاة الله مع موسى :

وحكى الامام لأصحابه مناجاة الله تعالى مع نبيه موسى قال (ع) :
« في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران ،
يا موسى خفني في سر أمرك احفظك من وراء عورتك ، واذكرني في
خلواتك ، وعند سرور لذاتك اذكرك عند غفلاتك ، واملك غضبك عن
ملكتمك عليه اكف عنك غضيبي ، واكتم مكنون سري في سريرتك ، واظهر
في علانيتك للمدارة عني لعدوي وعدوك من خلقي ، ولا تستسب لي عندهم
بإظهارك مكنون سري فتشرك عدوك وعدوي في سبي . . » (٣٣٥)

(٣٣٣) علل الشرائع (ص ٣١) .

(٣٣٤) البيان والتبيين ٣ / ٢٩٠ .

(٣٣٥) الامالي للصدوق (ص ٢٢٦) .

٨ - نفي الأمية عن النبي :

روى علي بن اسباط قال : قلت لأبي جعفر : إن الناس يزعمون إن رسول الله (ص) لم يكتب ، ولم يقرأ ؟ فانكر عليه السلام ذلك وقال :

« انى يكون ذلك ؟ » وقد قال الله تعالى : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » كيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب ؟ . »

وانبرى علي بن اسباط فقال للأمام : لم سمي النبي الأمي ؟ فاجابه الامام : « لأنه نسب الى مكة ، وذلك قول الله عز وجل : « لتنذر أم القرى ومن حولها » فأم القرى مكة ، فقليل أمي . . » (٣٣٦)

٩ - نوح وابليس :

وحكى الامام أبو جعفر (ع) محادثة جرت بين نبي الله نوح (ع) حينما دعا على قومه ، وبين ابليس وهي :

ابليس : يا نوح ان لك عندي يداً أريد أن اكفئك عليهما .

نوح : والله اني لبفيض الي ان تكون لي عليك يد فما هي ؟

ابليس : بلى دعوت الله على قومك فاغرقتهم ، فلم يبق أحد فاغويه فانا مستريح حتى ينشأ قرن آخر فاغويهم .

نوح : ما الذي تريد أن تكافئني به ؟

ابليس : اذكرني في ثلاثة مواطن : فاني أقرب ما أكون الى العبد

(٣٣٦) علل الشرايع (ص ١٢٥) .

إذا كان في أحدا من : اذكرني إذا غضبت ، واذكرني إذا حكمت بين اثنين ، واذكرني مع امرأة خالياً ليس معكما أحد . . (٣٣٧)
 وحقاً ان ابليس انما يغزو الانسان في هذه المواطن الثلاثة فهي التي تجزه الى اقتراف الأثم والعصيان اعاذنا الله من شروره .

١٠ - موت سليمان :

وروى الامام أبو جعفر (ع) لأبي بصير موت نبي الله سليمان فقال :
 « أمر سليمان بن داود الجن فصنعوا له قبة من قوارير ، فبينما هو متكئ على عصاه في القبة ينظر الى الجن كيف يعملون ، وهم ينظرون إليه إذ حانت منه التفاتة فاذا رجل معه في القبة قال : من أنت ؟ قال : أنا الذي لا أقبل الرشا ، ولا أهاب الملوك أنا ملك الموت فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبة ، والجن ينظرون اليه فمكثوا سنة يدأبون له حتى بعث الله عز وجل الارضة فأكلت منسأته وهي العصا ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين . » (٣٣٨)

١١ - التقاء يعقوب بيوسف :

وروى الامام أبو جعفر قصة التقاء يعقوب بيوسف قال (ع) : إن يعقوب قال لولده : تحملوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهليكم اجمعين فصاروا إليه ، ويعقوب معهم ، وخالة يوسف أم يامين ، فبحثوا السير فرحاً وسروراً تسعة أيام الى مصر ، فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق أباه وقبله ، وبكى ورفع ورفع خالته على سرير الملك ، ثم دخل منزله

(٣٣٧) الخصال (١٢٨) .

(٣٣٨) علل الشرايع (ص ٧٤) .

واكتحل وادهن ، ولبس ثياب اليز والملك ، فلما رأوه سجدوا جميعاً
أعضاماً له وشكراً لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة
يدمن ، ولا يكتحل ، ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين أبيه وإخوته (٣٣٩) .

١٢ - مدة حياة يعقوب بمصر :

وسأل محمد بن مسلم الإمام أبا جعفر (ع) عن مدة حياة يعقوب
بمصر فقال (ع) : عاش يعقوب مع يوسف بمصر حولين ، فقال له
محمد بن مسلم : فمن كان الحجة لله في الأرض يعقوب أم يوسف ؟ قال
عليه السلام : كان يعقوب الحجة ، وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب
حمله يوسف في تابوت الى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس ، فكان
يوسف بعد يعقوب الحجة ، قال محمد : وكان يوسف رسولاً نبياً ؟ قال
عليه السلام : نعم اما تسمع قوله عز وجل : « لقد جاءكم يوسف من
قبل بالبينات » (٣٤٠) .

هذا بعض ما أثر عنه من الروايات في أحوال الأنبياء وسنتهم .

مع السيرة النبوية :

وروى الإمام أبو جعفر (ع) الشيء الكثير من شؤون السيرة النبوية ،
وقد أخذ عنه المدونون لها ، وفيما يلي بعض ما روه عنه .

١ - استعارة النبي السلاح من صفوان :

وروى الطبري بسنده عن الإمام أبي جعفر (ع) قال : لما أجمع
رسول الله (ص) السير الى هرازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان
(٣٣٩) بجمع البيان في تفسير القرآن ٦ / ٢٦٤ .

(٣٤٠) بجمع البيان ٦ / ١٦٦ .

ابن أمية ادراعاً وسلاحاً ، فارسل اليه فقال : يا أبا أمية - وهو يومئذ
مشارك - اعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً فقال له صفوان : اغصبها
يا محمد ؟ قال : بل عارية مضمونة ، حتى تؤديها إليك ، قال : ليس بهذا
بأس ، فاعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح ، وزعموا أن رسول
الله (ص) سأله أن يكفيه حملها ففعل .

قال الامام أبو جعفر : فمضت السنة ان العارية مضمونة (٣٤١) وقد
المع الامام الى أن هذه الحادثة قد استفيد منها القاعدة الفقهية وهو ان العارية
مضمونة مع التفريط ، فمن استعار شيئاً فقد ضمنه حتى يؤديه الى صاحبه .

٢ - مسيرة خالد الى بني جذيمة :

وروى ابن هشام بسنده عن الامام أبي جعفر (ع) ان رسول
الله (ص) بعث خالد بن الوليد الى بني جذيمة حين فتح مكة داعياً
الى الله ، ولم يبعثه مقاتلاً الا ان خالداً غار عليهم فاوجسوا منه خيفة
نهادروا الى اسلحتهم فحملوها ، فلما رأى خالد ذلك قال لهم : ضعوا
السلاح ، فان الناس قد اسلموا ، ووثقوا بقوله ، فوضعوا سلاحهم ، إلا
إنه غدر بهم ، فأمر بتكتيفهم ثم عرضهم على السيف ، فقتل منهم من
قتل ، ولما انتهى خبرهم الى النبي (ص) بلغ به الحزن اقصاه ورفع
يديه بالدعاء ، وقال :

« اللهم اني ابرأ إليك بما صنع خالد . . »

ودعا النبي (ص) الامام أمير المؤمنين (ع) فقال له : (اخرج
الى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك)
وخرج علي حتى جاءهم ، ومعه مال ، فودى لهم الدماء ، وما أصيب لهم

(٣٤١) تاريخ الطبري ٣ / ٧٣ طبع دار المعارف .

من الأموال ، حتى انه ليدي ميلغة الكلب (٣٤٢) حتى اذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، وبقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علي : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فاني اعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطاً لرسول الله (ص) مما يعلم ولا تعلمون ، فاعطاهم ثم رجع الى رسول الله (ص) فأخبره الخبر ، فقال (ص) : أصبت واحسنت وقام رسول الله (ص) فاستقبل القبلة شاهراً يديه ، حتى كان يرى ما تحت منكبيه ، وهو يقول : « اللهم اني ابرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » وكرر ذلك ثلاث مرات (٣٤٣) . هذه بعض رواياته عن السيرة النبوية ، أما ذكر جميع ما روي عنه فانه يستدعي الأطالة ، وقد أثرنا الايجاز في امثال هذه البحوث .

سيرة الامام علي :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) في كثير من احاديثه عن سيرة جده الامام أمير المؤمنين (ع) رائد الحق والعدالة في الارض ، وكان من بين ما رواه هذه البادرة .

روى زرارة بن أعين عن أبيه ، عن الامام أبي جعفر (ع) قال : كان علي (ع) إذا صلى الفجر لم يزل معقباً الى أن تطلع الشمس ، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن ، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك ، فقام يوماً ، فمر برجل فرماه بكلمة هجر - ولم يسم أبو جعفر ذلك الرجل - فرجع الامام ، وصعد المنبر ، وأمر فتودي الصلاة جامعة ، فلما حضر الناس ،

(٣٤٢) اليلغة : الاناء يلغ فيه الكلب أو يسقى فيه .

(٣٤٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٠ .

حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال : أيها الناس انه ليس شيء أحب الى الله ، ولا أعم نفعاً من حلم إمام وفقهه ، ولا شيء ابغض الى الله ، ولا أعم ضرراً من جهل إمام وخرقه ، إلا وانه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ إلا وانه من انصف من نفسه لم يزد الله الا عزاً ، إلا وان الذل في طاعة الله اقرب الى الله من التعزز في معصيته ، ثم قال : اين المتكلم أنفأ ؟ فلم يستطع الإنكار ، فقال : هاانذا ياأمير المؤمنين ، فقال : أما اني لو أشاء لقتلت : فقال : إن تعف وتصفح فأنت اهل لذلك فقال : قد عفوت وصفححت (٣٤٤) .

وليس في تاريخ الانسانية على الاطلاق مثل الامام أمير المؤمنين (ع) في عدله ورحمته ، وصفحه عن اساء اليه . . . لقد كان المؤسس الأول بعد النبي (ص) لمكارم الاخلاق ونكران الذات ، وقد ساس الناس أيام خلافته سياسة قوامها العدل الخالص والحق المحض ، فأثر طاعة الله على كل شيء .

أخبار أمير المؤمنين بقتل الحسين :

وتواترت الاخبار عن الامام أمير المؤمنين بقتل ولده الامام الحسين (ع) ومن بين تلك الاخبار ما رواه الامام أبو جعفر (ع) ، فقد قال (ع) : خطب علي (ع) في الكوفة فلما قال : سلوني فيل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فئة تفضل مائة ، وتمدى مائة ، إلا انبأتكم بناعقها وسائقها ، فقام إليه رجل فقال : اخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ، فقال له علي : والله لقد حدثني خليلي - يعني رسول الله (ص) - ان على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلمنك ، وإن على كل طاقة شعر من لحيتك

شيطاناً يغويك ، وإن في بيتك سهلاً يقتل ابن رسول الله (ص) وكان ابنه قاتل الحسين يومئذ طفلاً يحبو ، وهو سنان بن أنس النخعي (٣٤٥) . وتحقق ما أخبر به الامام أمير المؤمنين (ع) فلم تمض حفنة من السنين وإذا بالحبيث الدنس سنان بن أنس كان من القتلة المجرمين لريحانة رسول الله (ص) وسبطه .

صفة الامام أمير المؤمنين :

وسأل اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الامام أبا جعفر عن صفة جده الامام أمير المؤمنين (ع) فقال (ع) : « رجل آدم شديد الأدمة ، ثقیل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، اصلع هو الى القصر أقرب (٣٤٦) .

أحداث صفين :

وروى الامام أبو جعفر (ع) الكثير من أحداث صفين ، وقد نقلها عنه نصر بن مزاحم ، والطبري وابن أبي الحديد ، وغيرهم من المؤرخين . وفيما يلي بعضها :

فك الحصار عن الماء :

وزحف معاوية بجنوده الى صفين قبل أن يقدم اليها جيش الامام ، وقد اجمع رأيهم على احتلال الفرات فاحاطه بقوى مكثفة لمنع اصحاب الامام من الاستسقاء منه ، ولما قدمت جيوش الامام رؤوا الفرات قد احتلته قوات معاوية ، وهي تمنعهم أشد المنع من الدنو منه ، وقد روى الامام أبو جعفر (ع) كيفية فك احتلاله من قبل جيش الامام (ع) قال (ع) : « ونادى الاشعث عمرو بن العاص ، فقال : ويحك يا بن العاص ! نخل

(٣٤٥) شرح النهج ٢ / ٣٨٦ .

(٣٤٦) تاريخ الطبري ٥ / ١٥٣ .

بيننا وبين الماء فوالله لئن لم تفعل لتأخذنا وإياكم السيوف ، فقال عمرو :
والله لا نخلي عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم ، فيعلم ربنا أينما أصبر اليوم ،
فترجل الأشعث والأشتر وذوو البصائر من أصحاب علي (ع) وترجل
معهما اثنا عشر ألفاً فحملوا علي عمرو وأبي الأعور ، ومن معهما من
أهل الشام ، فأزالوهم عن الماء ، حتى غمست نخيل علي سنايها في
الماء « (٣٤٧) ومن الجدير بالذكر أن جيش الامام لما احتل الفرات أرادوا
أن يقابلوا أهل الشام بالمثل فيمنعونهم عنه ، كما صنعوا ذلك معهم ،
الا ان الامام لم يسمح لهم بذلك ، وعاملهم معاملة المحسن الكريم فخلي
بينهم وبين الماء .



معاوية مع ابن العاص :

وروى الامام أبو جعفر (ع) حديثاً دار بين معاوية وعمرو بن
العاص ، قال (ع) : « طلب معاوية الى عمرو بن العاص أن يسوي
صفوف أهل الشام ، فقال له عمرو : على أن لي حكمي إن قتل الله ابن
أبي طالب ، واستوسقت لك البلاد ، قال : اليس حكمك في مصر ؟
قال : وهل مصر تكون عوضاً عن الجنة ، وقتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب
النار الذي لا يفتر عنهم ، وهم فيه مجلسون ؟ فقال معاوية : إن لك حكمك
أبا عبد الله إن قتل ابن أبي طالب ، رويداً لا يسمع الناس كلامك ،
فقال لهم : أي لأهل الشام - عمرو : يا معشر أهل الشام سوا
صفوفكم ، واعيروا ربكم حجاجكم ، واستعينوا بالله إلهكم ، وجاهدوا عدو

(٣٤٧) شرح ابن أبي الحديد ٣ / ٣٢٤ .

الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم » واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين « (٣٤٩) .
وبهذا الخداع والتضليل استطاع معاوية أن يناجز الامام أمير المؤمنين عليه السلام رائد الحكمة والحق في الأرض .

خطبة للامام بصفين :

وروى الامام ابو جعفر (ع) خطبة لجده الامام أمير المؤمنين (ع) خطبها بصفين ، وقد تحدث فيها عن سمو اخلاق النبي العظيم (ص) ومدى الخسارة العظمى التي منيت بها الانسانية بفقده (ص) كما ذكر فيها مكانته ومنزلاته عند النبي (ص) ثم دعا فيها الى جهاد عدوه معاوية ابن أبي سفيان ، وهذا نصها :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر والفاجر ، وعلى حججه البالغة على خلقه من اطاعه فيهم ، ومن عصاه ، إن رحم فيفضله ومنه ، وإن عذب فيما كسبت أيديهم ، وأن الله ليس بظالم للعبيد ، أحده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، واسعته على ما نابنا من أمر دنيا أو آخرة ، وأومن به وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلاً ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك ، وكان أهله ، واصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته ، وجعله رحمة منه على خلقه ، فكان كعلمه فيه رؤوفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسبا ، وأجمله منظراً ، واستخاه نفساً وأبره بوالده ، وأوصله لرحم ، وأفضله علماً ، وأثقله حليماً ، وأوفاه بعهده ،

(٣٤٩) وقمة صفين (ص ٢٦٧ آ .

وآمنه على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط ، بل كان يظلم فيغفر ، ويقدر فيصنح ، ويعفو حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين (ص) ، فكان ذهابه اعظم المصيبة على جميع اهل الأرض البر والفاجر ، ثم ترك كتاب الله فيكم يأمر بطاعة الله وينهى عن معصيته ، وقد عهد الى رسول الله (ص) عهداً فلمست أحيد عنه ، وقد حضرتكم عدوكم وقد علمتم من رئيسهم منافق ابن منافق ، يدعوهم الى النار ، وابن عم نبيكم معكم بين أظهركم يدعوكم الى الجنة والى طاعة ربكم ، ويعمل بسنة نبيكم (ص) فلا سواء من صلى قبل كل ذكر ، لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله أحد ، وأنا من اهل بدر ، ومعاوية طليق ابن طليق ، والله إنكم لعلى حق ، وانهم لعلى باطل فلا يكونون القوم على باطلهم اجتمعوا عليه ، وتفرقون عن حقتكم ، حتى يغلب باطلهم حقتكم « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، فان لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم » فأجابه أصحابه قائلين : يا أمير المؤمنين انهض بنا الى عدونا وعدوك اذا شئت ، فوالله ما نريد بك بدلاً نموت معك ، ونحيا معك ، فقال لهم علي : « والذي نفسي بيده لنظار الى رسول الله (ص) أضرب قدماه بسيفي ، فقال : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، وقال : « يا علي ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ، وموتك وحياتك يا علي معي » والله ما كذبت ، ولا كذبت ، ولا ضللت ولا ضل بي ، وما نسيت ما عهد الي ، واني لعلى بينة من ربي ، واني لعلى الطريق الواضح ، الفظه لفظاً (٢٥٠) .

يوم الهرير :

وكان من اعظم ايام صفين ، وأشدّها عنسة يوم الهرير ، وهو اليوم الأعظم - كما يسميه المؤرخون - فقد استعرت فيه نار الحرب ، واشتد أوارها ، حتى خيم الفرع والموت على الناس وقد تحدث عنه الامام أبو جعفر (ع) قال : « لما كان اليوم الأعظم ، قال اصحاب معاوية : والله لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا ، وقال اصحاب علي (ع) لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا ، فبادروا القتال غدوة في يوم من ايام الشعرى (٣٥١) طويل شديد الحر ، فتأاموا حتى فئيت النبال ، وتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ، ثم نزل القوم عن خيولهم ، ومشى بعضهم الى بعض بالسيوف ، حتى كسرت جفونهم ، وقام الفرسان في الركب ، ثم اضطربوا بالسيوف ، وبعمد الحديد ، فلم يسمع السامعون إلا تغمغم القوم ، وصليل الحديد في الهمام ، وتكادم الأفواه ، وكسفت الشمس وثار القتام ، وضلت الأروية والرايات ، ومرت مواقيت أربع صلوات ما يسجد فيهن الله إلا تكبيراً ، ونادت المشيخة في تلك الغمرات ، يا معشر العرب الله ، الله في الحرمات من النساء والبنات . »

ولما انتهى أبو جعفر الى هذه الكلمات بكى (٣٥٢) فقد طافت به تلك الذكريات الحزينة التي تذيب من هولها القلوب ، فقد مثلت أمامه عنة جده الامام أمير المؤمنين (ع) حينما ابتلى بتلك الزمرة الخائنة التي عملت على عو الاسلام ، وأزالة مكاسبه ، وإعادة الحياة الجاهلية (٣٥١) الشعرى : كوكب نير يقال له المرزم يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر « اللسان » .

(٣٥٢) شرح النهج ٢ / ٢١٢ - ٢١٣ ، وقعة صفين (ص ٥٤٧) .

في الأرض ،

أن من أبشع مهازل التاريخ البشري هي مكيدة ابن العاص في رفع المصاحف وقد وصفها (راوحوست ميلر) بأنها من أشنع المهازل واسوأها في التاريخ البشري (٣٥٣) فقد أشرف جيش الامام على الفتح ، وتغللت جميع القوى معاوية وأراد أن يلوذ بالفرار ، ولجأ إلى ابن العاص يطلب منه الرأي فأشار عليه برفع المصاحف وهي مكيدة مدبرة قد حيكت أصولها ووضع مخططاتها بين ابن العاص وبين الأشعث بن قيس الماكر الخبيث في جيش الامام .

وقد تحدث الامام أبو جعفر عن عدد المصاحف التي رفعت ، فقال عليه السلام : استقبلوا علياً بمائة مصحف ووضعوا في كل بجنبة (٣٥٤) مائتي مصحف فكان جميعها خمسمائة مصحف .

وقام فريق من اتباع معاوية ، فنادوا في المعسكر العراقي : « يا معشر العرب ، الله في النساء ، والبنات والابناء من الروم والأترار وأهل فارس غداً إذا فنيتم ، الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم . والتاع الامام ، وانبرى قائلاً : اللهم إني أعلم ما الكتاب يريدون فأحكم بيننا وبينهم إني أنت الحكم الحق المبين (٣٥٥) .

وقد اطاحت هذه المكيدة بالنصر الذي أحرزه جيش الامام ، فقد انقلب على أعقابها وماج في الفتنة ، واضطرب كاشد ما يكون الاضطراب ، وكان من المتوقع أن تمنى حكومة الامام بانقلاب عسكري يتزعمه الأشعث

(٣٥٣) العقيدة والشريعة في الاسلام (ص ١٩٠) .

(٣٥٤) المجنبه : بكسر النون المشددة ميمنة الجيش وميسرته .

(٣٥٥) شرح النهج ٢ / ٢١٢ ، وقعة صفين (ص ٥٤٦ - ٥٤٧) .

ابن قيس ، وقد ادرك الامام هذا الوضع المتفجر فأبدي من الاناة والصبر ما لا يوصف ، فقد استجاب - على كره - الى إيقاف القتال ، وأوعز الى قائد قواته المسلحة الزعيم مالك الأشتر بالانسحاب عن ساحة الحرب بعد ان اشرف على الفتح ، وصار أمراً محتوماً .

وثيقة التحكيم :

وبعد ان أجبر الامام على التحكيم الذي انقذ حكومة معاوية ، واطاح بحكومة الامام (ع) فقد تسابق زعماء الفتنة في جيش الامام مع اهل الشام الى تسجيل ما يروونه من الشروط التي تنهي الحرب مؤقتاً حتى يجتمع الحكماء ، وقد روى الامام أبو جعفر (ع) نص الوثيقة ، وأخذها عنه المؤرخون لهذه الاحداث وهذا نصها بعد البسملة :

« هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضي علي بن أبي طالب على اهل العراق ، ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاضي معاوية بن أبي سفيان على اهل الشام ، ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، اننا ننزل على حكم الله تعالى وكتابه ، ولا يجمع بيننا الا إياه ، وان كتاب الله سبحانه تعالى بيننا من قاتلته الى خاتمته ، نحى ما احيا القرآن ، ونميت ما المات القرآن ، فان وجد الحكماء ذلك في كتاب الله اتباعاً ، وإن لم يجدوا أخذوا بالسنة العادلة غير المفرقة ، والحكماء عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، وقد أخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجنسين انهما امينان على انفسهما وأموالهما وأهلها ، والأمة لهما انصار ، وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعملوا بما يقضيان عليه بما وافق الكتاب والسنة ، وان الأمن والمواذعة ووضع السلاح متفق عليه بين

الطائفتين الى ان يقع الحكم ، وعلى كل واحد من الحكّمين عهد الله ليحكمن بالأمة بالحق ، لا بالهوى ، وأجل المودعة سنة كاملة ، فان احب للحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه ، وإن توفي أحدهما فلأُمير شيعته أن يختار مكانه رجلاً ، لا يألوا الحق والعدل ، وإن توفي أحد الأُميرين كان نصب غيره الى اصحابه من يرضون أمره ، ويحمدون طريقته اللهم إنا تستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيها إلحاداً وظلماً . . » (٣٥٦)

ووقع الفريقان على هذه الوثيقة ، ولم تتعرض الى مطالبة معاوية بدم عثمان ذلك الدم الذي اتخذه شعاراً لتعمرده وبغية على حكومة الامام ، ومن المؤكد انه لم يكن يهتم بعثمان فقد استنجد به حينما حاصره الشوار فاعاره اذناً صماء حتى قتل ، فاتخذ قتله وسيلة لنيل اطماعه .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن روايات الامام ابي جعفر لأحداث صفين تلك الأحداث المؤلمة التي سبغت للمسلمين اعظم المهن والخطوب ، والقتهم في شر عظيم .

مأساة الامام الحسين :

وفزع المسلمون كاشد ما يكون الفزع من مأساة الامام الحسين (ع) التي انتهكت فيها حرمة الرسول (ص) في ابنائه وعترته ، فقد عمد الجيش الاموي الى استئصال آل النبي (ص) واقترفوا معهم من الفضائح ما لم يمر مثلها في جميع مراحل هذه الحياة .

وكان الامام أبو جعفر (ع) صبيّاً يافعاً قد حضر يوم الطف ، وشاهد للمحن الكبرى التي تواكب على آل البيت (ع) وقد وعاما ، ولرتسمت فصولها الحزينة في اعماق نفسه ودخائل ذاته ، وظلت مناظرها الرهيبة ملازمة

له ولأبيه الامام زين العابدين طوال حياتهما .
واقبل علماء المسلمين ورواتهم على الامام أبي جعفر (ع) وهم يسألونه
عما شاهدوه وما سمعوه من أبيه من رزايا كربلاء ، وما جرى على العترة
الطاهرة من صنوف القتل والتنكيل ، وكان (ع) يزودهم بمعلوماته
عنها ، وهم يدونونها .

وقد دون العلماء في ذلك العصر وما تلاه حوالي ستين مؤلفاً كلها
بمعنوان « مقتل الحسين » .

رواية عمار الدهني :

ويروي الطبري أن عمار الدهني وفد على الامام أبي جعفر (ع) يسأله
عن مقتل الحسين فأجابه (ع) وقد روى الطبري الرواية متقطعة غير
متصلة ، ونحن نجتمع بين فصولها ولنا فيها مواقع للنظر نذكرها في آخر
الرواية ، وهذا نصها :

« حدثني زكرياء بن يحيى الحريري ، قال : حدثنا أحمد بن جناب
المصيصي - ويكنى أبا الوليد - قال : حدثنا خالد بن يزيد بن أسد بن
عبد الله القسري قال : حدثني عمار الدهني ، قال : قلت لأبي جعفر :
حدثني بمقتل الحسين حتى كأنى حضرته .

قال (ع) : مات معاوية ، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على
المدينة ، فأرسل إلى الحسين بن علي فقال له : اخبرني ، وأرفق فأخبره ،
فخرج إلى مكة ، فأتاه أهل الكوفة ، ورسلمهم أنا قد حبسنا أنفسنا عليك ،
ولسنا نحضر الجمعة مع الولي ، فأقدم علينا ، وكان النعمان بن بشير
الانصاري على الكوفة ، قال : فبعث الحسين إلى مسلم بن عتيق بن أبي
طالب ابن عمه ، فقال له : سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلي ، فإن

كان حقاً خرجنا إليهم ، فخرج مسلم حتى أتى المدينة فأخذ منها دليلين ،
فمرا به في البرية فأصابهم عطش فمات أحدهما الدليلين ، وكتب مسلم الى
الحسين يستعفيه ، فكتب اليه الحسين : أن امض الى الكوفة ، فخرج حتى
قدمها ، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عوسجة (٣٥٧) قال : فلما
تحدث أهل الكوفة بمقدمه ذهبوا إليه فبايعوه ، فبايعه اثنا عشر ألفاً .
قال : فقام رجل من يهوى يزيد بن معاوية الى النعمان بن بشير فقال
له : إنك ضعيف أو متضعف ، قد فسد البلاد ، فقال له النعمان :
أن اكون ضعيفاً ، وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن اكون قوياً في معصية .
وما كنت لأهتك سترأ ستره الله .

فكتب يقول النعمان الى يزيد فدعا مولى يقال له : سرجون - وكان
يستشير - فأخبره الخبر ، فقال له : أكنت قابلاً من معاوية لو كان
حيّاً ؟ قال : نعم ، قال : فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن
زياد ، فولها إياه - وكان يزيد عليه سخطاً ، وكان همّ بعزله عن
البصرة - فكتب اليه برضائه ، وأنه قد ولاه الكوفة مع البصرة ، وكتب
اليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده .

قال : فاقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً ،
ولا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا : عليك السلام يا ابن بنت
رسول الله - وهم يظنون أنه الحسين بن علي (ع) - حتى نزل القصر
فدعا مولى له فاعطاه ثلاثة آلاف وقال له : اذهب حتى تسأل عن الرجل
الذي يبايع له أهل الكوفة فاعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا
الأمر ، وهذا مال تدفعه اليه ليتقوى ، فلم يزل يتلطف ويرفق به ، حتى
(٣٥٧) المعروف بين المؤرخين أن مسلم أول ما نزل في دار المختار .

دل على شيخ من أهل الكوفة يلي البيعة ، فلقية فأخبره ، فقال له الشيخ :
لقد سرني لقاءك إياي ، وقد سلمني ، فأما ما سرني من ذلك فما هداك
الله له ، وأما ما سلمني فإن أمرنا لم يستحكم بعد فادخله إليه فأخذ المال
وبايعه ورجع إلى عبيد الله فأخبره .

فتحول مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان فيها إلى
منزل هانيء بن عروة المرادي ، وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن
علي (ع) يخبره ببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة ، ويأمره بالقدوم ،
وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة : مالي أرى هانيء بن عروة لم يأتي
فيمن أتاني أقال : فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه ، وهو
على باب داره ، فقالوا : إن الأمير قد ذكرك واستبطنك فانطلق إليه ،
فلم يزالوا به حتى ركب معهم ، وسار حتى دخل على عبيد الله وعنده
شريح القاضي ، فلما نظر إليه قال لشريح : « أتتك بحائن رجلاه »
فلما سلم عليه ، قال : يا هانيء أين مسلم ؟ قال : ما أدري ، فأمر عبيد الله
مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه ، فلما رآه قطع به ، فقال : أصلح
الله الأمير ، والله ما دعوته إلى منزلي ، ولكنه جاء فطرح نفسه علي ، قال
انتني به ، قال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه ، قال : أدنوه
إلي ، فأدني فضربه على حاجبيه فشجه ، قال : وأهوى هانيء إلى سيف
شرطي ليسله ، فدفع عن ذلك ، وقال : قد أحل الله دمك ، فأمر به فحبس
في جانب القصر (٢٥٨) .

وروى الطبري بعد هذا حديثاً فيما يتعلق بتفصيل الحادثة ثم ذكر

(٢٥٨) تاريخ الطبري ٥ / ٣٤٧ - ٣٤٩ طبع دار المعارف بمصر

تحقيق أبو الفضل إبراهيم .

كلام الامام أبي جعفر (ع) قال : فبينما هو كذلك اذ خرج الخبر الى مذبح ، فاذا على باب القصر جلبة سمعها عبيد الله ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مذبح ، فقال لشريح : اخرج اليهم فاعلمهم اني انما حبسته لأسأله ، وبعث عيناً عليه من مواليه يسمع ما يقول ، فمر بهانيء بن عروة ، فقال له هانيء : اتق الله يا شريح فانه قاتلي ، فخرج شريح حتى قام على باب القصر ، فقال : لا بأس عليه ، انما حبسه الأمير ليسأله ، فقالوا صدق ، ليس على صاحبكم بأس فتفرقوا ، فأتى مسلماً الخبر ، فنادى بشعاره فاجتمع اليه اربعة آلاف من أهل الكوفة ، فقدم مقدمته ، وعبى ميعنته ، وميسرته وصار في القلب الى عبيد الله ، وبعث عبيد الله الى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر ، فلما سار اليه مسلم فأنتهى الى باب القصر أشرفوا على عشايرهم فجعلوا يكلمونهم ، ويردونهم ، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى امسى في خمسمائة فلما اختلط الظلام ذهب اولئك أيضاً .

فلما رأى مسلم انه قد بقي وحده جعل يتردد في الطرق فأتى باباً فنزل عليه فخرجت اليه امرأة ، فقال لها : اسقيني فسقته ، ثم دخلت فمكثت ما شاء الله ، ثم خرجت فاذا هو على الباب ، قالت : يا عبد الله إن بجلسك مجلس ريبة ، فقم ، قال : إني مسلم بن عقيل فهل عندك مأوى ؟ قالت : نعم ادخل ، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث ، فلما علم به الغلام انطلق الى محمد فأخبره ، فانطلق محمد الى عبيد الله فأخبره ، فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطه - اليه ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فلم يعلم مسلم حتى احيط بالدار ، فلما رأى ذلك مسلم خرج اليهم بسيفه فقاتلهم ، فاعطاه عبد الرحمن

الامان فامكن من يده ، فجاء به الى عبيد الله ، فأمر به فاصعد الى أعلى القصر فضربت عنقه والتقى جثته الى الناس ، وأمر بهاني فسحب الى الكناسة ، فصلب هنالك وقال شاعرهم في ذلك :

فان كنت لا تدريين ما الموت فانظري الى هاني في السوق وابن عقيل
أصابهما أمر الامام (٣٥٩) فأصبها أحاديث من يسعى بكسل سبيل
أركب أسماء الهماليج آمننا وقد طلبته مذبح بذحول (٣٦٠)
ثم يذكر الطبري روايات أخرى عن أبي خنف وغيره في تفصيل الأحداث ثم عقب ذلك بقوله : حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري ، قال : حدثنا عمار الدهني قال : قلت لأبي جعفر : حدثني عن مقتل الحسين حتى كاني حضرته قال :

« فاقبل حسين بن علي بكثاب مسلم بن عقيل كان اليه حتى اذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال ، لقيه الحر بن يزيد التميمي ، فقال له : اين تريد ؟ قال : أريد هذا المصير قال له : ارجع فاني لم ادع لك خلفي خيراً أرجوه ، فهم أن يرجع ، وكان معه أخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل ، فقال : لا خير في الحياة بمدكم ، فسار فلقية إوائل خيل عبيد الله ، فلما رأى ذلك عدل الى كربلاء فاستند ظهره الى قصباء وخلاً كيلاً يقاتل الا من وجه واحد ، فنزل وضرب أبيته وكان أصحابه خمسة واربعين فارساً ، ومائة راجل وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيد الله بن زياد الري ، وعهد اليه عهده ، فقال : اكفني هذا الرجل ، قال : اعفني فأبى أن

(٣٥٩) في رواية « أصابهما بغى الأمير » .

(٣٦٠) تاريخ الطبري ٥ / ٢٤٩ - ٣٥١ .

يعفيه ، قال فانظروني الليلة فآخره فنظر في أمره ، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمر به ، فتوجه اليه عمر بن سعد فلما أتاه قال له الحسين : اختر واحدة من ثلاث : أما أن تدعوني فانصرف من حيث جئت ، وأما أن تدعوني فاذهب الى يزيد وأما أن تدعوني فألحق بالشغور ، فقبل ذلك عمر فكتب اليه عبيد الله لا ولا كرامة ، حتى يضع يده في يدي ، فقال له الحسين : عشر شاباً من أهل بيته ، وجاء سهم فاصاب ابنأ له معه في حجره ، فجعل يمسح الدم عنه ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا ، ثم أمر بحجرة فشققها ثم لبسها ، وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قتل صلوات الله عليه قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى عبيد الله وقال :

أوقر ركابي فضة وذهباً فقد قتلت الملك المحجبا
 قتلت خير الناس أما وأباً وخيرهم اذ ينسبون النساء
 وأوفده الى يزيد بن معاوية ، وضع الرأس فوضع رأسه بين يديه
 وعنده أبو برزة الأسلمي فجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول :
 يفلتن هامة من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلمنا
 فقال له أبو برزة : ارفيع قضيبك ، فوالله لربما رأيت فاه رسول
 الله (ص) على فيه يلثمه ، وشرح عمر بن سعد بهرمه وعياله الى
 عبيد الله ، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين بن علي عليه السلام الاغلام
 كان مريضاً مع النساء ، فأمر به عبيد الله ليقتل فطرحته زينب نفسها
 عليه ، وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلوني !! فرق لها فتزكه وكف عنه .
 قال : فجهرهم ، وحملهم الى يزيد ، فلما قدموا عليه جمع من كان
 بحضورته من أهل الشام ، ثم ادخلوهم فهنتوه بالفتح ، قال رجل منهم

أزرق أحمر ، ونظر إلى وصيفة من بناتهم فقال : يا أُمير المؤمنين هب لي هذه ، فقالت زينب : لا والله ، ولا كرامة لك ، ولا له إلا أن يخرج من دين الله ، قال فأعادها للأزرق ، فقال له يزيد كف عن هذا ، ثم أدخلهم على عياله فجهزهم ، وحملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها ، واضعة كعها على رأسها تلتقاهم ، وهي تبكي وتقول :

ماذا تقولون : إن قال النبي لكم
بعتني وبأهلي بسد مقتدي
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي (٣٦١)
وانتهت بذلك رواية عمار الدهني عن الإمام أبي جعفر (ع) :
ذكر كارثة كربلا .



المؤاخذات :

وتواجه هذه الرواية عدة من المؤاخذات منها ما يلي :

١ - إن عمار الدهني طلب من الإمام (ع) أن يحدثه - بالتفصيل - عن مقتل الإمام الحسين (ع) كآنه قد حضره ، أما الجواب فقد كان موجزاً ، ولم يشر إلى كثير من الأحداث لا بقليل ولا بكثير ، فقد طويت فيه أكثر فصول تلك المأساة ، ومن الطبيعي أن هذا لا يتناسب مع السؤال الذي يطالب فيه المتريد من المعلومات .

٢ - إنه جاء في هذه الرواية أن الإمام الحسين (ع) حينما اجتمع بأبن سمد طلب منه أحد هذه الأمور :

أ - أن يسمحوا له بالرجوع إلى يثرب .

(٣٦١) تاريخ الطبري ٥ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

ب - أن يذهب إلى يزيد .

ج - أن يلحق بالشغور .

ومن المقطوع به عدم صحة الأمرين الأخيرين ، فإن الإمام (ع) لو فرض أنه ادلى بهما لما قدم الجيش الأموي على قتاله وحربه ، وقد تحدث عن افتعال ذلك عقبة بن سميان وهو من صاحب الإمام من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق وظل ملازماً له حتى قتل يقول :
« صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ، ومنها إلى العراق ، ولم أفارقه حتى قتل ، وقد سمعت جميع كلامه ، فما سمعت منه ما يتذكر فيه الخلس ، من أن يضع يده في يد يزيد ، ولا أن يسير إلى ثغر من الشغور ، لا في المدينة ، ولا في مكة ، ولا في العراق ، ولا في عسكره إلى حين قتل نعم سمعته يقول : اذهب إلى هذه الأرض العريضة حتى أقتر ما يصير إليه الناس » (٣٦٢) ونظراً لاشتمال الرواية على هذه البنود فلا تصح نسبتها إلى الإمام أبي جعفر (ع) ومن المحتمل أن الرواية بناء على صحتها قد نقص منها الشيء الكثير ، وزيد فيها بما جعلها مضطربة لا يمكن التعويل عليها .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض ما أثر عنه من نقل السيرة النبوية وسائر الأحداث التي جرت في العصر الإسلامي الأول .

وصاياه القيمة :

وأثرت عن الإمام أبي جعفر (ع) وصايا كثيرة ، وجه بعضها لايناز ، وبعضها لأصحابه وهي حافلة بالقيم الكريمة ، والمثل العليا ، وزاخرة بأداب السلوك ، والتوجيه الصالح الذي يصون الإنسان من الانحراف

(٣٦٢) حياة الإمام الحسين ٣ / ١٢٩ .

والسلوك في المنهطفات ، وفيما يلي ذلك :

وصاياه لولده الصادق :

وزود الامام أبو جعفر (ع) ولده الصادق بجمهرة من الوصايا القيمة ، ومن بينها :

١ - قال (ع) : « يا بني ان الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء : خبأ رضاه في طاعته ، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه ، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعل سخطه فيه ، وخبأ اوليائه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي . . . » (٣٦٣) وحفلت هذه الوصية بمعالي الاخلاق ، ففيها الترغيب في طاعة الله والتحذير من المعصية ، والتشديد في أمرها ، وفيها الحث على تكريم الناس وعدم الاستهانة بأي احد منهم .

٢ - حكى الامام الصادق (ع) إحدى وصايا أبيه الى سفيان الثوري فقد قال له : « يا سفيان أمرني أبي بثلاث ، ونهاني عن ثلاث ، فكان فيما قال لي : يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مداخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم ، ثم أنشدني :
عود لسانك قول الخير تحظ به ان اللسان لما عودت يعتاد
موكل بتقاضي ما سننت له في الخير والشرف انظر كيف تعتاد (٣٦٤)
وهذه الوصايا من روائع الحكم ، ومن خيرة وصايا المصلحين لابنائهم فقد حفلت بجميع مقومات الآداب والفضائل .

(٣٦٣) الفصول المهمة (ص ٢٩) وسيلة المآل في عد مناقب الآل

(ص ٢٠٨) .

(٣٦٤) الخصال (ص ١٥٧) .

وصيته لبعض ابنائه :

وواصى بعض ابنائه بهذه الوصية فقال له : « يا بني إذا أنعم الله عليك نعمة فقل : الحمد لله ، وإذا أحزبك (٣٦٥) أمر فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا أبطأ عنك رزقك فقل : استغفر الله . » (٣٦٦)

وصيته لعمر بن عبد العزيز :

وحينما ولي الخلافة عمرو بن عبد العزيز طلب من الامام أبي جعفر عليه السلام أن يزوده بوصية ينتفع بها ، ويسوس بها دولته ، فقال عليه السلام له :

« أوصيك بتقوى الله ، وأن تتخذ صغير المسلمين ولداً ، وأوسطهم أخاً ، وكبيرهم أباً ، فارحم ولدك ، واصل أخاك ، وبر أباك ، وإذا صنعت معروفاً فربه (٣٦٧) . » (٣٦٨)

وبهر عمرو بهذه الحكمة الجامعة وراح يبدي إعجابه قائلاً :
« جمعت والله ما أن اخذنا به ، وإعاننا الله عليه استقام لنا الخير
أن شاء الله . » (٣٦٩)

واروع كلمة جامعة لشؤون السياسة العادلة هذه الكلمة القيمة ، فإن رئيس الدولة إذا ساس رعيته بسياسة العدل والانصاف ، واعتبر ابناء

(٣٦٥) حزبه الأمر : نابه واشتد عليه .

(٣٦٦) البيان والتبيين ٣ / ٢٨٠ ، الموافقات (ص ٣٩٩) .

(٣٦٧) ربه : أي ادمه : يقال : ربّ بالمكان أي أقام به .

(٣٦٨) الامالي لأبي علي القالي ٢ / ٣٠٨ ، جهرة خطب العرب ١٤٧/٢ .

(٣٦٩) تاريخ دمشق ٥١ / ٣٨ .

الأمة من أفراد أسرته ، وعاملهم كما يعامل الرجل أهله فيشيع فيهم الخير ، ويبسط فيهم العدل فإن الحكومة والشعب يسعدان ، ويستقيم لهما الخير .

وصيته لجابر الجعفي :

وزود الامام أبو جعفر (ع) تلميذه العالم جابر بن يزيد الجعفي بهذه الوصية الخالدة الخافضة بجميع القيم المكريمة والمثل العليا التي يسمو بها الانسان فيما لو طبقها على واقع حياته ، وهذا بعض ما جاء فيها :

« أوصيك بخمس : إن ظلمت فلا تظلم ، وإن خانوك فلا تخن ، وإن كذبت فلا تغضب ، وإن مدحت فلا تفرح ، وإن ذمت فلا تجزع ، وفكر فيما قيل فيك ، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عز وجل عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس ، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك : فثواب اكتسبته من غير أن يثبت بدئك . »

واعلم بأنك إن تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك ، وقالوا : إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله ، زاهياً في تزهيده راغباً في ترغيبه ، خائفاً من تخويفه فائت وابشر ، فإنه لا يضرك ما قيل فيك ، وإن كنت مبائناً للقرآن ، فمأذا الذي يفرك من نفسك ، إن المؤمن معنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ، فمرة يقيم أودها ويتخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينحسه الله ، فينتمش ، ويقيبل الله عثرته فيتذكر ، ويفزع الى التوبة والخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف وذلك بأن الله يقول :

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » (٣٧٠) .

يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً الى الشكر ،
واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله ازراءاً على النفس (٣٧١) وتعرضاً
للعفو ، وادفع عن نفسك حاضِر الشر بحاضِر العلم ، واستعمل حاضِر العلم
بخالص العمل ، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ ،
واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف ، واحذر خفي التزين بحاضِر الحياة ،
وتوق بمجازفة الهوى بدلالة العقل ، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم ،
واستبق خالص الاعمال ليوم الجزاء ، وانزل ساحة القناعة باقضاء الحرص ،
وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة ، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر
الامل ، واقطع اسباب الطمع ببرد اليأس ، وسد سبيل العجب بمعرفة
النفس ، وتخلص الى راحة النفس بصحة التفويض ، واطلب راحة البدن
باجام (٣٧٢) القلب ، وتخلص الى اجام القلب بقلة الخطأ ، وتعرض
لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات ، واستجلب نور القلب بدولم
الحزن . وتحرز من ابليس بالخوف الصادق ، وإياك والرجاء الكاذب فانه
يوقعك في الخوف الصادق ، وتزين لله عز وجل بالصدق في الاعمال ،
وتحبب اليه بتعجيل الانتقال وإياك والتسوية فانه بحر يفرق فيه الهلكى ،
وإياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب ، وإياك والتواني فيما لا عذر
لك فيه فاليه يلجأ النادمون واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم ، وكثرة

(٣٧٠) سورة الاعراف : آية ٢٠٠ .

(٣٧١) ازراءاً على النفس : أي احتقاراً واستخفافاً بها .

(٣٧٢) الاجمام : - بالفتح - الراحة .

الاستغفار ، وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة ، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء ، والمناجاة في الظلم ، وتخلص الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق ، واستقلال كثير الطاعة ، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر ، والتوسل الى عظيم الشكر بخوف زوال النعم ، واطلب بقاء العز بامانة الطمع ، وادفع ذل الطمع بعز اليأس ، واستجلب عز اليأس ببعد الهمة ، وتزود من الدنيا بقصر الأمل ، وبادر بانتهاز البغية عند امكان الفرصة ، ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان ، وإياك والثقة بغير المأمون فان للشر ضراوة كضراوة الغذاء .

واعلم انه لا علم كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا خوف كخوف حاجر ، ولا رجاء كرجاء معين ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوة كغلبة الهوى ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاستصغارك للدنيا ، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك ، ولا نعمة كالعاقبة ، ولا عاقبة كمساعدة التوفيق ، ولا شرف كبعد الهمة ، ولا زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات ، ولا عدل كالأصاف ، ولا تعدي كالجور ، ولا جور كموافقة الهوى ، ولا طاعة كإداء الفرائض ، ولا خوف كالخزن ، ولا مصيبة كعدم العقل ، ولا عدم عقل كقلة اليقين ، ولا قلة يقين كفقد الخوف ، ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقد الخوف ، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب ، ورضاك بالحالة التي أنت عليها ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة الهوى ، ولا قوة كرد الغضب ، ولا معصية كحب البقاء ، ولا ذل كذل الطامع ، وإياك والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجبر لأهله بالخسران . . » (٣٧٣)

(٣٧٣) تحف العقول (ص ٢٨٤ - ٢٨٦) .

ودلت هذه الوصية الرائعة الحافلة بجواهر الحكم على امامة الامام
أبي جعفر (ع) واضاءت جانباً كبيراً من مواهبه وعبقرياته ، ولو لم
تكن له إلا هذه الوصية لكفت في الاستدلال على عظمته وما يملكه من طاقات
علمية لا تحصى ، لقد نظر الامام العظيم الى اعماق النفوس ، وسيراغوارها
وحلل ابعادها ، وعرف ما ابتلي به الانسان من الأمراض والآفات لقد
ابتلي الانسان بالجهل والغرور والكبرياء والجشع والطمع ، وطول الأمل
وغير ذلك مما يدفعه الى الاغراق في المعاصي واقتراف الآثام والانحراف
عن طريق الحق ، وعدم الاستقامة في سلوكه ، درس الامام (ع) هذه
الأمراض فوضع لها العلاج الحاسم ، ووصف لها الدواء السليم الذي يقضي
على جراثيمها ، واذا اخذ الانسان بهذه الوصفة فانه يعود انساناً مثالياً
مهذباً ، قد صان نفسه ، واتصل بخالقه الذي اليه مرجعه ومآله ، ولولا
خوف الاطالة لشرحنا بنودها شرحاً مفصلاً ، ودللتنا على ما فيها من
الحكم والأسرار .

مركز تحقيق التراث

وصيته لرجل :

وقد عليه رجل من المسلمين وطلب منه أن يمنحه بوصية يسير على
ضوئها فقال (ع) له :

« هيىء جهازك ، وقدم زادك ، وكن وصي نفسك . » (٣٧٤)
لقد دله على ما يقربه الى الله زلفى ، وما يضمن له السلامة في دار
البقاء والخلود ، ان الانسان اذا هيىء جهازه وقدم زاده كان على سلامة
من دينه ، وضمن آخرته .

(٣٧٤) تاريخ دمشق ٥١ / ٣٨ .

وصيته لبعض اصحابه :

وأراد بعض أصحاب الامام (ع) السفر فزوده (ع) بهذه الوصية القيمة ، قال له :

« لا تسير سيراً وأنت حافي ، ولا تنزل عن دابتك ليلاً لقضاء حاجة إلا ورجلك في خف ، ولا تبول في نفق ، ولا تذوقن بقلة ولا تشمها حتى تعلم ما هي ، ولا تشرب من سقاء حتى تعرف ما فيه ، واحذر من تعرف ولا تصحب من لا تعرف . . » (٣٧٥)

لقد أوصاه الامام (ع) بالمناهج الصحية ، والدروس الاخلاقية التي تضمن له الصحة والسلامة .

أما ما يتعلق بالصحة والوقاية من الأمراض فهي :

أ - امره أن لا يسير حافياً ، فإن المشي حافياً كثيراً ما يجلب للإنسان بعض الأمراض التي انتشرت جراثيمها في الارض ، وهي بما تنفذ بسرعة الى مسام القدمين مثل البهارزيا .

ب - أوصاه أن لا ينزل من دابته في الليل حافياً لقضاء حاجته لأنه لا يؤمن أن تلمذه بعض هوام الأرض الكامنة في التراب ، وهو لا يدري .

ج - حذره من أن يبول في النفق لأنه غالباً ما تكمن فيه بعض الحيوانات القاتلة فتنسب إليه ، وتسبب هلاكه .

د - نهاه من تناول أحد البقول المنتشرة في الصحراء ، ما لم يعرفها فإنها قد تكون سامة وهو لا يعلم فتسبب تسممه وتؤدي بحياته أو مرضه .

هـ - نهاه عن الشرب من السقاء حتى يعلم ما فيه لأنه قد يكون شرباً فاسداً ومضراً بصحته فيسبب هلاكه أو سقمه ، هذه بعض المناهج

(٣٧٥) تذكرة ابن حمدون (ص ٢٧) .

الصحية التي امره بها واما الدروس الاخلاقية فقد اوصاه بأمرين :

١ - ان يحذر من يعرف ، فلا يبيع له بأمراره ، كما ان عليه ان يحسن صحبته خوفاً منه ، فان السفر يكشف عن حقيقة الشخص ، ويظهر كوامن سره ، وكم سافر جماعة كانت بينهم اعمق المودة فعادوا وهم اعداء يلعن بعضهم بعضاً ، فعلى الانسان المستقيم أن يكون في سفره على حذر ممن يعرفه ، ومن لا يعرفه .

٢ - نهاه عن السفر مع من لا يعرف ، فانه قد يسبب له كثيراً من المشاكل التي قد تؤدي الى هلاكه ، وقد وقع ذلك بكثرة للمسافرين مع من لا يعرفونهم . . . هذه بعض وصايا القيمة .

مواعظه :

ووجه الامام أبو جعفر (ع) الى شيعته المواعظ التي وعظ بها الأوصياء أهم فحذرهم من غرور الدنيا وقتنها ، وبصرهم صولة الدهر ، وفجائع الأيام ، ودعاهم الى التفكير والتبصر فيما يصيرون اليه من مفارقة الدنيا الى القبور المظلمة ، واللجود الموحشة التي لا ينفع فيها إلا ما ادخره الانسان من العمل الصالح ، وهذه بعض مواعظه :

١ - قال (ع) : « أيها الناس إنكم في هذه الدار اغراض تنتضل فيكم المنايا ، لن يستقبل أحد منكم يوماً جديداً من عمره إلا بانقضاء آخر من أجله ، فأية اكلة ليس فيها غصص ؟ أم أي شربة ليس فيها شرق ؟ استصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه ، فان اليوم غنيمة ، وغداً لا تدري لمن هو ، أهل الدنيا في سفر يحملون عقد رحالهم في غيرها ، قد خلت منا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله .

أين الذين كانوا أطول أعماراً منكم وأبعد آمالاً ؟ اأتاك يابن آدم

ما لا ترده ، وذهب عنك ما لا يعود ، فلا تعدن عيشاً منصرفاً عيشاً ،
مالك منه إلا لذة تزداف بك الى حمامك ، وتقربك من أجلك ؟ فكأنك
قد صرت الحبيب المفقود ، والسواد المخترم ، فعليك بذات نفسك ، ودع
ما سواها ، واستعن بالله يعنك . . » (٣٧٦)

٢ - وحضر عنده جماعة من الشيعة فوعظهم ، وحذرهم عقاب الله ،
فلم يحفلوا بكلامه فغاضه ذلك ، واطرق برأسه ملياً الى الارض ، ثم رفع
رأسه ، فجعل يعاتبهم ، ويعظمهم مرة أخرى قائلاً :

« إن كلامي لو وقع طرف منه في قلب أحدكم لصار ميتاً ، الا
يا أشباحاً بلا أرواح وذباباً بلا مصباح كأنكم خشب مسندة ، وأصنام
مريدة ، ألا تأخذون الذهب من الحجر ، إلا تقتبسون الضياء من
النور الأزهر ، ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر ، خذوا الكلمة الطيبة من
قالها وإن لم يعمل بها ، فإن الله يقول : « الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه أولئك الذين هداهم الله » (٣٧٧)

ويحك يا مغرور ألا تحمد من تعطيه فانياً ، ويعطيك باقياً ، درهم
يفنى بعشرة تبقى الى سبعمائة ضعف مضاعفة من جواد كريم أنك الله
عند مكافأة هو مطعمك وساقيك ، وكاسيك ، ومعافيك ، وكافيك ، وساترك
من يراعيك ، من حفظك في ليلك ونهارك ، وأجابك عند اضطرارك ،
وعزم لك على الرشيد في اختبارك ، كأنك قد نسيت ليالي أوجاعك وخوفك ،
دعوته فاستجاب لك فاستوجب به جميل صنيعه الشكر فنسيته فيمن ذكر ،
ونخالفته فيما أمر ، ويلك انما أنت لص من لصوص الذنوب ، كلما

(٣٧٦) تحف العقول (ص ٢٩٩) الكامل للمبرد ١ / ١٢٧ .

(٣٧٧) سورة الزمر ، آية ١٨ .

عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت اليه ، وأقدمت بهجلك عليه ،
فأرتكبه كإنك لست بعين الله أو كأن الله ليس لك بالمرصاد ۱ ۱ ۱
يا طالب الجنة ما أطول نومك ، وأكل مطيتك ، وأوهى همتك فله
أنت من طالب ومطلوب ، ويا هارباً من النار ما أحت مطيتك اليها ،
وما اكسبك لها يوقعك فيها ۱ ۱ ۱

انظروا الى هذه القبور سطوراً بافناء الدور ، تدانوا في خططهم ، وقربوا
في مزارهم ، وبعثوا في لقائهم ، عمروا فخرها ، وانسوا فأوحشوا وسكنوا
فأزعجوا ، وقنطوا فرحلوا ، فمن سمع بدان بعيد وشاحط (٣٧٨) قريب
وعامر بخرب ، وآنس موحش ، وساكن مزعج ، وقاطن مرحل غير أهل
القبور ۱ ۱ ۱

يابن الأيام الثلاثة : يومك الذي ولدت فيه ، ويومك الذي تنزل
فيه قبرك ، ويومك الذي تخرج فيه الى ربك ، فيما له من يوم عظيم يا ذوي
الهيئة للعجبة والهييم المعطنة (٣٧٩) مالي أرى أجسامكم عامرة ، وقلوبكم
دامرة اما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه ، وما أنتم اليه صائرون لقلتم :
« يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » (٣٨٠) قال
جبل من قائل : « بل بدالهم ما كانوا يخفون . . ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه وانهم لكاذبون (٣٨١) » (٣٨٢) .

(٣٧٨) الشاحط : البعيد .

(٣٧٩) الهييم : الأبل العطاش ، المعطنة : الأبل التي رويت ثم بركت

(٣٨٠) سورة الانعام : آية ٢٧ .

(٣٨١) سورة الانعام : آية ٢٨ .

(٣٨٢) تحف العقول (ص ٢٩١ - ٢٩٢) .

لقد انكر الامام أبو جعفر (ع) على هؤلاء القوم انصرفهم عن وعظه ، وارشاداته الهادفة الى استقامتهم وحسن سلوكهم ، وظفرهم بخير الدنيا والآخرة ، وقد وجه اليهم هذه الموعدة البالغة فدعاهم الى الله ، والتمسك بطاعته ، فانه بيده الخير والحرمان .

لقد وعظهم بهذه المواعظ التي تخشع لها النفوس ، وتتوجل منها القلوب ليرجعهم الى حظيرة الايمان وواقع الاسلام .

٣ - ووعظ الامام بعض اصحابه فأحاطه علماً بواقع هذه الحياة فقال (ع) له :

« انزل الدنيا كمنزل نزلته وارتحلت عنه ، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت ، وليس معك منه شيء . » (٣٨٣)

ان الانسان لو نظر الى الدنيا بهذه النظرة الصائبة ، وتعرف على واقعها وحالها لما أصيب بداء الغرور والأنانية ، والجشع والطمع وغير ذلك من الآفات النفسية التي تضل عن طريق الحق .

٤ - ومن مواعظه (ع) أنه قال : « ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا وحرّم الله وجه صاحبها على النار ، فان سألت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قطر ولا ذلة ، وما من شيء إلا له جزاء إلا الدمة فان الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا . . » (٣٨٤)

لقد دعا (ع) الى البكاء من خشية الله فانه من علامة الايمان ، وهو يكشف عن اتصال العبد بربه وخالقه .

٥ - قال (ع) : « أكثر من ذكر الموت فانه لم يكثر انسان ذكر

(٣٨٣) مرآة الجنان ١ / ٢٤٨ ، شذرات الذهب ١ / ١٤٩ .

(٣٨٤) اخبار الدول (ص ١١) .

الموت إلا زهد في الدنيا . » (٣٨٥)

ان الانسان متى ذكر الموت ، وجعله أمام عينيه فانه يزهد في هذه الدنيا ، وينصرف عن مباحيها ، وملاذها .

٦ - وسئل الامام أبو جعفر عن أشد الناس زهداً ؟ فقال (ع) :
من لا يبالي الدنيا في يد من كانت ، فقيل له : من أخسر الناس صفقة ؟
فقال (ع) : من باع الباقي بالفاني ، فقيل له : من اعظم الناس قدراً ؟
فقال (ع) : من لا يرى الدنيا لنفسه قدراً (٣٨٦) .

٧ - ووعظ (ع) اصحابه فقال لهم : « إن الله تعالى يقول : يا بن آدم تطولت عليك بثلاث : سترت عليك ما لو يعلم به اهلك ما داروك ، وأوسعت عليك فاستقرضت منك فلم تقدم خيراً ، وجعلت لك نظرة في ثملك فلم تقدم خيراً . » (٣٨٧)

هذه بعض النماذج من مواظبه القيمة وقد ساقها (ع) الى معالجة النفوس وتهذيبها ، وكانت هذه الظاهرة التربوية من ابرز القيم في تعاليم أئمة أهل البيت (ع) .

فضل العقل :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) عن فضل العقل ، وانه من اعظم ما خلق الله تعالى قال (ع) :

« لما خلق الله العقل استنطقه ، ثم قال له : اقبل فاقبل ، ثم قال له : ادبر فادبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي

(٣٨٥) جامع السعادات ٢ / ٦١ .

(٣٨٦) البيان والتبيين ٣ / ١٦١ .

(٣٨٧) الحُصَال (ص ١٣١) .

منك ، ولا اكملتك إلا فيمن أحب أما اني إياك أمر ، وإياك أنهي ،
وإياك أعاقب ، وإياك أثيب . . » (٣٨٨)

ان بالعقل ترتفع قيمة الانسان ، ولولاه لما كان هناك أي فرق بينه
وبين الحيوان السائم ، وهو من الشرائط الأولية في صحة التكليف
- كما يقول الفقهاء - .

الفطنة :

واشاد الامام أبو جعفر (ع) بالفطنة ، وجعلها المصدر الوحيد
لسمادة الانسان ، وصلاح معيشتة قال (ع) : « صلاح جميع التعايش
والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة ، وثلثه تغافل ، فلم يجعل لغير الفطنة
نصيباً من الخير ، ولا حظاً في الصلاح لأن الانسان لا يتغافل إلا عن
شيء قد فطنه وعرفه . » (٣٨٩)
وما أروع هذه الكلمة ، وقد علق عليها بعض العلماء فقال : انها
جمعت صلاح شأن الدنيا بعدا فورها .

اجالة الفكر :

ودعا (ع) الى اجالة الفكر وانطلاقه قال (ع) : « باجالة الفكر
يستدر الرأي المشب . . » (٣٩٠)

وهذه الكلمة من روائع الحكم فان الرأي الأصيل والسديد انما يصل

(٣٨٨) أصول الكافي ١ / ١٠ .

(٣٨٩) الكامل للمبرد ١ / ٧٦ ، زهر الآداب ١ / ١١٦ ، البيان

والتبيين ٣ / ٩٩ .

(٣٩٠) جامع السعادات ١ / ١٦٥ .

اليه الانسان بعد اجماله فكره في الأمور ، وكذلك الحقائق العلمية
والاختراعات انما هي وليدة التفكير والدراسة للأمور ، فانه من غير الممكن
ان يتوصل الانسان لذلك من دون اجماله الفكر وامعانه .

مكارم الاخلاق :

واهتم الامام- أبو جعفر (ع) بنشر مكارم الاخلاق واذاعتها بين
الناس ، لأنها من العناصر الذاتية في بناء المجتمع الاسلامي ، وقد حفلت
مصادر الحديث وغيرها بالشيء الكثير من كلماته الحكمية ، وفيما يلي ذلك :

١ - الاحسان :

أما الاحسان الى الناس فانه من اوثق الاسباب الى تماسك المجتمع
وترابطه وشيوع المحبة والألفة بين أبنائه ، وقد ندب اليه الاسلام ، وحث
عليه قال الامام أبو جعفر (ع) : « ما تذرع إلي بذريعة ، ولا توسل
بوسيلة هي أقرب الي من يد سائلة مني اليه أتبعتم أختها ليحسن حفظها
وربها لأن منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل ، وما سمحت لي نفسي
برد بكر الخوائج . . » (٣٩١)

ان احب الاشياء الى الامام (ع) مواصلة الاحسان وتكراره ليغرس
به المودة والحب في قلوب الناس .

٢ - فعل المعروف :

وحث الامام (ع) على فعل المعروف الى الناس في كثير من احاديثه ،
ومن بين ما قاله :

(٣٩١) تحف العقول (ص ٢٩٦) .

أ - قال (ع) : « إن الله جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبيب اليهم المعروف وحبيب اليهم فعالة ، ووجه لطلاب المعروف الطلب اليهم ، ويسر اليهم قضاءه كما يسر الغيث للأرض المجذبة ليحييها ويحي أهلها ، وإن الله جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض اليهم المعروف ، وبغض اليهم فعالة وحظر على طلاب المعروف التوجه اليهم ، وحظر عليهم قضاءه كما يحظر الغيث عن الأرض المجذبة ليهلكها ، ويهلك أهلها ، وما يعفو الله عنه أكثر . . » (٣٩٢)

ب - قال (ع) : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة ، وأول أهل الجنة دخولا إلى الجنة أهل المعروف وإن أول أهل النار دخولا إلى النار أهل المنكر . . » (٣٩٣)

٣ - مقابلة المعروف بالاحسان :

وأوصى (ع) أصحابه بمقابلة المعروف بالمزيد من الاحسان قال (ع) : « من صنع مثل ما صنع اليه فقد كافاه . ومن أضعف كان شكوراً ، ومن شكر كان كريماً . ومن علم أنه ما صنع كان إلى نفسه لم يستبطه الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتبس من غيرك شكر ما أتيت به إلى نفسك ، ووقيت به عرضك ، واعلم إن طالب الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك فأكرم وجهك عن رده . . » (٣٩٤)

وبعد ما أوصى (ع) بمقابلة المعروف بالاحسان ، دعا إلى صنع المعروف

(٣٩٢) تحف العقول (ص ٢٩٥) .

(٣٩٣) أمالي الصدوق (ص ٢٢٥) .

(٣٩٤) تحف العقول (ص ٣٠٠) .

بما هو معروف وان لا ينبغي صاحبه جزاءاً ، فانه قد صنع ذلك لنفسه .
ووقى به شرفه وعرضه .

آداب السلوك :

وحدث الامام (ع) على آداب السلوك الاجتماعي مع الناس ، وكان
من بين ذلك .

١ - طلاقة الوجه !

وأمر (ع) بمقابلة الناس بطلاقة الوجه والبشرى بهم قال (ع) :
« البشر الحسن ، وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة ، وقربة من الله ، وعبوس
الوجه ، وسوء البشر مكسبة للمقت ، وبعد من الله . . » (٣٩٥)

٢ - معاملة الناس بالحسنى !

وحدث (ع) على معاملة الناس بالحسنى واجتناب هجر الكلام معهم ،
قال (ع) : « قولوا للناس : أحسن ما يحبون أن يقال : لكم فان الله
يفيض اللعان السباب الطعان على المؤمنين ، الفاحش المتفحش ، السائل
الملحف ، ويحب الحيء الحليم العفيف المتعفف . . » (٣٩٦)

حقوق المسلم :

وأدلى (ع) بالحقوق التي شرعها الاسلام للمسلم تجاه أخيه المسلم ،
قال (ع) :

« احبب أخاك المسلم ، واحبب له ما تحب لنفسك ، واكره له ما

(٣٩٥) تحف العقول (ص ٢٩٦) .

(٣٩٦) تحف العقول (ص ٣٠٠) .

تكره لنفسك ، وإذا احتجت فسله ، وإذا سألك فاعطه ، ولا تدخر عنه خيراً فإنه لا يدخره عنك ، كن له ظهراً فإنه لك ظهر ، إن غاب فاحفظه في غيبته ، وإن شهد فزره ، واجله ، واكرمه فإنه منك ، واثم منه ، وإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسل سخيمته (٣٩٧) وما في نفسه ، وإذا أصابه خير فاحمد الله عليه ، وإن ابتلي فاعضده ، وتمحل له . . . » (٣٩٨) ولو طبق المسلمون هذه التعاليم الحية على واقع حياتهم لصاروا من أقوى شعوب العالم وما تداعت الأمم على غزوهم ، واستعبادهم ، ونهب ثرواتهم . . . لقد انحرفوا عن هذه المبادئ الأصلية فهانوا وذلوا ، وتفرقوا شيعاً واحزاباً « كل حزب بما لديهم فرحون » .

قضاء حاجة المسلم :

ونذب الامام أبو جعفر المسلمين الى قضاء حوائج اخوانهم ، وحذر من تركها ، قال (ع) : « ما من عبد يمتنع عن معونة أخيه الملم ، والسعي له في حاجته قضيت له أو لم تقض إلا ابتلي في حاجة فيما ياثم عليه ، ولا يؤجر ، وما من عبد يبخل بنفقته ينفقها فيما يرضي الله إلا ابتلي بأن ينفق أضعافها فيما أسخط الله . . . » (٣٩٩)

صلة الارحام :

وعنى الاسلام بصلة الارحام ، ونذب إليها لأنها توجب تماسك الأسرة وارتباطها ، وتعود على الأمة باروع الثمرات ، وقد حث عليها الامام أبو جعفر (ع) قال (ع) : « صلة الأرحام تزكي الأعمال ، وتنمي الأموال ،

(٣٩٧) السخيمة : الضغينة

(٣٩٨) أمالي الصدوق (ص ٢٨٨) .

(٣٩٩) تجف العقول (ص ٢٩٢) .

وتدفع البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسى في الأجل . . » (٤٠٠)

الصدقة :

وأكد الامام (ع) على الصدقة ، وذكر الفوائد التي يظفر بها المتصدق ، وقد أدلى بذلك امام اصحابه قال (ع) : « إلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه يبعد السلطان ، والشيطان منكم » فقال له أبو حمزة : « بلى أخبرنا حتى نفعله . »

قال (ع) : « عليكم بالصدقة فبكروا بها ، فإنها تسود وجه ابليس ، وتكسر شره السلطان الظالم عنكم في يومكم ذلك ، وعليكم بالحب لله والتودد والموازرة على العمل الصالح فإنه يقطع دابرهما - يعني الشيطان والسلطان - والخوا في الاستغفار فإنه محبة للذنوب . . » (٤٠١)

العطف على اليتيم :

ودعا الامام (ع) الى العطف على اليتيم والبر بالضعيف قال (ع) : « اربع من كن فيه بنى له الله بيتا في الجنة من أوى اليتيم ، ورحم الضعيف واشفق على والديه ، ورفق بمملوكه . . » (٤٠٢)

محاسن الصفات :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) عن محاسن الصفات التي تقرب الانسان من الله ، وتبعده عن سخطه وعذابه قال (ع) : « أربع من كن فيه كمل اسلامه ، وأعين على إيمانه ، ومحصت ذنوبه ، ولقى الله عز وجل ،

(٤٠٠) تحف العقول (ص ٢٩٨) .

(٤٠١) تحف العقول (ص ٢٩٨) .

(٤٠٢) الخصال (ص ٢٠٤) .

وهو عنه راض ، ولو كان فيما بين قرنه الى قدميه ذنوب حطها الله عنه ، وهي : الوفاء بما يجمل الله على نفسه ، وصدق اللسان مع الناس ، والحياة بما يقبض عند الله ، وعند الناس ، وحسن الخلق مع الأهل والناس ، وأربع من كن فيه من المؤمنين أسكنه الله تعالى في أعلى عليين في غرف فوق الغرف : من آوى اليتيم ، ونظر له ، وكان له أبا ، ومن رحم الضعيف ، وأعانته وكفاه ، ومن أنفق على والديه ، وترفق بهما ، وسرهما ولم يحزنهما ، ومن لم يخرق مملوكه فأعانه على ما يكلفه . . » (٤٠٣)

لقد أمر الامام (ع) بكل ما يقرب الانسان من ربه ، وقد ارشده الى محاسن الاعمال التي يحبها الله ، ويجزل عليها ثوابه ، وتستوجب المزيد من الطافه .

الصمت :

ودعا (ع) الى الصمت وعدم الخوض فيما لا يكسب فيه الانسان فائدة أو خيراً قال (ع) : « إن هذا اللسان مفتاح كل خير وشر ، فينبغي للمؤمن أن يختم لسانه كما يختم على ذهبه وفضته ، فان رسول الله (ص) قال : (رحم الله مؤمناً أمسك لسانه من كل شر فان ذلك صدقة منه على نفسه) لا يسلم أحد من الذنوب حتى يحزن لسانه . . » (٤٠٤)

مساوى الصفات والأعمال :

وحذر الامام (ع) من الاتصاف بالصفات السيئة ، والاعمال المنكرة ، وهذا بعض ما أثر عنه :

(٤٠٣) الدر النظيم (ص ١٩١) .

(٤٠٤) تحف العقول (ص ٢٩٨) .

١ - قال (ع) : « ما دخل قلب أمرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل ذلك أو كثر . . » (٤٠٥)

وقال (ع) : « المتكبر ينازع الله رداه » (٤٥٦) .

ان الكبرياء ينم عن الجهل ونقصان العقل ، فإن الانسان لو عرف مآله وما يصير اليه من مفارقة هذه الحياة ، ونسيان ذكره ، واستبحالة جسمه الذي يزهبه الى كتلة من التراب المهيّن ، لو ادرك ذلك وتبصر فيه لما تكبر على خلق الله .

٢ - وذم الامام (ع) الانسان المنافق الذي يكون ذا وجهين ولسانين

قال (ع) : « بشس العبد عبد يكون ذا وجهين ، وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً ، ان أعطي حسده ، وان أبتلي نخذه . . » (٤٠٧)
ان هذا الانحراف يكشف عن خبث السريرة ، وسوء الطوية ، وان صاحبه لا يخلق له ، ولا إيمان له بربه .

٣ - وحذر الامام من الانصاف بالصفات التالية قال (ع) : « ما

أقبح الأسر عند الظفر ، والتكأبة عند الثائبة ، والغلظة على الفقير ، والقسوة على الجار ، ومشاحة القريب ، والخلاف على الصاحب ، وسوء الخلق على الأهل ، والاستطالة بالقسوة ، والجشع مع الفقر ، والغيبة للجليس ، والكذب في الحديث ، والسعي بالمتكر ، والغدر من السلطان ، والخلق من ذوي المرأة ، من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، صلاح من جهل الكرامة في هوانه ، المسترسل مرقى ، والمحتشم ملقى . . » (٤٠٨)

(٤٠٥) صفة الصفوة ٢ / ٦١ ، حلية الأولياء ٣ / ١٨٠ .

(٤٠٦) تحف العقول

(٤٠٧) أمالي الصدوق (ص ٣٠) .

(٤٠٨) تذكرة ابن حمدون (ص ٦٠) .

ومن تجنب هذه الصفات فقد تجلى بمعالي الاخلاق الرفيعة وصار
من أفذاذ الناس وخيارهم .

٤ - ونهى الامام (ع) عن ارتكاب ما يلي قال (ع) : « ثلاث
خصال : لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن ، البغي وقطيعة الرحم ،
واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم ،
وإن القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتتعمى أموالهم ، ويشرون ، وإن اليمين
الكاذبة وقطيعة الرحم ليزدران الديار بلاقع من أهلها . . » (٤٠٩)

٥ - وكره الامام (ع) اتصاف الانسان بما يلي من الصفات قال
عليه السلام : « أربعة اسرع شيء عقوبة : رجل أحسنت اليه ، ويكافيك
بالاحسان اليه اسامة ، ورجل لا تبغي عليه ، ويبغي عليك ، ورجل عاهدته
على أمر فمن أمرك الوفاء له ، ومن أمره الغدر بك ، ورجل يصل قرابته
ويقطعونه . . » (٤١٠)

٦ - وحذر الامام (ع) من شرب الخمر الذي هو من أعظم المحرمات
قال (ع) : « إن مدمن الخمر كعابد وثن ، ويورثه الارتعاش ، ويهدم
مروءته ، ويحمله على التجسر على المحرمات من سفك الدماء ، وركوب
الزنا . . » (٤١١)

إن الخمر مصدر لكل رذيلة وموبقة ، وهو من الآفات الاجتماعية ،
التي تسبب فقدان الشرف ، والوقوع في جميع المحرمات ، أما اضراره
الجسمية فقد تحدثنا عنها في بعض مؤلفاتنا .

(٤٠٩) تحف العقول (ص ٢٩٤) .

(٤١٠) الخصال (ص ٢١٠) .

(٤١١) البحار ١٦ / ٧٧١ .

٧ - وذم الامام (ع) الفاحش بقوله : « ان الله يبغض الفاحش المتفحش » (٤١٢) .

الغيبة والبهتان :

وفرق الامام (ع) بين الغيبة والبهتان بقوله : « من الغيبة أن تقول : في أخيك ما ستره الله عليه ، فاما الأمر الظاهر منه مثل الحدة والعجلة فلا بأس أن تقول ، وان البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه . . » (٤١٣)

الغضب وعلاجه :

وحذر الامام (ع) من الغضب ووضع له علاجاً قال (ع) : « ان هذا الغضب حجرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم ، وان أحدكم إذا غضب أحمرت عيناه وأنتفخت أوداجه ، ودخل الشيطان فيه ، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض ، فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك . » (٤١٤) .

وقد شدد الامام أبو جعفر في أمر الغضب ، وحذر من عواقبه قال الامام الصادق (ع) : كان أبي يقول : أي شيء أشد من الغضب ، ان الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ، ويقذف المحصنة (٤١٥) . وقال الامام أبو جعفر (ع) : « ان الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار . . » (٤١٦)

(٤١٢) تحف العقول (ص ٢٩٦) .

(٤١٣) تحف العقول (٢٩٨) .

(٤١٤) و (٤١٥) و (٤١٦) جامع السعادات ١ / ٢٨٩ .

العجب :

قال (ع) : « عجباً للمختال الفخور ، انما خلق من نطفة ثم يعود جيفة ، وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به » .

أدعيته :

وفي أدعية أئمة أهل البيت (ع) تراث رائع ، ومناجم اخاذة تكمن فيها جواهر الحكم والآداب وهي تمثل مدى اتجاه الأئمة (ع) نحو الله ، وإتصالهم به ، وانقطاعهم اليه ، كما تمثل الرصيد الروحي الذي يملكونه من النسك والتقوى والحريجة في الدين ، وبالإضافة لذلك فإنها من الثروات الكبرى للاخلاق والفلسفة وعلم الكلام ، . . وقد أثرت عن الامام أبي جعفر (ع) كثير من الادعية ، وهذه بعضها :

١ - روى هذا الدعاء أبو حمزة الثمالي عن الامام أبي جعفر ، وكان يسميه (بالجامع) وقد جاء فيه بعد البسملة : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، آمنت بالله وبجميع رسول الله وبجميع ما أنزل به رسل الله ، وإن وعد الله حق ، ولقائه حق ، وصدق الله ، وبلغ المرسلون ، والحمد لله رب العالمين ، وسبحان الله كلما سبج الله شيء ، وكما يحب الله أن يسبح ، والحمد لله كلما حمد الله شيء ، وكما يحب الله أن يحمد ، ولا إله إلا الله كلما هلل الله شيء ، وكما يحب الله أن يهلل ، والله أكبر كلما كبر الله شيء ، وكما يحب الله أن يكبر .

اللهم : اني اسألك مفاتيح الخير ، ونحواته ، وشرايعه وسوابقه ، وفوائده وبركاته ، وما بلغ علمه علي ، وما تصر عن احصائه حفظي ، اللهم انهج لي أسباب معرفته ، وأفتح لي أبوابه ، وغشني بركات رحمتك ،

ومن عليّ بمصمة من الشيطان الرجيم وما يريدني عن الازالة عن دينك ، وطهر قلبي من الشك ، ولا تشغل قلبي بدنيائي ، وعاجل معاشي عن أجل ثواب آخرتي واشغل قلبي بحفظ ما لا تقبل مني جهله ، وذلك لكل خير لسانني وطهر قلبي من الرياء ، ولا تجره في مفاصلي ، واجعل عملي خالصاً لك .

اللهم : إني أعوذ بك من الشر وأنواع الفواحش كلها ظاهرها وباطنها وغفلاتها وجميع ما يريدني به السلطان العنيد بما أحطت بعلمه وأنت القادر على صرفه عني . . . اللهم إني أعوذ بك من طوارق الجن والانس وزواجرهم وتوابعهم ، وبوائقهم ، ومكائدهم ، ومشاهد الفسقة من الجن والانس وإن استزل عن ديني فتفسد عليّ آخرتي ، ويكون ذلك منهم ضرراً عليّ في معاشي ، أو بعرض بلام يصيبني منهم لا قوة لي به ، ولا صبر لي على احتماله ، فلا تبتلني يا الهي بمقاساته فيمنعني ذلك من ذكرك ، ويشغلي عن عبادتك ، أنت العاصم للمائع ، والدافع للواق من ذلك كله ، واسألك اللهم الرفاهية في معيشتي ما أبقيتني في معيشة أقوى بها على طاعتك ، وأبلغ بها رضوانك ، وأصير بها منك إلى دار الحيوان غداً ، ولا ترزقني رزقاً يطفئني ، ولا تبتلني بفقر أشقى به مضيقاً عليّ اعطني حظاً وافراً في آخرتي ، ومعاشاً واسعاً هنيئاً مريئاً في دنياي ، ولا تجعل الدنيا عليّ سجنأ ، ولا تجعل فراقها عليّ حزنأ ، اخرجني من فتنها مرضياً عني ، واجعل عملي فيها مقبولاً ، وسعي فيها مشكوراً .

اللهم من أرادني بسوء فارده بمثله ومن كادني فيها فكده ، واصرف عني همّ من ادخل عليّ همه ، وامكر بمن مكر بي فانك خير للماكرين ، وافقاً عني عيون الكفرة والظلمة ، والطفأة الحسدة ، اللهم وانزل عليّ منك

السكينة والوقار ، والبسني درعك الحصينة ، واحفظني بسترِكَ الوافي ، واجعلني
 في عافيتك النافعة ، وصدق قولي وفعالي ، وبارك لي في ولدي واهلي ، ومالي ،
 وما قدمت وأخرت ، وما أغفلت ، وما تعمدت ، وما توانيت ، وما أسررت ،
 فاعفري برحمتك يا أرحم الراحمين . . » (٤١٧)

ويكشف هذا الدعاء عن مدى انقطاع الامام الى الله ، وشدة اتصاله
 به ، فقد الجأ جميع أموره إليه ، واستعاذ به من فتن الدنيا ، وغرورها ،
 خوفاً ان تصده عن ذكره تعالى .

٢ - روى الربيع عن عبد الله بن عبد الرحمن عن الامام أبي جعفر
 عليه السلام انه قال له :

« إلا أعلمك دعاءً لا ندعو به نحن أهل البيت اذا اكرهنا أمر ،
 وتخوفنا من شر السلطان إلا قبل لنا به . . »
 « بلى يا أبي أنت وامي . . »

« قل : يا كائناً قبل كل شيء ، ويا مكيون كل شيء ، ويا باقي بعد
 كل شيء صل على محمد واهل بيته . . ثم تذكر حاجتك . . » (٤١٨)
 وذكرت له ادعية أخرى ، وهي تدال على مدى روحانيته ، وعظيم
 اتصاله بخالقه .

الحث على الدعاء :

وحث الامام (ع) على الدعاء الى الله ، قال (ع) : « ان الله كره
 الحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة ، واحب ذلك لنفسه جل ذكره

(٤١٧) مهج الدعوات (ص ٢١٣ - ٢١٥) .

(٤١٨) مهج الدعوات (ص ٢١٥) .

ان يسأل ، ويطلب ما عنده . . » (٤١٩)

روائع الحكم :

وأثرت عن الامام أبي جعفر (ع) روائع الحكم القصار الحافلة بالقيم
الكريمة والحكم الصائبة والتجارب النافعة ، وهذه بعضها :

١ - قال (ع) : « إن استطعت أن لا تعامل أحداً إلا ولك الفضل
عليه فافعل . . »

٢ - قال (ع) : « صانع المنافق بلسانك ، واخلص مودتك للمؤمن ،
وان جالسك يهودي فاحسن بحالسته . . »

٣ - قال (ع) : « ما شيب شيء بشيء أحسن من حلم يعلم . . »

٤ - قال (ع) : « قم بالحق ، واعتزل ما لا يعينك ، وتجنب عدوك ،
واحذر صديقك من الاقوام ، إلا الأمنين من نخشي الله ، ولا تصحب
الفاجر ، ولا تطلعه على شرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله . . »

٥ - قال (ع) : « ~~صحية عشرين سنة~~ قرابة . . »

٦ - قال (ع) : « في كل قضاء الله خير للمؤمن . . »

٧ - قال (ع) : « من لم يجهل الله له من نفسه واعظاً فان مواعظ
الناس لن تغني عنه شيئاً . . »

٨ - قال (ع) : « من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه . »

٩ - قال (ع) : « كم من رجل لقي رجلاً فقال له : أكتب الله
عدوك ، وماله من عدو إلا الله . »

١٠ - قال (ع) : « ما عرف الله من عصاه ، وإنشد . »

تعصي الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرك في الفعال بديع

(٤١٩) تحف العقول .

لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن أحب مطيع
١١ - قال (ع) : « إنما مثل الحاجة الى من اصاب مالا حديثاً -
يعني به مستحدث النعمة - كمثل الدرهم في قم الأفعى أنت اليه
عوج ، وأنت منها على خطر . . »

١٢ - قال (ع) : « اعرف المودة في قلب أخيك بماله في قلبك . . »

١٣ - قال (ع) : « الايمان حب وبغض . . »

١٤ - قال (ع) : « أربع من كنوز البر كتمان الحاجة ، وكتمان

الصدقة ، وكتمان الوجع ، وكتمان المصيبة . . »

١٥ - قال (ع) : « من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته

زيد في رزقه ، ومن حسن برة في أهله زيد في عمره . . »

١٦ - قال (ع) : « من استفاد اخاً في الله على ايمان بالله ووفاء

باخائه طلباً لمرضات الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله ، واماناً من

عذاب الله وحجة يفلج بها يوم القيامة ، وعزاً باقياً ، وذكرأ نامياً لأن

للمؤمن من الله عز وجل لا موصول ، ولا مفصول ، قيل له : ما معنى لا

موصول ، ولا مفصول ؟ قال (ع) : لا موصول به انه هو ، ولا مفصول

منه ، انه من غيره . . »

١٧ - قال (ع) : « كفى بالمرء غشاً لنفسه ان يبصر من الناس

ما يعمى عليه من أمر نفسه أو يعيب غيره بما لا يستطيع تركه ، أو

يؤذي جليسه بما لا يعنيه . . »

١٨ - قال (ع) : « التواضع : الرضا بالمجلس دون شرفه ، وان

تسلم على من لقيته ، وان تترك المراء ، وان كنت محقاً . . »

١٩ - قال (ع) : « إن المؤمن اخو المؤمن ، لا يشتمه ، ولا يجرمه ،

ولا يسيء به الظن . . »

٢٠ - قال (ع) : « من قسم له الخرق (٤٢٠) حجب عنه الايمان . . »

٢١ - قال (ع) : « ان الله عقوبات في القلوب ، والابدان ، ضنك

في المعيشة ، ووهن في العبادة ، وما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب . . »

٢٢ - قال (ع) : « اذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الصابرون ؟

فيقوم فثام (٤٢١) من الناس ، ثم ينسادي مناد اين المتصبرون ؟ فيقوم فثام من الناس ، فقليل له :

« ما الصابرون والمتصبرون ؟ »

قال (ع) : الصابرون على اداء الفرائض ، وللمتصبرون على ترك

المحارم . . »

٢٣ - قال (ع) : « يقول الله : يا ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك

تكن من أورع الناس . . »

٢٤ - قال (ع) : « أفضل العبادة عفة البطن والفرج . . »

٢٥ - قال (ع) : « الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ذهب

أحدهما تبعه صاحبه . . »

٢٦ - قال (ع) : « ان هذه الدنيا تعاطاها البر والفاجر ، وان هذا

الدين لا يعطيه الله إلا أهل خاصته . . »

٢٧ - قال (ع) : « إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض ، ولا

يعطي دينه إلا من يحب . . »

(٤٢٠) الخرق : ضعف العقل .

(٤٢١) الفثام : الجماعة من الناس .

٢٨ - قال (ع) : « لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً ، ولو يعلم المسؤول ما في المنع ما منع أحد أحداً . . »

٢٩ - قال (ع) : « إن لله عبادة ميامين مياسير يعيشون ، ويعيش الناس في أكنافهم وهم في عبادة مثل القطر ، والله عباد ملاعين مناكيد لا يعيشون ، ولا يعيش الناس في أكنافهم ، وهم في عبادة مثل الجراد لا يتعون على شيء إلا أتوا عليه . . »

٣٠ - قال (ع) : « ان الله يحب افشاء السلام . . » (٤٢٢)

٣١ - قال (ع) : « لكل شيء آفة ، وآفة العلم النسيان . . » (٤٢٣)

٣٢ - قال (ع) : « اللهم اعني على الدنيا بالغي ، وعلى الآخرة بالتقوى » (٤٢٤) .

٣٣ - قال (ع) : « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره . . » (٤٢٥)

٣٤ - قال (ع) : « سلاح اللثام قبيح الكلام . . » (٤٢٦) ونظم بعض الشعراء هذه الحكمة الرائعة بقوله :

لقد صدق الباقر المرتضى سليل الامام عليه السلام

بما قال : في بعض الفاظه قبيح الكلام سلاح اللثام (٤٢٧)

(٤٢٢) هذه الحكم القيمة أخذت من تحف العقول (ص ٢٩٢ - ٣٠٠) .

(٤٢٣) البداية والنهاية ٩ / ٣١٠ .

(٤٢٤) البيان والتبيين ٣ / ٢٢٢ .

(٤٢٥) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ / ٣٠٠ .

(٤٢٦) حلية الأولياء ٣ / ١٨٤ ، صفة الصفوة ٢ / ٦١ .

(٤٢٧) الاتحاف بحب الاشراف (ص ٥٣) .

٣٥ - قال (ع) : « الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب
الذاكر . » (٤٢٨)

٣٦ - قال (ع) : « اشد الاعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ،
وانصافك من نفسك ، ومواساة الأخ في المال . . » (٤٢٩)

٣٧ - قال (ع) : « لا يكون المعروف معروفاً إلا باستصغاره وتعجيله
وكتمانه » (٤٣٠) .

٣٨ - قال (ع) : « ان من الصدق في السنة التجاني في الدين
لأهل المروءات » (٤٣١) .

٣٩ - قال (ع) : « ما احسن الحسنات بعد السيئات ، وما اقبح
السيئات بعد الحسنات . . » (٤٣٢)

٤٠ - قال (ع) : « من اصاب مالا من أربع لم يقبل منه في أربع ،
من اصاب مالا من غلول أو ربا أو خيانة أو سرقة ، لم يقبل منه في زكاة ،
ولا في صدقة ولا في حج ، ولا في عمرة . » (٤٣٣)

٤١ - قال (ع) : « لا يقبل الله عز وجل حجاً ولا عمرة من مال

(٤٢٨) حلية الأولياء ٣ / ١٨١ ، صفة الصفوة ٢ / ٦٠ ، سير اعلام

النبلاء ٤ / ٢٤٢ ، مرآة الزمان ٥ / ٧٨ .

(٤٢٩) حلية الاولياء ٣ / ١٨٣ .

(٤٣٠) الاخبار للوفقيات (ص ٤٠٠) .

(٤٣١) المردة للحرزباني ٢ / ب ، من مصورات مكتبة العلامة السيد

مهدي الخراسان .

(٤٣٢) امالي الصدوق (ص ٢٢٤) .

(٤٣٣) امالي الصدوق (ص ٢٩٦) .

حرام . . » (٤٣٤)

٤٢ - قال (ع) : « من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه . » (٤٣٥)

٤٣ - قال (ع) : « ان الكذب هو حراب الايمان . . » (٤٣٦)
٤٤ - قال (ع) : « كان لي أخ في عيني عظيماً ، وكان الذي عظمه صغر الدنيا في عينيه . . » (٤٣٧)

٤٥ - قال (ع) : لأصحابه يدخل احدكم يده في كيس صاحبه فيأخذ ما يريد ؟ فقالوا له : لا ، فقال (ع) : لستم اخواناً كما تزعمون . (٤٣٨)

٤٦ - قال (ع) : « شر الآباء من دعاه البر الى الافراط ، وشر الأبناء من دعاه التقصير الى الحقوق . . » (٤٣٩)

٤٧ - قال (ع) : « عظموا أصحابكم ، ووقروهم ، ولا يتهجم بهضكم على بعض . . » (٤٤٠)

٤٨ - قال (ع) : « ما من نكبة تصيب العبد الا بذنب . . » (٤٤١)

(٤٣٤) امالي الصدوق (ص ٢٩٦) .

(٤٣٥) امالي الصدوق (ص ٢٩٦) .

(٤٣٦) اصول الكافي ٢ / ٣٣٩ .

(٤٣٧) مرآة الجنان ١ / ٢٤٨ .

(٤٣٨) صفة الصفوة ٢ / ٦٣ .

(٤٣٩) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٣ .

(٤٤٠) اصول الكافي ٢ / ١٧٣ .

(٤٤١) اصول الكافي ٢ / ٢٦٩ .

- ٤٩ - قال (ع) : « إن الله قضى قضاءً حتماً ألا ينعم على العبد نعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النعمة . . » (٤٤٢)
- ٥٠ - قال (ع) : « لو صمت النهار لا افطر ، وصليت الليل لا أفتر ، وانفقت مالي في سبيل الله علماً ، علماً ، ثم لم تكن في قلبي حبة لاوليائه ، ولا بغضة لاعدائه ما نفني ذلك شيئاً . . . » (٤٤٣)
- ٥١ - سأل زرارة الامام أبا جعفر (ع) قال له : ما الحنيفية ؟ قال عليه السلام : هي الفطرة التي فطر الناس عليها . . . فطرهم على معرفته . . » (٤٤٤)
- ٥٢ - قيل للامام أبي جعفر (ع) : اتعرف شيئاً خيراً من الذهب ؟ قال (ع) : نعم معطيه (٤٤٥) .
- ٥٣ - قال (ع) : بلية الناس علينا عظيمة ، إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا . . » (٤٤٦)
- ٥٤ - قال (ع) : « ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج . . » (٤٤٧)
- ٥٥ - قال (ع) : « اصبر للنوائب ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تعط أحداً من نفسك ما ضره عليك أكثر من نفعه . . » (٤٤٨)

(٤٤٢) اصول الكافي ٢ / ٢٧٣ .

(٤٤٣) تاريخ اليعقوبي ٣ / ٦١ .

(٤٤٤) البحار ١٢ / ٨٧ .

(٤٤٥) تاريخ اليعقوبي ٣ / ٦١ .

(٤٤٦) اعلام البورى (ص ٢٧) .

(٤٤٧) جامع السعادات ٢ / ١٦ .

(٤٤٨) تاريخ اليعقوبي ٣ / ٦١ .

٥٦ - قال (ع) : « شيعتنا من أطاع الله . . » (٤٤٩)
٥٧ - قال (ع) : « بثس الأخير عاك غنياً ويقطعك فقيراً . . » (٤٥٠)
٥٨ - قال (ع) : « ليس في الدنيا شيء أعون من الاحسان الى
الاخوان . » (٤٥١)

٥٩ - قال (ع) : « من أعطي الخلق والرفق فقد أعطي الخير والراحة ،
وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حرهما كان ذلك سبيلاً الى كل
شر وبليّة الا من عصمه الله . . » (٤٥٢)

٦٠ - قال (ع) : « ما يضر من عرفه الله الحق ان يكون على قلة
جبل ، يأكل من نبات الأرض حتى يأتيه الموت . . » (٤٥٣)

٦١ - قال (ع) : « اذا دخل أهل الجنة ، الجنة بأعمالهم ، فابن
عتقاء الله من النار ، ان الله عتقاء من النار . . » (٤٥٤)

٦٢ - قال (ع) : « لا خير فيمن لا تقية له . . » (٤٥٥)
٦٣ - قال (ع) : « إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر الى
قلبك ، فان كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ، ويبغض أهل معصيته
ففيك خير ، والله يحبك ، وان كان يبغض أهل طاعة الله ، ويحب أهل

(٤٤٩) نور الابصار للشهيدنجي (ص ١٣١) .

(٤٥٠) نور الابصار (ص ١٣١) .

(٤٥١) اسعاف الراغبين (ص ٣١٦) .

(٤٥٢) البداية والنهاية ٩ / ٣١١ .

(٤٥٣) التحصين (ص ٢٢٥) لاجد بن فهد الحلبي .

(٤٥٤) الدر النظيم (ص ١٩١) .

(٤٥٥) علل الشرايع (ص ٥١) .

- معصيته فليس فيك خير ، والله يبغضك ، والمرء مع من أحب . . » (٤٥٦)
- ٦٤ - قال (ع) : « إن من خطوات الشيطان الخلف بالطلاق ، والنذر في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى . . » (٤٥٧)
- ٦٥ - قال (ع) : « إذا شبع البطن طغى . . » (٤٥٨)
- ٦٦ - قال (ع) : « ما من شيء أبغض الى الله من بطن مملؤ . . » (٤٥٩)
- ٦٧ - قال (ع) : « من طلب الدنيا استعفاً عن الناس ، وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عز وجل يوم القيامة ، ووجهه مثل القمر ليلة البدر » (٤٦٠) .
- ٦٨ - قال (ع) : « إن حديثنا صعب مستصعب ، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان . . » (٤٦١)
- ٦٩ - قال (ع) : « اني لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلاً على مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله . . » (٤٦٢)
- وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض كلماته الحكمية التي تمثل أصالة الفكر والابداع .

(٤٥٦) علل الشرايع (ص ١١٧) .

(٤٥٧) مجمع البيان ١ / ٢٥٢ .

(٤٥٨) جامع السعادات ٢ / ٥ .

(٤٥٩) جامع السعادات ٢ / ٥ .

(٤٦٠) جامع السعادات ٢ / ٢١ .

(٤٦١) اعلام الوری .

(٤٦٢) شرح النهج ٧ / ٩٢ .

نظمه للشعر :

ولم تنص المصادر المترجمة للأمام أبي جعفر (ع) على أنه كان ينظم الشعر ، وإنما نصت على أنه فتق أبواباً كثيرة من العلوم ، وأسس معظم قواعدها ، وأنه ممن أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، غير أن السيد علي صدر المدني نسب له هذه الأبيات :

عجبت من معجب بصورته وكان من قبل نطفة مذرة
وفي غمد بعد حسن صورته يصير في القبر جيفة قدرة
وهو على عجبته ونخوته ما بين جنبيه يحمل العذرة (٤٦٣)
وسواء أصح أن الامام (ع) كان ينظم الشعر أم لم يصح فإن - من المقطوع به - أنه كان في طليعة البلغاء ، وقد دلت على ذلك المجموعة الضخمة من كلماته الحكمية التي هي من الطراز الأول في فصاحتها وبلاغتها .
وقبل أن أطوي الحديث عن مواهب الامام أبي جعفر (ع) أرى من الحق أن أبين اني لم اذكر الا نماذج يسيرة ، وصوراً موجزة من علومه ومعارفه وحكمه ، ولا أزعج اني لاحظت بها أو لملت ببعضها ، فذلك من غير الممكن لي ، فقد تركت الباب مفتوحاً لغيري من البهات للكشف عنها وعن ، سائر جوانب حياته المشرقة التي هي امتداد ذاتي لحياة آبائه العظام الذين اضاءوا الحياة الفكرية للناس .



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

مع
کثیر عزة ا والکمیت

وكانت للشاعرين الشهيدين كثير عزة ، والكميت الأسدي اتصالات وثيقة بالامام أبي جعفر فكلاهما يدينان بامامته ، ووجوب طاعته ، والانقطاع اليه ، وقد شاع ذلك عنهما ، وعرفا به عند جميع الأوساط ، ونعرض - بإيجاز - لبعض شؤونهما ، ومدى ارتباطهما بالامام (ع) :

كثير عزة :

أما كثير عزة فهو أبو حمزة الخزاعي المدني ، أحد عشاق العرب المشهورين هام بحب عزة بنت جميل ، وله معها أخبار كثيرة ، ذكرها المعنيون بترجمته ، وكان في مواهبه الشعرية أشعر أهل الاسلام - كما يقول ابن اسحاق - (١) .

ولاؤه لأهل البيت (ع) :

كان كثير شديد الولاء لأهل البيت (ع) متعصباً لهم ، ولم يخف تشيعه على الامويين ، فقد أقسم عليه عهد الملك بن مروان بحق الامام أمير المؤمنين (ع) أن يحدّثه هل رأى أحداً هو اعشق منه ؟ فقال له كثير : لو سألتني بحقك أخبرتك ، فأقسم عليه ، فأخبره عن غرام بعض العشاق (٢) .

مع الامام الباقر :

كان كثير يكن في اعماق نفسه خالص الحب والولاء للامام أبي جعفر عليه السلام ويدين بامامته وفضله ، ويقول المؤرخون : ان رجلاً نظر اليه وهو راكب ، والامام أبو جعفر (ع) يمشي فانكر عليه ذلك

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة (ص ٥٨٧) .

(٢) وفيات الاعيان ٣ / ٢٦٦ .

وقال له :

« اتركب وأبو جعفر يمشي ؟ ! ! »

فاجابه كثير جواب المؤمن بدينه ، للمتبصر في عقيدته قائلاً :
« هو أمرني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب أفضل من عصياني
اياہ بالمشي . . » (٣)

ودلت هذه البادرة على حسن أدبه ، وكمال عقيدته ، فان طاعة الامام
واجبة ليس الى مخالفتها من سبيل .

مدحه لبني مروان :

واختص كثير ببني مروان فكانوا يعظمونه ويكرمونه (٤) ونظم في
مدحهم عدة قصائد ذكرت في (ديوانه) الا انه لم يكن في مدحه لهم
جاداً ، ولا مؤمناً بما يقول ، وإنما مدحهم طمعاً بأموالهم ومهياتهم ، وكان
يسخر منهم فكان يشبههم بالحيات والعقارب ، فقد روى المؤرخون انه
وفد على الامام أبي جعفر (ع) فقال (ع) له :

« تزعم أنك من شيعتنا ، وتمدح آل مروان ؟ ! ! »
فأنبرى كثير قائلاً :

« إنما أسخر منهم ، وأجعلهم حيات ، وعقارب ، لم تسمع الى قولي
في عبد العزيز بن مروان :

وكنيت عتبت معتبة فلجيت بي الغلواء في سن العقاب
ويرقيني لك الراقون حتى أجابك حية تحت الحجاب
وفهم ذلك عبد الملك فقال لأخيه عبد العزيز : ما مدحك ، إنما

(٣) أمالي المرتضى ١ / ٢٨٣ .

(٤) الاعلام ٦ / ٧٢ .

جعلك راقياً للحيات ، ونقل لي ذلك عبد العزيز فقلت له : والله لأجعلنه
حية ، ثم لا ينكر ذلك فقلت فيه :

يقلب عيني حية بمجارة أضاف اليها الساريات سبيلها
يصيد ويغضي وهو ليث خفية إذا أمكنته عدوة لا يقيها
ولما تلوت ذلك على عبد الملك اجزل لي بالعطاء ، وخفي عليه ما
قصده (٥) فلم يكن كثير في مديحه لبني مروان جاداً ، ولا مؤمناً بما
يقول : وإنما كان ساخراً وهازماً ، فقد خادعهم ليكسب منهم الأموال التي
اختلسوها بغير حق ، ولم تكن له مندوحة لأخذ شيء منها الا بهذه الوسيلة .

وفاته :

توفي سنة (١٠٥ هـ) وقد توفي في اليوم الذي توفي فيه عكرمة
وصلي عليهما في موضع واحد بعد الظهر ، فقال الناس : مات أفقه الناس ،
واشعر الناس (٦) وقد شيع بتشيع حافل ، وكان من جملة المشيعين
لجنازته الامام أبو جعفر (ع) .

رواية موضوعة :

وذكر بعض المؤرخين رواية - فيما نحسب - أنها من الموضوعات
فقد روى عن يزيد بن عروة أنه قال : غلبت النساء على جنازة كثير ،
ومن يبكيه ، ويذكرن عزة في نديتهن ، فقال أبو جعفر محمد بن علي :
افرجوا لي عن الجنازة لأدفعها ، قال : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل
أبو جعفر يضربهن بكفه ، ويقول : تنحين يا صويحبات يوسف ، فانتدبت

(٥) اخبار شعراء الشيعة (ص ٦٢) .

(٦) وفيات الاعيان ٣ / ٢٦٩ .

امرأة منهم ، واقبلت على الامام فقالت له : يا بن رسول الله لقد صدقت
انا لصويحبات يوسف ، وقد كنا خيراً منكم له ، فقال أبو جعفر لبعض
مواليه : احتفظ بها حتى نجيبه ، فلما فرغوا من دفن جنازة كثير جيبه
له بالمرأة فقال (ع) لها :

« أنت القائلة : إنكن خير منا ؟ . . »

« نعم ، تؤمنني غضبك يا بن رسول الله ؟ . . »

« إنك آمنة من غضبي فأبيني . . »

« نحن يا بن رسول الله دعونا الى اللذات من المطاعم والمشرب ،
والتمتع ، وانتم معاشر الرجال القيتهموه في الحب ، وبعثتموه بابن
الايمان ، وحبستهموه في السجن ، فأينا كان به احسن ، وعليه اراف ؟ . . »
وابدى الامام اعجابه بها فقال لها :

« لله درك لن تغالب امرأة الا غلبت ، ثم قال لها الك بعل ؟ . . »

« لي من الرجال من أنا بعله . . »

« صدقت مثلك من تملك زوجها ، ولا يملكها . . »

وانصرفت المرأة ، فقال رجل من القوم وكان يعرفها : هذه زينب بنت

معيقب الانصارية (٧) .

والذي يواجه هذه الرواية من المؤاخذات ما يلي :

١ - ما معنى تجمهر السيدات من النساء حول جثمان كثير ، واحاطتهن
به حتى صعب على الامام الوصول إليه ، فاضطر حتى أمر بكشفهن عنه ،
مع العلم أن المرأة لم يعهد انهما تشترك في مثل هذه المراسيم ، فقد امرت
أن تقر في بيتها .

(٧) الدرجات الرفيعة (ص ٥٩٠) .

٢ - وما يدعو الى الاطمئنان بوضع الرواية تهجم الامام علي السيدات اللاتي ازدحن على جنازة كثير ، فانه (ع) كان المثل الأعلى للآداب الرفيعة والاخلاق الفاضلة ، ومن المستحيل أن تصدر منه أية كلمة نابية .

٣ - وما يدعم وضع الرواية هو الحوار الذي دار بين الامام ، وبين السيدة الانصارية وسؤاله منها انها زوجها وهل يتناسب مع قدسية الامام والحق انها الى الخيال اقرب منه الى الواقع ، . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن ترجمة كثير (٨) .

الكهيت الاسدي :

الكهيت بن زيد بن خنيس (أبو المستهل) الأسدي ، شاعر الاولين والآخرين - على حد تعبير الفرزدق - (٩) ولولا شعره لم يكن للغة ترجمان ، ولا للبيان لسان - حسبما يقول عكرمة الضبي - (١٠) .

وهو في طليعة رجال الفكر والأدب في عصره ، وقد ساهم مساهمة ايجابية في تطور الثقافة العربية وازدهار الحركة العلمية في الاسلام ، ونعرض لبعض البنود المشرقة من جوانب حياته .

ولادته ونشأته :

ولد الكهيت سنة (٦٠ هـ) وهي السنة التي فجعت بها الأمة الاسلامية

(٨) توجد ترجمة كثير في كل من الاغانى ٨ / ٢٥ ، وشذرات الذهب ١ / ١٣١ ، وسير اعلام النبلاء ، وخزانة البغدادي ٢ / ٣٨١ ، ومعجم الشعراء للمرزباني (ص ٣٥٠) واخبار الشيعة (٦٢) ووفيات الاعيان ٣ / ٢٦٥ - ٢٧٠ .

(٩) الاغانى ١١٥/١٥ .

(١٠) روضات الجنات ٦ / ٥٩ .

بقتل سيد الشهداء الامام الحسين (ع) (١١) وقد انطبعتم في نفسه صورة تلك المأساة المروعة وأخذت تتفاعل مع مشاعره وعواطفه ، وظهر أثر ذلك في شعره الحزين الذي يرثي به الامام الحسين (ع) .
أما نشأته فقد نشأ بالكوفة التي هي عاصمة الشيعة ، وينهوع التشيع ، ومنجم الثورات على بني أمية ، وتربى على حب أهل البيت (ع) فكان حبيبهم من عناصره ، ومقوماته .

مواهبه :

كان الكميت من أفذاذ التاريخ ، ومن اعلام الأمة العربية ، وكان يتمتع بمواهب شريفة وصفات رفيعة ، عدها بعضهم بعشر خصال قال : « كان في الكميت عشر خصال لم تسكن في شاعر ، كان خطيب أسد ، وفقهه الشيعة ، حافظ القرآن العظيم ، ثبت الجنسان ، وكان كاتباً حسن الخط ، وكان نسابة ، وكان جدلاً ، وهو أول من ناظر في التشيع ، وكان رامياً لم يكن في بني اسد أرمى منه ، وكان فارساً شجاعاً ديناً ، وكان مشهوراً في التشيع بجاهراً في ذلك . . » (١٢)
وهذه الصفات قد رفعتها الى القمة ، وميزته على جميع ادباء عصره .

شعره :

أما شعره فهو من مناجم الأدب العربي ، ومن أروع ما قاله شعراء العرب على الإطلاق ، فلم يكن في شعره يميل الى الدعابة والمجون ، وبذلك فقد فارق شعراء العصر الاموي والعباسي الذين اتجهوا بمواهبهم الفكرية والادبية الى اللهو والعبث وفساد الاخلاق .

(١١) الغدير ٢ / ٢١١ .

(١٢) خزانة الأدب ١ / ٩٩ .

أما الكميت فقد صرف فكره الى ساداته من بني هاشم ، فآخذ ينشر
 مآثرهم ، ويذيع فضائلهم بأروع ما نظم في الأدب العربي .
 ويقول المؤرخون : كان الكميت لا يذيع شعره بين الناس حتى يرضى
 به ، ويطمئن اليه ، فلذا كان لوحة فنية تحكي الابداع والفن والفكر ،
 أمام هاشمياته ، فقد كبرت عن التحديد والتقييم ، وقد ضمنها الاستدلال
 على مذهبه الذي لا يقبل الجدل والتشكيك ، وكانت هاشمياته إحدى
 الوسائل الثقافية في تلك العصور لما فيها من الخصب وغزارة الفكر والأدب ،
 وكانت تروى في الأندية ، والمجالس ويحفظها الناس .

الكميت مع الفرزدق :

ويروي المؤرخون أن الكميت لما نظم (الهاشميات) سترها ولم يذعها
 بين الناس ، ورأى أن يعرضها على شاعر العرب الأكبر الفرزدق بن غالب
 ليرى رأيه فيها ، فقصده ، وبعد أن استقر به المجلس قال له :
 - يا أبا فراس ، إنك شيخ مصر ، وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكميت
 ابن زيد الأسدي .

- صدقت أنت ابن أخي فما حاجتك ؟

- نفث على لساني ، فقلت : شعراً فأحببت أن أعرضه عليك ، فإن
 كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره ، وكنت أول
 من ستره علي

وعجب الفرزدق من حسن أدبه ، فطفق يقول له :

- أما عقلك فحسن ، واني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ،
 فأنشدني ما قلت : وانبرى الفرزدق يتلو عليه رائعته قائلاً :

طربت وما شوقا الى البيض أطرب

وقطع الفرزدق عليه كلامه قائلاً : فيم تطرب يا بن أخي ؟ فقال :
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب ؟ !
وراح الفرزدق يقول : بلى يا بن أخي فالعب ، فانك في أوان اللعب ،
فقال :

ولم يلهمني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب
واكبر الفرزدق هذا الشعر ، وانطلق يقول : ما يطربك يا بن أخي ؟
فقال :

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب
فقال الفرزدق : اجل لا تتطير فقال الكميت :
ولكن الى أهل الفضائل والتقى وخير بني حواء والخير يطلب
واهتز الفرزدق من روعة هذا الادب العالي فراح يقول :
« من هؤلاء ؟ ويحك . »
قال الكميت :

الى النفر البيض الذين يحبهم الى الله فيما نابني اتقرب
واستولى الكميت على مشاعر الفرزدق وعواطفه فصاح :
« ارحني ويحك من هؤلاء ؟ ! ! »
قال الكميت :

بني هاشم رهـط النبي فاني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خففت لهم مني جناحي مودة الى كنف عطفاه أهل ومرحب
وملك هذا الشعر احساس الفرزدق ، وانطلق يقول :
« يا بن أخي ، اذع ، ثم اذع ، فأنت والله اشعر من مضى ، واشعر
من بقي » (١٣) .

(١٣) الاغانى ١٥ / ١٢٤ .

مميزات شعره :

ويمتاز شعر الكميت بأنه كان مسرحاً للقيم الدينية التي تعبر اصدق التعبير عن عواطفه تجاه ساداته بني هاشم الذين اخلص لهم في مودته وحبه ، وفقد فرضت عليه ذلك الأدلة الشرعية التي لا تقبل الجدل والنقاش أما الظواهر التي امتاز بها شعره ، فمن بينها .

١ - ان شعره في بني هاشم لم يكن عاطفياً ، وإنما قام على الجدل والاقناع ، يقول شوقي ضيف : « وهكذا لم يعد الشعر عند الكميت يعبر عن الشعور فحسب ، بل أصبح يعبر أيضاً عن الفكر ، وأصبح يشفع بكل ما وصل اليه العقل العربي في هذا العصر من قدرة على الجدل والاقناع » (١٤) « بل لعل تعبيره عن الفكر أهم من تعبيره عن العواطف » (١٥) وهذه لوحة من إحدى روائعه التي تمثل هذا الاتجاه : وقالوا : ورثناها أبانا وأمناء وما ورثتهم ذاك أم ولا أب يرون لهم حقاً على الناس ولا يحسنون حقاها وحق الهاشميين أوجب (١٦) وشجب الكميت بهذين البيتين دعوى الذين انتحلوا الخلافة ، وفرضوا لهم حقاً على الناس لأنهم من قريش أسرة النبي (ص) فإن هذه الجهة التي توصلوا بها الى الخلافة قد توفرت في آل البيت (ع) على اكمل صورها . فهم الصق الناس به ، واقربهم اليه . . . ويأخذ الكميت بعد هذين البيتين في الثناء على الرسول الاعظم (ص) ثم يعرج على ما ذهب اليه من أحقية آل البيت (ع) بالخلافة فيقول :

(١٤) التطور والتجديد (ص ٢٤١) .

(١٥) التطور والتجديد (ص ٢٤٠) .

(١٦) الهاشميات (ص ٤١ - ٤٢) .

يقولون : لم يورث ولولا تراثه لقد شركت فيه بكييل وأرحب
وعك ولحم والسكون وحديد وكندة والحيان بكر وتغلب (١٧)
وقد أراد بهذين البيتين ابطال ما زعموه أن النبي (ص) لم يورث
فإن كان ذلك حقاً فإن القبائل المذكورة لها نصيب في الخلافة بل كانت
الناس فيها سواء - حسبما يقول شارح الهاشميات - ولا وجه لاختصاص
قريش بها ، وهو منطق رصين يقوم على المنطق والفكر ... لقد كان
الكميت بهذا الاستدلال فقيها فقد صاغ شعره صياغة العالم الفقيه الذي
يعرف كيف يناقش المسائل ، ويثبتها ويدلل عليها - كما يقول الدكتور
يوسف خليف - (١٨) .

٢ - وأقام الكمييت شعره في مدح بني هاشم على الاستشهاد بآيات
من القرآن الكريم تدلل على ما ذهب إليه ، يقول مخاطباً بني هاشم :
وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقي ومعرب
وفي غيرها آيا وآيا تمنابعت لكم نصب فيم الذي الشك منصب (١٩)
انه يشير في البيت الأول الى قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً
إلا المودة في القربى » (٢٠) .

وفي البيت الثاني الى قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » (٢١) وقوله تعالى : « وآت ذا

(١٧) الهاشميات (ص ٤٢) .

(١٨) حياة الشعر في الكوفة (ص ٧١٣) .

(١٩) الهاشميات (ص ٤٠) .

(٢٠) سورة الشورى : آية ٢٣ .

(٢١) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .

القربى حقه » (٢٢) وقوله تعالى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى » (٢٣) .

لقد دعم الكميت ما ذهب اليه في فضل ساداته بني هاشم بآيات من القرآن الكريم « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فهو حجة قاطعة لا ريب فيه .

٣ - واتسم شعر الكميت في مدحه لأهل البيت (ع) بأنه صادق للهجة ، قوي العاطفة ، مبعثه الايمان الخالص الذي لا يشوبه أي عرض من اعراض الدنيا ، فقد كان يبغى فيه وجهه الله والدار الآخرة ويدل على ذلك قوله :

الى النفر البيض الذين بهميم الى الله فيما نالني أتقرب
لقد اخلص الكميت في هواء وجهه لأهل البيت (ع) لأنه لم ير وسيلة تقربه الى الله زلفى سوى الاخلاص في المودة لهم .

٤ - والظاهرة التي يمتاز بها شعر الكميت في بني هاشم انه لم يستند فيما نظمه فيهم الى ما يسمعه عنهم من المآثر والفضائل ، وإنما يستند الى مشاهداته فقد عاصرهم ، ونظر الى مثلهم العليا التي طبق شذاها العالم بأسره ، فهم بها ، شأنه شأن الأحرار الذين يتقدسون الفضيلة ، ويكبرون من اتصف بها ، . . لقد كان شعر الكميت صورة حية يحكي الواقع المشرق لأهل البيت (ع) الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . هذه بعض عيزات شعر الكميت ، أما الحديث عن مظاهره الفنية فانه يستدعي الاطالة ، وقد آثرنا الايجاز في اكثر هذه البحوث .

(٢٢) سورة الأسراء : آية ٢٦ .

(٢٣) سورة الانفال : آية ٤١ .

صلايته في عقيدته :

كان الكميت صلب العقيدة ، راسخ الايمان ، قد أقام عقيدته على الواقع العلمي الذي لا يقبل الجدل والنقاش ، فهو شاعر العقيدة الشيعية ، والمعبر عن آرائها ، ومبادئها ويجمع الرواة على أنه اول من فتق باب الاحتجاج للشيعه في هاشمياته ، وانه كان لسانهم ، والمدافع عنهم ، والمحتج لهم ، وقد صورت هاشمياته الجانب الفكري ، والعقائدي للشيعه ، واحاطت - بوضوح - بشؤون الامامة التي تعتبر من العناصر الاساسية في مبادئهم .

مع الامام الباقر :

واختص الكميت بالامام أبي جعفر (ع) فكان شاعره الخاص ، وقد تلا عليه بعض هاشمياته وقصائده التي نظمها في حق أهل البيت (ع) فأخذت موقعها من نفس الامام (ع) فشكره ودعا له بالمغفرة والرضوان . وكان الكميت لا يرى أحداً في هذه الدنيا يستحق الولاء والتقدير غير سيده الامام أبي جعفر (ع) فقد دخل عليه وهو يقول :

ذهب الذين يعاش في اكثافهم لم يبق إلا شامت أو حاسد
وبقي على ظهر البسيطة واحد فهو المراد وأنت ذاك الواحد (٢٤)

تعطشه لرؤيا الامام :

كان الكميت مقيماً في الكوفة ، فاشتد به الوجد الى رؤيا الامام فسافر الى يثرب ، ولما مثل عند الامام تلا عليه قصيدته التي يذكر فيها تعطشه لرؤياه ، يقول فيها :

كم جزت فيك من احواز وايقاع وأوسع الشوق بي قاعا الى قاع

(٢٤) روضات الجنات ٦ / ٥٦ .

ياخير من حملت أنثى ومن وضعت به إليك غدى سيري وايضاعي
أما بلغتـك فالآمال بالفـة بنا الى غاية يسمى لها الساعي
من معشر شيعة الله ثم لكم صور إليكم بأبصار واسماعي
دعاة أمر ونهي عن أنتمهم يوصي بها منهم واع الى واعبي
لا يسمون دعاة الخير ربهم أن يدركوا فيلبوا دعوة الداعي (٢٥)
وصورت هذه الايات عظيم ولائه للامام ، وما عاناه من جهد الطريق ،
وعناء السفر في سبيل رؤيته والالتقاء به .

رثاؤه للحسين :

وكان الكميت قد ولد في السنة التي استشهد بها أبو الأحرار الامام
الحسين (ع) ولما ترعرع ، وفهم الحياة رأى الناس قد ذهبتهم أهوال
تلك المأساة الخالدة في دنيا الأحرار ، وهم يرددون في أنديتهم وبجالسهم
ما عاناه ربحانة رسول الله (ص) من فواح المحن والخطوب ، وقد هزت
مشاعره وعواطفه ، وملأت نفسه للمأعاصف ، وقد رثاه بذوب روحه في
كثير من شعره ، ويقول الرواة انه نظم قصيدة في رثاء الحسين ووفد على
الامام أبي جعفر ليتلوها عليه فلما مثل عنده قال له :

- يا بن رسول الله قد قلت فيكم أبياتاً من الشعر : افتأذن لي في

انشادها ؟

(٢٥) تأسيس الشيعة لعلموم الاسلام (ص ١٨٩) وفي اعيان الشيعة
ق ١ / ٤ / ٥١٦ ان هذه الايات قالها اخر الكميت الورد بن زيد
الأسدي أمام الامام أبي جعفر ، وليست للكميت ، وذكر ذلك احمد بن
محمد عياش في مقتضب الأثر (ص ١٣٢) .

- انها ايام البيض (٢٦) - التي يكره فيها انشاد الشعر - .

- هي فيكم خاصة -

- مات ما عندك .

فأنبرى يقول :

اضحكني الدهر وابسكاني والسدر ذو صرف واللوان

لتسمة بالطف قد غودروا صاروا جميعا رهن اكفان

وتألم الامام كأشد ما يكون التألم حينما سمع رثاء جده الامام

الحسين ، واغرق في البكاء وبكى معه ولده الامام الصادق (ع) كما

بكى العلويات من وراء الخباء ، ولما بلغ الى قوله :

وستة لا يتجارى بهم بنو عقيل خير فرسان

ثم علي الخير مولاهم ذكرهم هيج أحزاني

بكى الامام أبو جعفر (ع) أمر البكاء ، وذكر له ما اعد الله من

الشواب الجزيل لمن يذكر أهل البيت ، ويحزن لحزنهم ، ولما بلغ قوله :

من كان مسروراً بما مسكم أو شامتا يوماً من الآن

فقد ذلتم بعد عز فما ادفع ضيماً حين يغشاني

أخذ الامام (ع) بيد الكميث وأخذ يدعو له قائلاً :

« اللهم اغفر للكميـث ما تقدم من ذنبه وما تأخر . . »

ولما بلغ قوله :

ملى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني

(٢٦) الايام البيض : يراد بها ايام الليالي البيض ، وهي الثالث عشر

والرابع عشر ، والخامس عشر ، وسميت لياليها بيضا لأن القمر يطلع

فيها من أولها الى آخرها .

التفت اليه الامام ، وعرفه بأن الامام المهدي (ع) هو الامام المنتظر الذي يملأ الارض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، وسأله الكميت عن زمان خروجه فقال (ع) : لقد سئل رسول الله (ص) عن ذلك ، فقال : انما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم الا بغتة (٢٧) .

الميمية من هاشمياته :

وانشد الكميت بحضرة الامام أبي جعفر (ع) الميمية من هاشمياته ، وهي من أروع الشعر العربي وارقاه فهي تصور - بوضوح - انطباعاته الخاصة عن أهل البيت (ع) تصويراً رائعاً يستند الى مشاهداته لمآثرهم الرفيعة ومثلهم العليا ، يقول فيها :

من لقلب متيم مستهام	غير ما صبوة ولا احلام
طارقات ولا اذكار غوان	واضحات الحدود كالآرام
بل هواي الذي أجن وابدي	ليني هاشم فروع الانام
للقريبين من ندى والبعيد	من الجور في عرى الاحكام
والمصيبين باب ما اخطأ النام	ومرسي قواعد الاسلام
والحماة الكفاة في الحرب ان	لصف ضرام وقوده بضرام
والغيوث الذين أن أحل الناس	فماوى حواضن الأيتام
والولاة الكفاة الأمران طر	ق يتنا بمجهض أو تمام
والأساة الشفاة للداء ذي	الريبة والمدركين بالاوغام
والروايا التي يحمل بها النسا	س وسوق المطبوعات العظام
والبحور التي بها تكشف الحر	ة والداء من غليل الأوام
لكثيرين طيبين من النسا	س وبرين صادقين كرام
واضحى أوجه كرام جدود	واسطي نسبة لهم فهام

(٢٧) الفدير ٢ / ٢٠٠ .

للذرى فالذرى من الحسب الثا قب بين القمقام فالقمقام
راجحي الوزن كاملي العدل في الـ يرة طيبين بالامور العظام
فضلوا الناس في الحديث حديثا وقديما في اول القسدام

لقد ذكر في مطلع قصيدته هيامه في الحب ، وانه قد استولى على مشاعره وعواطفه ، فصار اسيراً ، لا يملك من أمر نفسه شيئاً . ولكن لمن هذا الحب العارم الذي وقع في شبكته ؟ انه ليس للغايات التي يفتتن الناس بجمالهن ، وانما كان لأرفع الناس شأنًا ، واسماهم مكانة ، انهم بنو هاشم الذين التقت بهم جميع عناصر الشرف والمجد ، وفاقوا جميع الناس بمواهبهم وعبقرياتهم ، فقد قصر عليهم اخلاصه وهواه الذي يعجنه ويبيديه . ولم يندفع الكميت بحب ساداته بني هاشم وراء العاطفة ، وانما رآهم صورة رائعة لا ثاني لها في تاريخ البشرية ، فقد رأى ، وشاهد ، ولمس أروع صور الانسانية التي رفعتهم الى القمة السامقة ، قمة الفكر ، والقيادة العليا في الاسلام .

رأى الكميت من صفات اسياده التي هام بها ما يلي :

١ - انهم معدن الجود والكرم والسخاء ، فقد جادوا بجميع ما يملكونه لانعاش المحرومين ، وانقاذ البائسين .

٢ - انهم مصدر العدل بين الناس ، فلا يؤثرون قريبا على بعيد ، وانما الناس جميعا عندهم على حد سواء ، فلا يعرفون المحسوبية ، ولا سائر الاعتبارات الأخرى التي يأخذ بها الناس اندفاعا مع العاطفة والهوى .

٣ - انهم اشجع من خلق الله ، فلم يمر الخوف على نفوسهم ، فقد خاضوا غمرات الحروب ، وأبدوا من صنوف البسالة ، ما لم يشاهد مثله في جميع فترات التاريخ ، فكان الامام امير المؤمنين (ع) مضرب المثل في

الدنيا في شجاعته وبسالته ، وكذلك الامام الحسين سيد الالباء والاحرار في الارض فقد ابدى يوم عاشوراء من قوة البأس وروعة التصميم ما حير العقول وأذهل الالباب ، وتطعمت بهذه الروح العالية سائر ابناء الأسرة النبوية ، فقد ملكوا من الشجاعة ما لا يملكها أي أحد من الناس .

٤ - انهم كانوا المملجأ والمأوى لايتام الناس وسائر الفقراء والمحرومين ان احل الناس ، ولم يجدوا فليس هناك من يعطف عليهم سوى أهل البيت عليهم السلام .

٥ - انهم ولاة الأمور للناس ان التبت عليهم الأمور أو طرقتهم الازمات والأحداث ، فليس هناك من يستطيع التغلب عليها سواهم ، فهم الذين يملكون العقول البيرة ، والافكار الصائبة التي يحلون بها مشاكل الناس وازماتهم .

٦ - انهم الحكماء المـأهرون في معالجة أمراض النـفوس ، وازالة ما فيها من جراثيم الزيف والانحراف ، فقد درسوا واقع هذا الانسان ، وسبروا اعماق نفسه ، ودخائل ذاته ، ووقفوا على اندفاعاته نحو الحرص والطمع والجشع وايشاره للهوى على الحق ، فوضعوا العلاج الحاسم لجميع أمراضه وآفاته ، وتجدد في كلماتهم رواثع الحكم والمواعظ الهادفة الى اصلاح الناس وتهذيبهم .

٧ - انهم الروايا الذين يحملون الحكمة والحياة الى الناس ، فاليهم يلجأ الضامى ومن ساحل كرمهم وجودهم ينتهل كل من يريد الحياة .

٨ - انهم البحور الذين يرتوي منهم كل من اشرف على الهلاك ، فهم مصدر السعادة والخير لهذا الانسان .

٩ - انهم اطيب الناس برأ وصدقا ، وكرما ، وأصبح الناس وجوها ،

واكرمهم جدوداً ، واعلاهم شأناً ، ونسباً .

١٠ - انهم ارجح الناس وزناً ، واكملهم في العدل بين الناس ، واخبرهم بالامور العظام .

١١ - انهم فاقوا الناس في جميع مراحل التاريخ فاقوهم في صدق حديثهم واصالة فكرهم ، وخصب رأيهم .

ويستمرسل الكميت بعد هذه الأبيات في ذكر مآثر ساداته بني هاشم وفضائلهم التي هام بها فيقول :

مستفيدين متلفين مواهب	ب مطاعينهم غير ما ابرام
مسعفين مفضلين مسامح	ح مراجيح في الخميس اللهام
ومداريك للذحول متارح	ك وان احفظوا لعور الكلام
لاحبابهم تحل للمنطق الشف	ب ولا للطام يوم اللطام
ابطحيين اريحيين كالانجب	م ذات الرجوم والاعلام
غالبين هاشميين في العلم	م ربوا من عطية العلام
ومصفين في المناصب محضه	ن خضمين كالتقروم السوام
واذا الحرب اومضت بسنا الحر	ب وسار الهمام نحو الهمام
فهم الأسد في الوغى لا اللواتي	بين خيس العرين والآجام
أسد حرب غيوث جدد بهالي	ل مقاويل غير ما اقدام
لامها ذير في الندى مكاثي	ر ولا مصمتين بالافحام
سادة ذادة عن الخرد البه	ض اذا اليوم صار كالأيام
ومغاير عندهن مغاوا	ير مساعير ليلة الأجسام
لا معازيل في الحروب تناسا	بيل ولا رائمين بو اهتضام
وهم الآخذون من ثقة الأ	مر بتقواهم عرى لا انفصام

والمصيبون والمجيبون للـ عوة والمحرزون خصل التزامي
وعملون محرمون مقرو ن لحل قراره وحرام
وعرض الكميت في هذه الآيات الى الصفات الرفيعة الماثلة في أهل
البيت (ع) وهي :

١ - ان الأموال التي تردهم يبدلون بها بسخاء وطيب نفس الى ذوي
الحاجة لا ينفون جزاء ولا شكورا .

٢ - انهم اذا وتروا فهم غير قاصرين ولا عاجزين من الأخذ بشأهم ،
ولكنهم تركوا ذلك لإشارة لما عند الله ، وان نالهم من أعدائهم قبيح الكلام .
٣ - ووصف الكميت بقوله : « لاحباهم تحمل للمنطق الشغب » سعة
حلمهم وانهم لا تطيش احلامهم عند المشاغبة فلا يحلون حباهم ولا
يتحركون .

٤ - وعرض بقوله : « ابطحيين اريحيين » الى انهم اشراف قريش
بما اتصفوا به من الأريحية فهم كالنجوم والاعلام التي يهتدي بها الضال .
٥ - وأراد بقوله : « غالبيين هاشميين في العلم » انهم ينتمون الى
سيد العرب غالب بن فهر ، ثم الى هاشم ، وانهم نالوا من العلم ما لم
يناله أحد ، فقد منحهم بذلك الله تعالى الذي بيده الخير .

٦ - وعرض بقوله : ومصفين في المناصب الخ « الى انهم في مناصبهم
ومكانتهم قد خلصوا من الدنس ، ونزهوا من كل عيب فرفعوا رؤوسهم
اعتزازاً لأنهم لم يحيدوا عن الحق ، ولم يقتفوا أي باطل أو أثم ،

٧ - وعرض بقوله : « وإذا الحرب أو مضت بسنا الحرب » وبالبيتين
اللذين بعده الى شجاعة العلويين ، وإن الحرب اذا استعرت ، واشتد أوارها ،
فانهم يخوضون غمارها ببسالة وصمود وقوة بأس لا يعرفون الفرع ولا

الخوف وانما يستقبلون الموت بشغورهم الباسمة .

٨ - وأراد بقوله : « لا مهاذير في الندي » انهم إذا ضمهم النادي فلا يبتذلون بكثرة الكلام ، وانما يصمتون في مواضع الصمت من غير افحام .

٩ - واعرب بقوله : « سادة ذادة عن الخرد » الى انهم الحماة الذين يحمون اهلهم عن الضيم في احلك الايام المشهورة بالحروب والوقائع .

١٠ - وعرض بقوله : « ومغاير عندهن مغاير » وبالبيت الذي بعده الى انهم اسد الحروب الذين يوقدون نارها ويسمعون لها ، ويقذفون بنفوسهم فيها ، وليسوا بمعازيل ولا بتنايل ، وانما هم الاعلام ، والقادة والرؤوس .

١١ - واعطى الكسيت بقوله : « وهم الآخذون من ثقة الأمر » صورة عن تكامل شخصية أهل البيت (ع) بأنهم يأخذون بأوثق الأمور ، واشدها صلة بالحق ، ولا يأخذون بما التبس عليهم أو شكوا في مشروعيته ، وذلك لشدة تقواهم وورعهم ، وعرض في البيت الذي يليه الى انهم أول من اجاب دعوة الحق التي اعلنها الرسول الاعظم (ص) فقد كان الامام أمير المؤمنين (ع) سيد العترة الطاهرة هو أول من سبق الى الاسلام كما كان المدافع الاول عن النبي (ص) والمحامي عن دعوته .

وعرض الكسيت بعد هذا المدح للعلويين الى هجاء خصومهم الأمويين يقول :

ساسة لا كمن يرعي النسا	س سواء ورعية الانعام
لا كهبد المليك أو كوليـد	أو كسليمان بعد أو كهشام
رأيه فيهم كراي ذوي الثلـة	ة في الثائجات جنح الظلام
جزذي الصوف وانتقاء لذي المنـة	ة نعتاً ودعدعاً بالبهـام

من يمت لا يمت فقيداً وإن يحى فلا ذو إل ولا ذو ذمام
 لا أكاد أعرف هجاءه أمض ، ولا اصدق من هذا الهجاء ، فقد كشف
 النقاب عن سوء السياسة الأموية ، التي ساست الناس سياسة لم يالفوها ،
 فقد نظرت اليهم كالانعام ، ولم تؤمن بأي حق من حقوقهم ، فصبت عليهم
 وابلا من العذاب الأليم ، وعرض الى من مات من ملوك الامويين ، وانه
 لا ذكر لهم ، لأنهم لم يقيموا حقاً ، ولم يؤسسوا عدلاً فلذا لا يذكرهم الناس
 بخير ، وإنما يعددون ظلمهم ، ويذكرون جورهم وبطشهم .

ويواصل الكمييت مدحه لبني هاشم فيقول :

فهم الأقربون من كل خير وهم الأبعدون من كل ذام
 وهم الأوفون بالناس في الرأفة والأحلمون في الاحلام
 بسطوا أيدي النوال وكشفوا أيدي البغي عنهم والعمرام
 أخذوا القصد فاستقاموا عليه حين مالت زوامل الأثام
 غيرات الفعال والحسب القوتية ^{لهم} محطوة الاعكام
 أسرة الصادق الحديث أبي القاسم فرع القدامس القدام
 وصورت هذه الأبيات المثل العليا التي اتصف بها أهل البيت (ع)
 من قريبهم الى الخير ، وبعدهم عن كل ما يوجب الذم ، ووفائهم بكل
 عهد ، ورأفتهم بالناس وسعة حلمهم ، وغير ذلك من الصفات التي جعلتهم
 مهوى الأفئدة ، وموضع تقديس الناس واكبارهم .

ويأخذ الكمييت في رائحته بمدح النبي العظيم (ص) فيقول :

خير حي وميت من بني آ دم طراً مأموهم والامام
 كان ميتاً جنازة خير ميت غيبته مقابر الاقوام
 وجنيهاً ومرضاً ساكن المهد بعد الرضاع عند الفطام

خير مسترضع وخير فطيم
 وغلاماً وناشئاً ثم كمالاً
 انقذ الله شلوونا من شفى الننا
 لوفدى الحى ميتاً قلت نفسي
 طيب الاصل طيب العود في البند
 ابطحي بمكة استنقب الله
 والى يشرب التحول عنهما
 هجرة حولت الى الأوس والخز
 غير دنيا بحالفا واسم صدق

وبعد هذا الشناء العاطر على النبي (ص) أخذ في مدح الشهيد العظيم
 جعفر الطيار ابن عم النبي (ص) ومدح عم النبي (ص) الشهيد
 الخالد حمزة ، يقول :

ذو الجناحين وابن هالة منهم
 لا ابن عم يرى كهذا ولا
 ويعرض الكميت بعد هذا الى مدح سيد الاوصياء ، وباب مدينة علم
 النبي (ص) الامام أمير المؤمنين (ع) يقول :

والوصي الذي أمال التجوي
 كان أهل العفاف والمجد والخي
 والوصي الولي والفارس المع
 كم له ثم كم له من قتيل
 وخميس يلفسه بخميس
 وعميد متوج حل عنه عق
 به عرش أمية لانهم
 سر ونقض الامور والابرار
 لم تحت العجاج غير الكهام
 وصريع تحت السنايك دام
 وقتلهم حواء بعد قتلهم
 د التاج بالصنيع الحسام

قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه
 راعياً كان مسجداً ففقدنا
 وحشتت بنينا مصادر شتى
 جرد السيف تارتين من الده
 في مريدن مخطئين هدى الله
 وانبرى الى ذكر الامام الحسن سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول
 الله (ص) قال :

ووصي الوصي ذي الخطة الفض
 وعرج بعد ذلك الى ذكر مأساة الامام الحسين (ع) تلك المأساة
 المروعة التي تركت اعظم اللوعة والاسى في النفوس قال :
 وقتيل بالطف غودر منه
 وحينما سمع الامام أبو جعفر (ع) هذا البيت تناسرت دموعه ،
 وبكى ، وقال له : - كما قال رسول الله (ص) لحسان بن ثابت - لا زلت
 مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت (٢٨) .

ويستمر الكميت في تلاوة رثائه للامام الحسين (ع) يقول :
 تركب الطير كالمجاسد منه
 وتطيل المرزآت المقالي
 يتعرفن حر وجه عليه
 قتل الادعياء إذ قتلوه
 وعرض بعد ذلك الى محمد بن الحنفية قال :

وسمي النبي بالشعب ذي الخية
 فطريد المجل بالاحرام

(٢٨) قصص العرب ٢/ ٢٦٩ ، مروج الذهب ٢/ ١٩٥ .

يشير بذلك الى ما تعرض اليه محمد من التنكيل من قبل ابن الزبير
 لانه امتنع من بيعته ، فحصره بالخيف ، وهدده ومن معه بالحرق ان لم
 يبايعوه ، وذكر بعد ذلك الشهيد العظيم أبا الفضل العباس بن الامام
 امير المؤمنين (ع) الذي استشهد دفاعاً عن أخيه سيد الاحرار الامام
 الحسين (ع) يقول :

وأبو الفضل إن ذكرهم الحل - و بني الشفاء للاسقام (٢٩)
 ويعرض بعد ذلك الى مدى ولائه العميق لأهل البيت (ع) يقول :
 فبهم كُنت للبعدين عما - واتهمت القريب أي اتهمهم
 صدق الناس في حنين بضرب - شاب منه مفارق القمقام
 وتناولت من تناول بالغية - بة أعراضهم وقل اكتتاهم
 ورأيت الشريف في عين الن - ساس وضياعاً وقل منه احتشامي
 معلنا للمعالمين مسراً - للمسرين غير دحض المقام
 مبدياً صفحتي على المرقب الم - سلم بالله عزتي واعتصامي
 ما أبالي اذا حفظت أبا القا - سم فيهم ملامسة اللوام
 لا أبالي ولن أبالي فيهم - أبداً رغم ساخطين رغم
 فهم شيعتي وقسمي من الا - مة حسبي من سائر الاقسام
 إن أمت لا أمت ونفسي نفسا - ن من الشك في عمي أو تعامي

(٢٩) في مقاتل الطالبين (ص ٨٤) .

وأبو الفضل ان ذكرهم الحلو - شفاء النفوس من اسقام
 قتل الادعياء اذ قتلوه - اكرم الشاربين صوب الغمام
 وذكر شارح الهاشميات ان المراد بابي الفضل هو العباس عم
 النبي (ص) وهو اشتباه محض تشأ من قلة التتبع .

عادلاً غيرهم من الناس طراً بهم لاهمهم بي لاهمهم
لم ابع ديني المساموم بالوكـ س ولا مغلياً من السوام
وعبر بهذه الابيات عن اصدق الولاء لبني هاشم ، فقد اخلص للبعيد
الذي يتخلص لهم وعادى القريب الذي يعاديهم ، وكان ذلك منتهى الايمان ،
ولما بلغ الكميت الى قوله :

اخلص الله لي هواي فما اذ رق نزعاً ولا تطيش سهامي (٣٠)
قال له الامام : قل : « فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي » التفت
الكميت الى النكتة في ذلك ، فقال للأمام : أنت أشعر مني في هذا المعنى ،
ولما فرغ الكميت من انشاد رائعته توجه الامام نحو الكعبة ، واخذ يدعو
له قائلاً :

« اللهم ارحم الكميت ، واغفر له . »
وكرر الدعاء بالمغفرة له ثلاث مرات ، ثم قال له : يا كميت هذه مائة
الف قد جمعتها لك من أهل بيتي ، فابى الكميت من قبولها ، واعتذر
بأنه يطلب المكافأة من الله تعالى ، وطلب من الامام (ع) أن يتكرم
عليه بقميص من قمصه ، فاعطاه ذلك (٣١) .
وخرج الكميت من الامام فقصد عبد الله بن الحسن فانشده رائعته
فاعجب بها عبد الله وقال له :

(٣٠) النزع : جذب الوتر بالسهم ، الاغراق في النزع : مثل يضرب
للغلو والافراط ، فقوله : فما اغرق نزعاً لا يناسب المقام لان معناه انه
لا يبالغ في حبة أهل البيت (ع) مع أن المناسب المبالغة فيها فلهذا غير
الامام الشعر من النفي الى الايجاب .

(٣١) اعيان الشيعة ١ / ٤ / ٥١٥ - ٥١٦ .

« يا أبا المستهل ان لي ضيعة أعطيت فيها اربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد اشهدت بذلك شهوداً . . »

وناوله الكتاب ، فانبرى الكميت قائلاً :

« بأبي أنت وأمي اني كنت أقول : الشعر في غيركم أريد به الدنيا ، ولا والله ما قلت : فيكم إلا الله ، وما كنت لأخذ على شيء جملة الله ما لا ولا ثمناً . . »

فالح عليه عهد الله ، فأخذ الكميت الكتاب ، ومضى أياماً ، ثم قصد عبد الله فقال له :

« إن لي حاجة »

« ما هي ؟ كل حاجة لك مقضية »

« كائنة ما كانت ؟ »

« نعم »

« هذا الكتاب تقبله ، وترجع الضيعة . . »

وناوله الكتاب فقبله عبد الله ، ونهض عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر فأخذ جليداً ودفعه الى اربعة من غلمانه ، وجعل يدخل دور بني هاشم وهو يرفع عقيرته قائلاً :

« يا بني هاشم ، هذا الكميت قال : فيتكم الشعر حين صمت الناس

عن فضلكم ، وعرض دمه لبني أمية فاثبوه بما قدرتم . . »

وأخذ العلويون يطرحون في الجلد ما يقدرون عليه من الدنانير والدراهم ، وعلمت السيدات من العلويات فكن يبعثن إليه ما يتمكن عليه حتى كانت العلوية تخلع الحلي من جسدها ، وتدفعه ، واجتمع عنده من المال ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها الى الكميت ، وقال له :

« يا أبا المستهل اتيناك بجهد المقل ، ونحن في دولة عدونا ، وقد
جمعنا هذا المال ، وفيه حلي النساء ، فاستعن به على دهرك . . »
وأبى الكميت من قبوله قائلاً :

« بأبي أنتم وأمي قد أكثرتم ، واطيبتهم ، وما أردت بمدحي إياكم
إلا الله ورسوله ، ولم اك لأخذ ثمناً من الدنيا ، فأرده الى أهله . . »
وجهد عبد الله ان يقبل الكميت تلك الاموال فأبى وامتنع (٣٢) .

اللامية من هاشمياته :

وانشد الكميت اللامية من هاشمياته أمام الامام أبي جعفر (ع)
وقد أخذت منه مأخذاً عظيماً ، فقد تركت في نفسه اعظم الاثر ، فقد
عرض فيها الى الاحداث السياسية المؤلمة في ذلك العصر ، وما حل بأهل
البيت (ع) من صنوف التشكيل والارهاق يقول في أولها :
ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدير بعد الاساءة مقبل
وهل أمة مستيقظون لرشدكم فيكشف عنه النعسة المتزمل
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى

مساويهم لو كان ذا الميل يعدل
ودعا الكميت بهذه الايات المسلمين الى اليقظة من سباتهم ، واهاب
بهم من الجمود والخمول ، وقد حفزهم على الثورة للتخلص من ظلم
الامويين وجورهم فقد جهدوا على الاستبداد بشؤون الناس وارغامهم على
ما يكرهون ، ويقول الكميت في هذه الرائعة :

وعطلت الاحكام حتى كأننا على ملّة غير التي نتنحل
كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل

(٣٢) مروج الذهب ٢ / ١٩٥ .

رضينا بدنيا لانريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جنة ، ما نخاف ونمقل

وعرض في البيت الاول الى تعطيل الامويين لاحكام الدينية ، وتجميدهم
لمبادئ الاسلام حتى صار المسلمون بشكل مؤسف كأنهم قد انتحلوا ديناً
غير دين الاسلام .

اما البيت الثاني فقد قدح فيه ولاة الحكم الاموي ، وانهم يقولون :
كلام الهداة المصلحين إلا ان اعمالهم تتجافى مع اقوالهم ، فهم يعملون
أعمال اهل الجاهلية الاولى اما البيتان الاخيران فانه يعزو فيهما الحالة
الراهنه التي منى بها المسلمون الى حبهم للحياة وايتارهم للعافية ، وتمسكهم
بالدنيا ، فلم يهتوا للجهاد والثورة على الحكم الاموي ويقول الكميت :

فتملك أمور الناس أضحت كأنها أمور مضيع أثر النوم بهـل
فباساسة هاتوا لنا من حديثكم ففيكم لعمري ذو أفانين مقول
أهل كتاب نحن فيه وانتم على الحق نقضي بالكتاب ونعدل

ويعرض في البيت الاول الى اهمال احكام الامويين لشؤون الرعية حتى
غدت كأنها الابل المهمله تسرح ولا راعي لها يحفظها من الضياع ، ويسأل
في البيتين الاخيرين اولئك الساسة التبايضين على زمام الحكم ، هل انهم
اهل كتاب يقضون بالحق ، وعلى ضوئه يسوسون شؤون رعيتهم ؟ واذا كانوا
كذلك فما بالهم قد شذوا في سياستهم عن الدين ، وابتعدوا عن تعاليمه .
ويستمر الكميت في محاسبة الامويين ، وتحميلهم المسؤولية عما اصاب
الامة من الظلم والجور ، ويعدد مثالهم ، ويدعو المسلمين الى الانتفاضة
على حكامهم ، وبعد ذلك عرج على رثاء أبي الاحرار الامام الحسين
عليه السلام قائلاً :

كان حسيناً والبهاليل حوله لاسيافهم ما يختلي المتبعل
 يخضن به من آل احمد في الوغى وما ظل منهم كالبهيم المحجل
 وغاب نبي الله عنهم وفقده على الناس رزه ما هناك مجلل
 لقد كان الكميت صادق اللهجة والعاطفة في رثائه للحسين (ع) ،
 وقد تركت ابيانه اعظم الاثر في نفس الامام أبي جعفر (ع) ولما
 انتهى الكميت الى هذا البيت :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخرأ أسدى له الغي أول
 وقد اراد الكميت بهذا البيت ان جميع ما حل بأهل البيت (ع)
 من الرزايا والخطوب فانه يستند الى الصدر الاول فانهم هم الذين سمحوا
 للأمويين أن يقفوا الى الحكم ، ومكنوهم من رقاب المسلمين ، ولما سمع
 الامام (ع) هذا البيت بلغ به الحزن اقصاه ، ورفع يده الى السماء .
 وجعل يدعو للكميت قائلاً : « اللهم اغفر للكميت » (٣٣) .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن لامية الكميت ، وقد جاء فيها أنه قد
 رثا الامام ابا جعفر (ع) حيث يقول :

اموتا على حق كمن مات منهم ابو جعفر دون الذي كنت تأمل
 ومن المؤكد انه نظم هذا البيت وما بعده بعد وفاة الامام أبي جعفر
 عليه السلام والحق ذلك بلاميته .

العينية من هاشمياته :

وهذه رائعة أخرى من هاشمياته ، وقد وفد على الامام أبي جعفر (ع)
 ليتلوها عليه فقال له : إني قد قلت شعراً ان اظهرته خفت القتل ، وان
 كتتمته خفت الله تعالى ، ثم انشد الامام (ع) هذه الرائعة :

(٣٣) اخبار شعراء الشيعة للمرزباني (ص ٧٢) .

نفى عن عينك الارق الهجوعا وهم يمتري منها الدموعا
دخيل في الفؤاد يهيج سقما وحزنا كان من جذل منوعا
لفقدان الخضارم من قریش وخير الشافعين معا شفيها (٣٤)
ووصف في هذه الابيات ما حل به من هم مقيم ، وآلام عميقة جعلته
دائما ارقا لا يالف إلا الحزن والاسى ، وذلك لما حل باسياده العلويين
من الرزايا والخطوب ، فقد كوت قلبه ، وجعلته هائما في تيارات مذهلة
من الاسى والشجون .

ويقول الكميت في عينيته يصف سيده الامام أمير المؤمنين (ع) :

لدى الرحمن يصدع بالمشاني وكان له أبو حسن قريها
حطوطاً في مسرته ومولى الى مرضاة خالقه سريها
وأصفاء النبي على اختيار بما أعبى الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو اطيها
ولم يكن الرجال قبلها فلم ار مثلها خطراً مبيعا (٣٥)
فلم ابلغ بها لغنا ولكن أسماء بذاك أولهم ضيعا
فصار بذاك أقربهم لعدل الى جور واحفظهم مضيعا
اضاعوا أمر قائدهم فضلوا واقومهم لدى الحدثان ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه بلائرة وكان لهم قريعا (٣٦)

وعرض الكميت في هذه القطعة من قصيدته الى الامام أمير المؤمنين
عليه السلام فذكر مناصرته للنبي (ص) حينما فجر دعوته المشرقة ،

(٣٤) الخضارم : السادة الكرماء .

(٣٥) في بعض النسخ (فلم ار مثلها حقا اضيعا) .

(٣٦) القريع : المختار يقال : اقترعه اي اختاره .

فقد كان الامام الى جانبه يحميه ويذب عنه ، ويرد عنه كيد المعتدين والظالمين ، وكان الامام (ع) في جهاده ودفاعه لا يبتغي إلا وجه الله ، ولا يلتبس إلا الدار الآخرة ، ونظراً لما يتمتع به الامام (ع) من الطاقات الروحية الهائلة فقد اصطفاه النبي (ص) وجعله وزيراً وخليفة من بعده ، اعلن ذلك في مؤتمره العام الذي عقده في غدير خم ، فقلده وسام الخلافة والامامة ، وقال فيه : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » (٣٧) ومن المؤسف - حقاً - ان هذه البيعة التي عقدها الله ورسوله للامام امير المؤمنين القائد الاول للمسيرة الاسلامية لم تتفق مع رغبات القوم وميولهم فعقدوا مؤتمر السقيفة ، وتجاهلوا بيعتهم للامام وتناسوا مقامه ، وقد حفلت مصادر التاريخ بذكر الحوادث المؤلمة ، وتفصيل شؤونها :

ومضى الكميت في رائعته يقول :

فقل لبني أمية حيث حلوا	وإن خفت المهند والقطيعا
إلا أف لدهر كنت فيه	هدانا طائعا لكم مطيعاً (٣٨)
اجعاع الله من اشبعتموه	واشبع من بجوركم اجيعا
ويلعن فذ أمته جهاراً	إذا ساس البرية والخليعا
بمرضي السياسة هاشمي	يكون حيا لأمته مريعا
وليثاني المشاهد غير نكس	لتقويم البرية مستطيعا

(٣٧) حديث الغدير متواتر اجمع المسلمون على روايته ، وذكرته

الصباح كافة .

(٣٨) الهدان : الجبان .

يقيم أمورها ويذب عنها ويترك جذبها أبداً مريعا (٣٩)
وعرض الكميت في هذه الابيات لبني أمية فدعا بالجوع والحرمان على
عمالئهم واذنابهم الذين اتخمت بطونهم من أموال الامويين وهباتهم ،
كما دعا لمن حرمتهم السلطة الأموية من العطاء بالثراء وسعة العيش ،
كما عرض لبني هاشم ، وانهم ساسة الأمة ، وانها في ظلال حكمهم تجد
الرفاهية ، والعيش الرغيد .

ويقول المؤرخون إن الامام أبا جعفر (ع) : لما سمع هذه القصيدة
العصماء اخذ منه الاعجاب مأخذاً عظيماً ، وانطلق يقول :
« اللهم اكف الكميت . »

وكرر الامام هذا الدعاء ثلاث مرات ، وقد انجاه الله ببركة دعائه
فتمخلص من سجن الامويين (٤٠) .

نضاله المريع

وناضل الكميت نضالاً مريعاً في الدفاع عن عقيدته ، والذب عن
مبادئه ، وقد انطلق كالمارد الجبار في احلك الظروف ، وأشدها قسوة
وحنة على أهل البيت (ع) فأخذ يذيع مآثرهم ، ويشيد بنضائلهم ،
ويدعو الناس الى الالتفاف حولهم ، ويدفعهم الى التمرد على الحكم الأموي ،
والتخلص من جورهم وظفیانهم .

لقد قام الكميت بدور ايجابي وفعال في زعزعة الكيان الأموي ،
واسقاط هيئته ، وكان من ابرز ما قام به في هذا المجال ما يلي :

(٣٩) الهاشميات (ص ٨١ - ٨٢) .

(٤٠) اخبار شعراء الشيعة (ص ٧٢ - ٧٣) .

١ - مدحه لأهل البيت :

ومدح الكميت أهل البيت (ع) مدحاً عاطراً ، وعدد مناقبهم ومآثرهم في هاشمياته التي هي من أثنى اللوحات الفنية في الأدب العربي ، وقد لعبت دوراً خطيراً في بلورة الوعي العربي والاسلامي ، وأوجدت شعوراً عاماً يتسم بالكراهية والبغض لبني أمية .

لقد مدح الكميت أهل البيت (ع) في وقت كانت الحكومة الأموية قد منعت منعاً رسمياً الإشادة بهم ، وفرضت سبهم على المناابر والمآذن ، وأوعزت الى معاهد التعليم القيام بتغذية النشء ببغضهم ، كما عهدت الى لجان الرضاعين بافتعال الحديث للحط من شأنهم ، وفرضت أشد العقوبات وأكثرها صرامة على من يذكرهم بخير ، فقيام الكميت بمدحهم يعتبر من أبرز ألوان النضال الديني لأنه قد قاوم رغبات السلطة ، وناهض سياستها .



٢ - هجاء الأمويين :

وقام الكميت بدور خطير في مناهضة الأمويين ، فقد هجا ملوكهم ، وعدد مشالهم وأبرزهم في شعره كأقذر مخلوق ، وقد حفظ الناس ما قاله فيهم ، فزهّدوا في بني أمية ، ونقموا على حكمهم وسلطانهم ، ويعتبر هجاءهم لهم من الاسباب التي اطاحت بملكهم ومن قوله فيهم :

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا

اجماع الله من اشبعتموه واشبع من بجوركم اجيعها

وقد قرأ هذه الابيات على الامام أبي جعفر (ع) فدعا له بالمغفرة

والرضوان (٤١) وهجا هشام بن عبد الملك بقوله :

(٤١) معجم الشعراء (ص ٣٤٨) .

يصيب على الأعواد يوم ركوبها لما قال فيها مخطيء حين ينزل
 كلام النبيين الهداة كلامنا وافعال أهل الجاهلية نفعل (٤٢)
 ولم يقتصر الكميت في هجائه على الأمويين ، وإنما هجا أنصارهم
 وأعوانهم فقد هجا الحكيم بن عياش الكلبي ، وقد اعترى الكميت في هجائه
 ببني أمية ، وكان ذلك موضع دهمشة واستغراب .

وقد خف إليه ولده المستهل فانكر عليه اعتزازه ببني أمية قائلاً :
 « يا أبة انك هجوت الكلبي ، وغمزت عليه ، ففخرت ببني أمية ، وأنت
 تشهد عليهم بالكفر ، فهلا فخرت بعلي وبني هاشم الذين تتولاهم ؟ »
 فأجابته الكميت جواب العالم الخبير قائلاً :

« يا بني أنت تعلم انقطاع الكلبي الى بني أمية ، وهم اعداء علي ، فلو
 ذكرت علياً لترك ذكره ، واقبل على هجائه فاكون قد عرضت علياً له ،
 ولا أجد له ناصراً من بني أمية ، ففخرت عليه ببني أمية وقلت : ان
 نقضها علياً قتلوه ، وإن أمسك قتلته غما وغلبيته . . »

وكان كما قال الكميت : فقد أمسك الكلبي من جوابه إلا انه ترك
 الحزن والأسى يحزان في نفسه (٤٣) .

٣ - اثارة العصبية بين اليمانية والنزارية :

وقام الكميت بدور خطير في تحطيم الدولة الأموية فقد القى الخصومة
 واجج نار الفتنة بين اليمانية والنزارية ، وهما من أهم القبائل العربية
 عدداً ونفوذاً ، وكانتا من اعظم المؤيدين للحكم الأموي ، وقد هجا الكميت
 في شعره اليمانيين وعدد مشايخهم فلم يترك حياً من احيائهم إلا هجاه بأقسى

(٤٢) معجم الشعراء (ص ٣٤٨) .

(٤٣) الاغانى ١٥ / ١٢٩ .

ألوان المهجاء ، أما سبب هجائه لهم فقد روى المسعودي أنه قصد عبدالله ابن الحسن فطلب منه أن ينشئ شعراً يثير به حفاظ النفوس بين العرب لعل فتنة تحدث فتكون سبباً الى زوال دولة الامويين فأستجاب الكميت ، وانطلق ينظم قصائد من الشعر الحماسي الرائع يمجّد فيها اليمانيين ، ويذكر مناقبهم ، ويمجّد القحطانيّين ، وما قاله :

لنا قمر السماء وكل نجم تشير اليه أيدي المهتدين
وجدت الله اذ سمى نزاراً واسكنهم بمكة قاطنين
لنا جعل للكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجبين
وأثر شعره في القلوب تأثيراً عظيماً ، حتى ثارت الحفاظ بين القبيلتين ، وشاع البغض والعداء بينهما ، وانتصر للقحطانيّين شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي ، واكبر الظن أنه كان بينهما اتفاق سري على ذلك ، فانهما معاً من شعراء أهل البيت (ع) وكل منهما قد ضرب الرقم القياسي في الولاء لهم ، وما قاله دعبل في الرد على الكميت :

أفيقي من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي يشين الذوائب والقرونا
أحي الغر من سروات قومي لقد حييت عنا يا مدينا
فإن يك آل اسرائيل منكم وكنتم بالاعاجم فاخرينا
الى أن يقول :

وما طلب الكميت طلاب وتر ولكنا لنصرتنا هجيننا
لقد علمت نزار أن قومي الى نصر النبوة فاخرينا
واخذت كل قبيلة تفتخر على الأخرى وتدي بمناقبها ومكارمها ، وتنتقص القبيلة الأخرى حتى اتسع العداء بينهما وشمل سكان القرى والبادية ،

وقد تخربت القلوب ، وانفصمت عرى الوحدة بين الأسرتين ، ونتج من ذلك ان مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية قد تعصب للزاريين ، مما سبب إنحراف اليمانيين عن بني أمية ، وانضمامهم الى الدعوة العباسية ، وبذلك فقد إنهارت الدولة الأموية (٤٤) ويقول أحمد امين : « وقتلت بعده - اي بعد الكميت - الدولة الأموية بقليل » (٤٥) .

اعتقاله :

وشاع هجاء الكميت لليمانيين ، وصار إحداثة الأندية والمجالس ، وبلغ ذلك حاكم الكوفة خالد بن عبد الله القسري ، وكان يتعصب لليمانيين ، فقال : والله لا قتلنه ، ويقول المؤرخون : إنه اشترى جارية في نهاية الحسن ، فرواها هاشميات الكميت ، فلما حفظتها أهداها الى هشام ابن عبد الملك ، وكتب إليه باخبار الكميت ، وهجائه لبني أمية ، وانفذ إليه قصيدته التي يقول فيها :

نيا رب هل إلا بك النصر يبتغي ^{مركزية بيروت علوم} ويارب هل إلا عليك الممول
وهي قصيدة طويلة يرثى فيها الشهيد العظيم زيد بن علي ، وابنه الشهيد الخالد الحسين بن زيد ، كما يمدح فيها بني هاشم ، ولما وصلت الى هشام ، وقرئت عليه غضب كأشد ما يكون الغضب ، فكتب الى خالد يأمره بقطع لسان الكميت ويده ، وأوعز خالد القسري الى الشرطة باعتقاله ، فألقت عليه القبض ، وأودع في السجن ، لينفذ فيه حكم الأعدام ، وبقي

(٤٤) حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٣١٥ - ٣١٦ نقلا عن

مروج الذهب .

(٤٥) ضحى الاسلام ٣ / ٢٠٦ .

في السجن حفنة من الأيام وهو يعاني قسوة السجن ومرارته (٤٦) .

هروبه من السجن ،

وبقي الكميت في السجن وجلا مضطرباً قد طافت به الهموم والآلام فلا يدري متى ينفذ فيه حكم الاعدام ؟ ويقول المؤرخون : انه كان له صديق حميم هو ابان بن الوليد العجلي ، وكان عاملاً على واسط من قبل الأمويين ، فلما انتهت اليه انباء الكميت ارسل بالقور إليه غلامه ، وأمره بالاسراع إليه ، وحمله رسالة عرفه فيها بأن مصيره القتل ، وإنه لا خلاص له منه إلا بأن يحتال فيرسل بأسرع وقت خلف زوجته الى السجن ، ويلبس لباسها ، وتكون مكانه في السجن من حيث لا يعلم السجانون ، ويكون بذلك نجاته ، وفعل الكميت ذلك ، وهرب من السجن بعد أن لبس لباس زوجته وقد ظن السجان أنه زوجة الكميت فلم يفتشه ، وقد نجا بذلك من القتل المحتم وأنشأ الكميت بعد هروبه هذين البيتين :

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوائح والمشل
علي ثياب الغانيات وتحتسبها عزيمة امر أشبهت سلة النصل (٤٧)

العفو عنه :

وبقي الكميت متوارياً عن انظار السلطة متخفياً ، وهي تمعن بالتفتيش عنه إلا انها لم تهتد الى معرفته ، وقد عزم الكميت على مدح هشام وبني أمية لينجوا مما هو فيه ، وقبل أن ينظم فيهم أرسل ورداً ابن أخيه زيد الى الامام أبي جعفر (ع) يستأذنه فيما عزم عليه ، فاذن له الامام (ع)

(٤٦) الاغاني ١٥ / ١١٤ .

(٤٧) مقدمة الهاشميات (ص ١٧) .

وقفل ورد الى عمه فعرفه برضاء الامام (٤٨) واتجه الكميت مع جماعة من بني أسد الى دمشق ، فلما انتهوا إليها ، قصدوا جماعة من أشرف قریش ، واحاطوهم علماً بالأمر ، فاجابوهم ، وخفوا جميعاً سوى الكميت الى عنبة بن سعيد بن العاص فقالوا له :

« يا أبا خالد هذه مكرمة أتاك الله بها ، هذا الكميت بن زيد لسان مضر ، وكان أمير المؤمنين قد كتب في قتله فنجنا حتى تخلص إليك وإلينا . . »

واستجاب لهم عنبة ، واتجه الى مسلمة بن هشام فقال له : يا أبا شاعر مكرمة أتيتك بها تبلغ بها الثريا ، فقال له مسلمة : ما هي ؟ فأخبره بالأمر ، فأجاره مسلمة (٤٩) وشاع ذلك فلما بلغ هشام دعا بولده مسلمة فصاح به :

« اتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ »

« كلا ولكني انتظرت تسكون غضبه . . »

« احضرنه الساعة فانه لا جوار لك . . »

وقام مسلمة من مجلس أبيه ، ومضى نحو الكميت ، فقال له : يا أبا المستهل ان أمير المؤمنين قد أمرني بإحضارك ، فقال الكميت :

« اتسلمني يا أبا شاعر ؟ . . »

« كلا . . »

ومهد مسلمة الطريق الى نجاته فقال له : ان معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فاذا كان من الليل فاضرب رواقك

(٤٨) مقدمة الهاشميات (ص ١٧) .

(٤٩) الغدير ٢ / ٢٠٦ .

على قبره ، وأنا أبعث لك بنيه يكونون معك في الرواق ، فإذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بشيابك ، ويقولون : هذا استجار بقبر أيمننا ، ونحن أحق بأجارته ، ثم تركه وانصرف ، واتجه الكمييت في الليل نحو قبر معاوية فضرب رواقه عليه ، ولما أصبح هشام تطلع من قصره إلى قبر ولده ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : له لعله مستجير بالقبر ، فقال : يجار كل من كان إلا الكمييت فإنه لا جوار له ، فقيل له : إنه الكمييت ، فأمر بإحضاره ، فاحضر وقد ربط صبيان معاوية ثيابهم بشيابه ، فلما نظر إليهم هشام اغرق في البكاء ، وقد رفعت الصبية أصواتهم قائلين له : يا أمير المؤمنين استجار بقبر أيمننا ، وقد مات ، ومات حظه من الدنيا ، فاجعله هبة له ولنا ، ولا تفضحنا فيمن استجار به ، فبكى هشام ، ثم أقبل على الكمييت ، فقال له : أنت القائل ؟

وإلا فقولوا : غيرهما تتعرفوا نواصيها تروى بنا وهي شرب

واعتذر الكمييت ، فصاح به هشام فقال له :

- إيه يا كمييت الست القائل ؟

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

- بل أنا القائل :

إلى آل بيت أبي ماسك مناخ هو الأرحب الأسهل

نمت بارحامننا الداخلا ت من حيث لا ينكر المدخل

بمرة والنضر والمساكين رهط هم الأنبل الأنبل

وجدنا قريشاً قريش البطاح على ما بنى الأول الأول

- وأنت القائل :

لا كعبد المليك أو كوايد أو سليمان بعد أو كعشام

من يمت لا يمت فقيداً ومن يحس فلاذو إل ولاذو ذمام
« ويلك يا كميته !! جعلتنا بمن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة .. »
قال الكميته : بل أنا القائل :

فالآن صرت الى أمية والأمر الى المصائر
والآن صرت بها الى المصيب كميته بالأمر حائر

قال هشام : الست القائل :

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيها
أجاع الله من أشبعتموه واشبع من يجوركم أجيها
بمرضي السياسة هاشمي يكون حيساً لأمتيه ريها
قال الكميته : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تمجوا عني قولي الكاذب ؟
- بماذا ؟

- بقولي الصادق :

أورثته الحصان أم هشام وحسباً ثاقباً ووجهاً نصيراً .
وتعاطى به ابن عائشة البدر فامسى له رقيباً نظيراً
وكساه أبو الخلايف مرواً ن سناء المكارم الماثوراً
لم تجهم له البطاح ولكن وجدتها له معاناً ودوراً
وغزت هذه الأبيات قلب هشام ، وإزالت عنه الغيظ فاستوى جالساً
واخذ يبدي إعجابه بهذه الأبيات ، قائلاً :

« هكذا فليكن الشعر !! قد رضيت عنك يا كميته . »

وشكره الكميته ، وطلب منه أن لا يجعل لخالد بن عبد الله القسري
أمانة عليه فأجابته الى ذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم ، وثلاثين ثوباً
هشامية ، وكتب الى خالد أن يخلي سبيل امرأته ، ويعطيها عشرين ألف درهم ،

وثلاثين ثوباً ، ففعل خالد (٥٠) .

لقد استطاع الكميت أن يتغلب على الأحداث بلباقته ، وقوة بيبانه ، وبليغ منطقته ، وتماسك شخصيته ، فلم ينهار أمام الطاغية هشام ، ولم يراوده الخوف والفرع ، وإنما كان كالجبل في صلابته وإرادته ، وقوة عزمته ، ولم يكتف بما ظفر به من السلامة والنجاة ، وإنما طلب من هشام أن لا يجعل لحاكم الكوفة عليه سلطاناً وسبيلاً ، ويتركه وحرية فيما يقول ويعمل .

عتاب واعتذار :

ووفد الكميت على الامام أبي جعفر (ع) فرحب به ، وقرب بجلسه ، وتبسم في وجهه وعاتبه عتاباً رقيقاً قال له :

يا كميت أنت القائل :

فالأمر صرت إلى أمي - والأمر إلى المصائر

واعتذر الكميت ، وأجاب جواب العالم الفقيه قائلاً :

« نعم قد قلت : ذلك ، ولا والله ما أردت به إلا الدنيا ، لقد

عرفت فضلكم . . »

ومنحه الامام الباقر الرضا والقبول ، وقال له : أما إن قلت : ذلك تنقية إن التنقية لتحل (٥١) وهذا إنما يتم بناء على عدم استأذانه من الامام في مدح الأمويين لقد كان الكميت صادق المودة والولاء لأهل البيت عليه السلام وقد امتحن في سبيلهم كأعظم ما يكون الامتحان فتعرض لسخط الأمويين ونقماتهم ، وقضى شطراً من حياته في السجن ، يلاحقه الفرع والرعب ،

(٥٠) الاغانى ١١٥/١٥ - ١١٩ ، العقد الفريد ١ / ١٨٩ .

(٥١) الاغانى ١٥ / ١٢٦ .

وهو لم يبتغ بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة .

الى جنة المأوى :

وشاء الله لهذا العملاق العظيم الذي نافع عن حقوق أهل البيت (ع) أن يرزق الشهادة على يد شرار بريته ، فقد دخل على والي العراق يوسف ابن عمر بعد عزل خالد القسري الذي نكل به ، فأنشده قصيدة يثني فيها عليه ، ويعرض بالقسري جاء فيها :

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن كمن حصنه فيه الرتاج المضرب
وما خالد يسهطهم الماء فافراً بعدلك والداعي الي الموت ينهب
وكان الحرس الذين على رأس يوسف متعصبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم في بطنه وقالوا : أنشد الأمير ، ولم تستأمره ، فأخذه نزيف الدم (٥٢)
وأخرج وهو يجود بنفسه ، وأغمي عليه ، ثم أفاق وهو يقول :
« اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد . » (٥٣)

ثم فاضت نفسه الزكية ، وارتفعت الى بارئها كما ترتفع أرواح الأولياء تحفها ملائكة الله ورضوانه .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن هذا العملاق العظيم الذي وهب مشاعره وعواطفه لآل النبي (ص) وصاغ فكره ، وعقيدته فيهم على أساس العلم والمنطق فلم يندفع في ولائه لهم وراء العاطفة وإنما استند في ذلك الى الأدلة الحاسمة من القرآن والسنة حسب ما أشار إليها في هاشمياته التي هي من أثنى الثروات الفكرية والعلمية في الأدب العربي والاسلامي .

(٥٢) الاغاني ١٥ / ١٢١ .

(٥٣) الاغاني ١٥ / ١٣٠ .

وقبل أن أطوي الصفحة الأخيرة من الحلقة الأولى من هذا الكتاب أرى من الحق علي أن أشيد بالملاحظات الفنية والعلمية ، التي تكرم بها علي سماحة الحجة الأخ الشيخ هادي القرشي في هذا الكتاب سائلاً من الله تعالى أن يجزيه عني خير ما يجزي أخا عن أخيه ، وبهذا ينتهي بنا المطاف عن الجزء الأول من هذا الكتاب .

أما الجزء "ثاني فأود أن أبين أن من بين ما يعرض له البحث عن ملوك الأمويين الذين عاصرهم الامام أبو جعفر (ع) فقد بسطنا الحديث عنهم ، وذكرنا ما أثر عنهم من الاعمال التي لا تتفق مع قواعد هذا الدين واصوله ، والتي كان منها ما عاناه الناس من الظلم الهائل وعدم الاعتراف بأي حق من حقوقهم الفردية والاجتماعية ، فقد حولوا البلد الى مزرعة خاصة لهم يصيبون منها ما شاؤوا فالسواد - على حد تعبير ابن العاص - بستان قريش ، وقد اجحفوا في جباية الخراج ، وساموا الناس سوء العذاب .

وكان من الضروري جداً عرض ذلك لأنه بصور الحياة الاجتماعية والسياسية التي عاشها الامام ، وقد اصبحت دراسة مثل هذه البحوث بما لا بد منها في الدراسات الحديثة .

كما عرضنا الى عصر الامام (ع) ذلك العصر الذي هو أكثر العصور الاسلامية حساسية ، فقد نشأت فيه الفرق الاسلامية التي كانت من اخطر الظواهر الفكرية والاجتماعية في ذلك العصر ، كما تصاعدت فيه عمليات الصراع الفكري والعقائدي بين الاحزاب التي تصارعت بصورة مذهلة على الوصول الى الحكم ، وكان من نتائج ذلك الصراع إيقاف المسيرة الاسلامية ، ووضع السدود والحواجز أمام الزحف الاسلامي ، للمقدس ، هذا بعض ما سيجده القارئ في الحلقة الثانية من هذا الكتاب .



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

محتوی الکتاب

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة
آيات من الذكر الحكيم		٥
الاهداء		٧
تقديم		٩
	الوليد العظيم	
الأم		١٩
الأب		٢٠
الوليد العظيم		٢٠
تسميته ، كنيته ، القابه		٢١
نحيات النبي (ص) الى الباقر		٢٣
ملاحه		٢٦
ذكاؤه المبكر		٢٦
هيئته ووقاره		٢٧
نقش خاتمه		٢٨
اقامته		٢٨
	في ظلال الحسين وعلي	
في ظلال جده		٣١
في ظلال أبيه ، شؤون الامام زين العابدين واحواله		٣٢
اكبار العلماء وتعظيمهم له		٣٣
سمو أخلاقه		٣٤
نشره للعالم		٣٦
حثه على طلب العلم		٣٧

الموضوع	الصفحة
تكريمه لطلاب العلوم	٣٧
احتراف القراء به	٣٨
عمقه للموالي	٣٨
عبادته وتقواه	٣٨
صدقاته وبره	٤١
رائعة الفرزدق	٤٢
الحزن العميق	٤٥
وصاياه لولده الباقر	٤٦
ادعيته لولده	٤٨
في ذمة الخاوند	٥١
سمه	٥٢
نصه على امامة الباقر	٥٢
وصيته لولده الباقر	٥٣
الى الرفيق الأعلى	٥٤
تجديزه	٥٤
تشيعه	٥٥
في مقره الأخير	٥٥
اسطورة	٥٦
اخوته وابناؤه	٥٩
اخوته	٦١
زيد الشهيد	٦١

الموضوع	الصفحة
ولادته	٦٢
نشأته	٦٣
عبادته وتقواه	٦٣
علمه وأدبه	٦٤
اكبار الامام الباقر لزيد	٦٧
مع هشام بن عبد الملك	٦٨
مشروعية الثورة	٧١
الثورة الكبرى	٧٣
الخيانة والغدر	٧٧
في ذمة الخلود	٧٧
التنكيل بانصار زيد	٨٠
سخط المسلمين	٨١
حرق الجثمان العظيم	٨٤
مع المسعودي	٨٥
الحسين الأصغر	٨٥
علمه ، حلمه ، وقاره ، تقواه ، ورعه ، وفاته ،	٨٦
عبد الله الباهر: لقبه ، علمه ، ولايته على صدقات النبي ، وفاته	٨٧
عمر الأشرف:	٨٨
كنيته ، لقبه ، علمه ، ولايته على صدقات	
النبي (ص) وفاته	
علي	٩٠

الموضوع	الصفحة
ابناء الامام الباقر	٩٠
١ - ابراهيم	٩١
٢ - الامام جعفر	٩١
٣ - عبد الله	٩٢
٤ - علي	٩٣
٥ - عبد الله	٩٣
السيدات من بناته	٩٤
السيدة زينب ، السيدة أم سلمة	٩٤
اكبار وتعظيم	
عرض الكلمات العلماء والمؤلفين التي تقيم	٩٧
الامام وتشيد بملكاته ومواهبه	
مظاهر شخصيته	
امامته	١١٥
العصمة	١١٦
تعريف العصمة	١١٦
الاستدلال عليها	١١٧
شكوك وأوهام	١١٨
حلمه	١٢٠
صبره	١٢١
تكريمه للفقراء	١٢٣
عتقه للعبيد	١٢٤

الموضوع	الصفحة
صلته لأصحابه ، صدقاته على فقراء المدينة	١٢٤
كرمه وسخاؤه	١٢٥
عبادته	١٢٧
(أ) خشوعه في صلاته (ب) كثرة صلاته	
(ج) دعاؤه في سجوده (د) دعاؤه في قنوته	
حججه	١٣٢
مناجاته مع الله ، ذكره الله	١٣٣ .
زهده في الدنيا	١٣٣
مواهبه وعمه قرياته	
الحياة العلمية في عصره	١٣٧
الدور المشرق للأمام	١٣٨
العلوم التي بحثها	١٣٩
الحديث	١٤٠
روايات الأئمة	١٤١
احاديث الامام الباقر	١٤٢
رواياته عن النبي (ص)	١٤٢
رواياته عن الامام أمير المؤمنين	١٦٧
روايته عن جده الحسين	١٧١
روايته عن أبيه	١٧١
روايته عن جابر الانصاري	١٧٢
روايته عن عمر	١٧٢

الموضوع	الصفحة
روايته عن ابن عباس	١٧٣
روايته عن زيد بن أرقم	١٧٣
روايته عن أبي ذر	١٧٤
تفسير القرآن الكريم ، فضل قراءة القرآن	١٧٤
التجويد بقراءة القرآن	١٧٥
تنزيه القرآن من الباطل	١٧٦
ذم المجرفين للقرآن	١٧٦
الاستعمالات المجازية في القرآن	١٧٧
البسملة جزء من سور القرآن	١٧٧
نزول القرآن على سبعة أحرف	١٧٨
الحروف السبعة	١٧٨
انكار الامام للأحرف السبعة	١٨٠
طرق التفسير	١٨٠
التفسير بالمأثور ، التفسير بالرأي	
تفسير الامام الباقر	١٨٢
نماذج من تفسيره	١٨٣
علم الكلام	١٨٩
التوحيد	١٩٠
١ - عجز العقول عن إدراك حقيقة الله	١٩٠
٢ - ازلية واجب الوجود	١٩٢
٣ - النهي عن الكلام في ذات الله	١٩٤

الموضوع	الصفحة
٤ - علم الله	١٩٤
٥ - واقع التوحيد	١٩٥
٦ - صفات الله	١٩٥
٧ - الشك والجهود	١٩٦
الامامة ، الحاجة الى الامام	١٩٦
وجوب معرفة الامام	١٩٧
وجوب طاعة الامام ، حق الامام على الناس	١٩٩
عظمة الامامة	٢٠٠
الولاية لأئمة أهل البيت	٢٠٠
الاشادة بالأئمة	٢٠١
عدد الأئمة	٢٠٣
عن الأئمة	٢٠٥
حشبه على نشر مآثر الأئمة	٢٠٥
علم الأئمة	٢٠٦
الملاحم التي أخبر عنها	٢٠٩
علم الفقه	٢١٥
بميزاته	٢١٧
(١) إتصالة بالنبي (ص) (٢) مرونته (٣) فتح باب الاجتهاد	
(٤) الرجوع إلى حكم العقل .	
مسائل فقهية	٢٢١
حكم القتال في الاسلام ، المسح على الخفين ، مس الفرج	

لا ينقض الوضوء ، الجهر في صلاة الاخفات ، الصلاة على
آل النبي (ص) في التشهد .

- ٢٢٦ علم الاصول
٢٢٧ الاستصحاب
٢٢٧ قاعدة التجاوز
٢٢٨ قاعدة الفراغ
٢٢٨ قاعدة نفى الضرر
٢٣٠ علاج التعارض

(١) الشهرة (٢) موافقة الكتاب والسنة (٣) الترجيح
بالصفات .

- ٢٣١ بحوث اقتصادية
٢٣٢ ١ - ضرورة تحسين المعيشة
٢٣٢ ٢ - التحذير من الكسل
٢٣٣ ٣ - مقتته لتارك العمل
٢٣٣ ٤ - العمل طاعة لله
٢٣٤ مع العلم والعلماء

(١) فضل العلم (٢) فضل العالم (٣) مجالسة العلماء والمتقين
(٤) مذاكرة العلم (٥) آداب المتعلم (٦) بذل العلم (٧) لحث
على التعلم (٨) التفقه في الدين (٩) للعمل بالعلم (١٠) قبول
العمل بالمعرفة (١١) ذم المباهاة بطلب العلم (١٢) الفتوى
بغير علم (١٣) صفات العالم .

الموضوع	الصفحة
في رحاب الايمان	٢٤٢
(١) حقيقة الايمان (٢) مراتب الايمان (٣) صفات المتقين	
مع الشيعة	٢٤٥
١ - وصيته لشييعته	٢٤٦
٢ - الشيعة الأوائل	٢٤٩
٣ - صفات الشيعة	٢٥٠
٤ - نصائحه للشيعة	٢٥١
٥ - حب أهل البيت	٢٥٣
٦ - تسمية الشيعة بالرافضة	٢٥٦
٧ - دعاؤه لشييعته	٢٥٦
سنن الانبياء وحكمهم	٢٥٧
(١) من وحي الله لأدم (٢) حكمة سليمان (٣) حكمة	
في التوراة (٤) تسمية نوح بالعبد الشكور (٥) دعاء نوح	
على قومه (٦) اسماعيل أول من تكلم بالعربية (٧) مناجاة	
الله مع موسى (٨) نفي الأمية عن النبي (ص) (٩) محاورة	
بين نوح وابلليس (١٠) موت سليمان (١١) التقاء يعقوب	
بيوسف (١٢) مدة حياة يعقوب بمصر .	
مع السيرة النبوية	٢٦٢
(١) استعارة النبي السلاح من صفوان	
(٢) مسيرة خالد الى بني جذيمة	
سيرة الامام علي (غ)	٢٦٤

الموضوع	الصفحة
اخبار الامام بقتل الحسين	٢٦٥
صفة الامام أمير المؤمنين	٢٦٦
احداث صفين	٢٦٦
فك الحصار عن الماء ، معاوية مع ابن العاص ، خطبة	
للامام بصفين ، يوم الهرير ، وثيقة التحكيم	
مأساة الامام الحسين	٢٧٣
رواية عمار الدهني	٢٧٤
المؤاخذات	٢٨٠
وصاياه ، القيمة	٢٨١
وصاياه لولده الصادق	٢٨٢
وصيته لبعض ابنائه	٢٨٣
وصيته لعمر بن عبد العزيز	٢٨٣
وصيته لجابر الجعفي	٢٨٤
وصيته لرجل	٢٨٧
وصيته لبعض اصحابه	٢٨٨
مواظله	٢٨٩
فضل العقل	٢٩٣
الفطنة	٢٩٤
اجالة الفكر	٢٩٤
مكارم الاخلاق	٢٩٥
(١) الاحسان (٢) فعل المعروف (٣) مقابلة المعروف	

الموضوع	الصفحة
بالأحسان .	
آداب السلوك	٢٩٧
(١) طلاقة الوجه (٢) معاملة الناس بالحسنى	
حقوق المسلم	٢٩٧
قضاء حاجة المسلم	٢٩٨
صلة الارحام	٢٩٨
الصدقة ، العطف على اليتيم	٢٩٩
عناصر الصفات	٢٩٩
الضمت	٣٠٠
مساويء الصفات والأعمال	٣٠٠
الغيبة والبهتان	٣٠٣
الغضب وعلاجه	٣٠٣
العجب	٣٠٤
ادعيته	٣٠٤
الحث على الدعاء	٣٠٦
روائع الحكم	٣٠٧
نظمه للشعر	٣١٦

مع كثير عزة والكميت

كثير عزة	٣١٩
ولأؤه لأهل البيت (ع) مع الامام الباقر (ع) مدحه	
لبني مروان ، وفاته ، رواية موضوعة	

الموضوع	الصفحة
الكميت الأسدي ، ولادته ونشأته	٣٢٣
مواجهته ، شعره	٣٢٤
الكميت مع الفرزدق	٣٢٥
مميزات شعره	٣٢٧
صلايته في عقيدته	٣٣٠
مع الامام الباقر (ع) تعطشه لرؤيا الامام	٣٣٠
رثاؤه للحسين	٣٣١
التيمة من هاشمياته	٣٣٣
اللامية من هاشمياته	٣٤٥
اليمينية من هاشمياته	٣٤٧
نضاله المرير	٣٥٠
١ - مدحه لأهل البيت	٣٥١
٢ - هجاء الأمويين	٣٥١
٣ - اثارة العصية بين اليمينية والنزارية	٣٥٢
اعتقاله	٣٥٤
هربه من السجن	٣٥٥
العفو عنه	٣٥٥
عتاب واعتذار	٣٥٩
الى جنة المأوى	٣٦٠
محتويات الكتاب	٣٦٢